جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

قامت الطالبة بالتعديلات المطلوبة



الأدلة على صدق النبوة المحمدية

ورد الشبهات عنها

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة

إعداد الطالبة
هدى عبد الكريم

إشراف الأستاذ
محمد قطب



١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــر

أحمد اللـه جل وعلا على نعمائه ، وأسأله العون على شكرآلائه ، وبعد:
فأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للاستاذ الفاضل محمد قطب المشرف على هذه الرسالة ، الذي استفدت من توجيهاته ونصائحه الشيء الكثير ، والذي وجدت منه الرعاية الأبوية التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ، فجزاه الله خير الجزاء وبارك له وللأمة في علمه ووقته .

كما وأتقدم بالشكر للقائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وللقائمات على قسم الطالبات بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

مقدمة البحث

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ".(١)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً".(٢)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً ".(٣)

وأصلي وأسلم على نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بعثه الله بالحق بشيرا ونذيرا وهاديا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

وبعد :

فقد ختم الله تعالى باب النبوة بنبوة محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام ، فكان آخر رسول في الموكب الكريم الذين اصطفاهم سبحانه وتعالى لهداية البشرية واصلاحها كلما تنكبت الصراط السوي وسارت في طريق الغواية والضلال .

يقول تعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " (٤)

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٢.
(٢) سورة النساء ، آية ١ .
(٣) سورة الأحزاب ، آية ٧٠.
(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٠.

ويقول صلى الله عليه وسلم : " لا نبي بعدي "[1]، فلا نبوة بعده ، وكل من يدعي شيئا من ذلك فهو من الدجالين الكذابين .

ولما كان الأمر كذلك فقد خصه الله تعالى بالدلائل الكثيرة والآيات العظيمة التي تشهد بصدق نبوته في كل زمان ومكان ، وهذا ما لم يحصل لنبي قبله .

ولما كانت هذه الأمة موحدة لله مصدقة برسوله ، كانت أعز أمة على وجه الأرض وأكثرها خيرا وأعزها جانبا ، وأكثرها أمنا ، وأسعدها حياة ، وقد جعلها الله تعالى بالايمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير أمة ، قال تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ "[2]. وجعلها الأمة الوسط التي تشهد على الناس بعد أن تحمل الرسالة وتؤدي الأمانة وتقوم بما قام به أنبياء الله من قبل ، فقال تعالى : " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ."[3]

وظلت هذه الأمة بخير تتقدم ركب البشرية وتنشر النور وترشد الى الهدى ما دامت مؤمنة بالله ، متمسكة بكتابه ، متأسية برسوله ، ولكن الحال تبدل ، والأمر اختلف ، وتراجعت أمة القيادة وأستاذة العالم الى الوراء ، وتقهقرت في جميع الميادين وسرى الضعف في أوصالها وغلبتها أمم الأرض الآخرى .

ما سبب هذا ؟

اذا عرفنا أن سبب القوة هو ايمانها بالله وتحكيمها لكتابه واتباعها لرسوله ، فان سبب ضعفها هو ضعف الإيمان بالله وبرسوله وهجران كتابه وسنة نبيه ، وهذا مصداق قوله تعالى : " إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ "[4]، فنحن كما قال عمر رضي الله عنه قوم أعزنا الله بالاسلام فاذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله .

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ٤ ص ١٨٧١.

(٢) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٤٣.

(٤) سورة محمد ، آية ٠٧

ان أحوال الأمة الاسلامية تبكي العين وتدمي القلب وتقطع النفس، ضعف وهزيمة، فرقة واختلاف، جوع وفقر ومرض، دماء وأشلاء، وصدق الرسول الكريم في قوله صلى الله عليه وسلم: " تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا إنكم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ".(1)

وأجد في نفسي ألما شديدا، وجرحا عميقا لما آلت اليه الحال، وأنا على يقين بأن لا صلاح لهذه الأمة الا بالاسلام، وأن ما عداه من الشعارات المرفوعة والدعوات المطلية لن تزيد الجرح الا عمقا، والحال سوءا، وأكبر دليل على هذا ما نشاهده أمام أعيننا من تخلف متزايد وضعف متنام، وفرقة متعاظمة.

والعالم كله، وليس المسلمون فقط في شقاء، بقسميه الغربي الرأسمالي، والشرقي الشيوعي وليس للسعادة الحقيقية وجود، لأن البشرية جمعاء ضلت عن شرع الله الحنيف وصراطه المستقيم، دين الاسلام رسالة النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد انتشرت الجريمة بكل أنواعها، القتل والغصب والسرقة وخطف الأولاد والنساء وادمان الخمر وشرب المخدرات ونتج عن ذلك فقدان الأمن والخوف والعقد النفسية والانهيارات العصبية والأمراض العقلية والجنسية.

ان المادة وحدها وعلى رأسها المال والجنس لم تستطع اسعاد الناس باشباع جانب الروح وجانب المادة والموازنة بينهما، وهو ما يدعو اليه الاسلام، يقول تعالى: " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ".(2)

وهذا البحث جهد متواضع، ودعوة صادقة الى العودة الى دين الله والايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، موجهة للمسلمين وغير المسلمين.

---

(1) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٨.
(2) سورة القصص، آية ٧٧.

للمسلمين بما فيه من التذكيرلهم بمعجزة القرآن وبالمعجزات الأخرى .

ولأهل الكتاب بما فيه من التذكير لهم بما في التوراة والانجيل من بشارات برسول الله .

وللماديين بما فيه من أدلة علمية تؤكد صدق رسول الله فيما أخبر به .

سائلة الله تعالى أن يكون هذا العمل مقبولا عنده .

وقد جعلت البحث على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ، على النحو التالي : -

المقدمة : وهي بيان سبب اختيار الموضوع وخطته .

الباب الأول : بشارات الكتب السابقة .

ويشتمل على مقدمة وفصلين :

المقدمة : في إخبار القرآن الكريم ببشارات الكتب السابقة برسول الله وشهادة الأحبار والرهبان والملوك بنبوته .

الفصل الأول : في بشارات التوراة .

الفصل الثاني : في بشارات الانجيل.

الباب الثاني : معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القرآن معجزة الرسول الكبرى .

الفصل الثاني: المعجزات الحسية .

الفصل الثالث : اخباره بالمغيبات .

الباب الثالث: قرائن أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته .

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : قرائن أحواله قبل البعثة ٠

الفصل الثاني: قرائن أحواله بعد البعثة ٠

الفصل الثالث :الدلالة الموضوعية للرسالة المحمدية على صدقه ٠

الباب الرابع : شبهات حول صدق النبوة المحمدية وردها :

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : شبهات العرب قديما وردها ٠

الفصل الثاني : شبهات المستشرقين وردها ٠

الخاتمة : في أهم نتائج البحث ٠

وأخيرا : نظمت فهرسا لمراجع البحث وآخر للموضوعات الواردة فيه ٠

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله التوفيق والسداد فان أصبت فمنه وحده وان أخطأت فمني ومن الشيطان وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وعلى آله وصحبه ٠

البـــــاب الأول

بشـــــارات الكتب السابقـــــــة

ويشتمل على مقدمة وفصلين :

المقدمـــــة : في إخبار القرآن الكريم ببشارات الكتب السابقة وشهادة الأحبار والرهبان والملوك بنبوته .

الفصل الأول : بشارات التـــوراة .

الفصل الثاني : بشارات الانجيـــــل .

إخبار القرآن الكريم ببشارة الكتب السماوية السابقة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبر القرآن الكريم في آيات كثيرة أن جميع الأنبياء قد بَشَّروا أممهم ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا عليهم العهد بالأيمان به وإتباعه ، كما أَكَّد بأَنَّ الكتب السابقة قد اشتملت على نصوصٍ تدل دلالة صريحة على اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وزمنه وبلده ومهاجَرِه وغير ذلك من أخباره .

وقبل الكلام في هذه البشارات نعرض لعدد من الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على اشتمال الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى على أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآية الأولى :

قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ".(١)

تصور هذه الآية الكريمة موقف اليهود من محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعَث ، وبعد أن بُعث ؛ لقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به على المشركين ويحدثونهم من أخباره الشيء الكثير ، فلما بعثه الله ورأوا أنّ النبوة سُلبَت منهم الى غيرهم ، كفروا به حسدا .

يقول ابن كثير رحمه الله : " كان اليهود من قبل مجيء هذا الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على المشركين اذا قاتلوهم ، يقولون إنّه سيبعث نبيّ في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عادٍ وَإِرَم ".(٢)

---

(١) سورة البقرة ، آية ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير جا ص ١٢٤.

وقال أبو العالية : " كانت اليهود تستنصر بمحمد على مشركي العرب ، يقولون اللّهم ابعث هذا النبي الذى نجده مكتوبا عندنا حتى نعذبَ المشركين ونقتُلَهُم ، فلما بعث الله محمداً ورأوا أنّه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ."(١)

وروى أبو نُعَيْم في الدلائل عن ابن عباس : "أنَّ يهودَ كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول اللّه قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل وَبِشرُ بن البَراء بن معرور : يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا ، وقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، وإنّا أهل الشرك تخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته . فقال سَلَّامُ بنُ مِشْكَم : ما هو بالذى كنّا نذكر لكم ما جاءنا بشيء نعرفه ."(٢)

يقول الامام ابن تيمية : " وهذا من أعظم ما دعا الأنصار الى الأيمان به صلى الله عليه وسلم لمّا دعاهم الى الاسلام ، حيث بايعوه من غير رهبة ولا رغبة ."(٣)

روى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى عن رجال من قومه ، قالوا : " ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه أنّا كنّا نسمع من رجالِ يهود ، كنّا أهلَ شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : " قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن نَتَّبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم ." فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه

---

(١) تفسير ابن كثير جا ص ١٢٤.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني . ص ٤٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨٣.

فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآية ".(١)

الآية الثانية :

قال تعالى: " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ."(٢)

يخبرنا سبحانه وتعالى أن علماء اليهود يعرفون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة تامة كما يعرف الواحد منهم ولده الذى لا يشك فيه كما يعرفون ان البيت الحرام هو قبلة المسلمين، لكنهم يكتمون ذلك بغيا وحسدا .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار : " إنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بما في كتبهم من البشارة به ، ومن نعوته وصفاته التي لا تنطبق على غيره وبما ظهر من آياته وآثار هدايته كما يعرفون أبناءهم الذين يتولون تربيتهم حتى لا يفوتهم من أمرهم شيء."(٣)

ثم ان الذين اطلعوا على التوراة يعترفون بأن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة فيها وأنها تنطبق عليه تماما ، لذا سارعوا للدخول في الاسلام كأمثال عَبدِاللَّهِ بن سَلَّام وزيدِ بن سُعْنَةَ وغيرهما كثير .

يُروى أَنَّ عمر رضي الله عنه سأل عبدالله بن سَلَّام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أنا أعلم بهمني بابني . قال : وَلِمَ ؟ قال : لأني لست أشك في محمد أنه نبي ، فأما ولدى فلعل والدته خانت " . فَقَبَّلَ عمر رأسه .(٤)

الآية الثالثة :

قال تعالى : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الّذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٨٤.
(٢) سورة البقرة ، آية ١٤٦.
(٣) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٠ .
(٤) الكشاف للزمخشرى ج ١ ص ٣٢١.

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ".(١)

تؤكد هذه الآية الكريمة بأن صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا أممهم به ليؤمنوا به ويتبعوه ، ولا تزال هذه الصفات مدونة في كتبهم يعرفها علماؤهم الا أنهم يتواصون بكتمانها أو يؤولونها تأويلات فاسدة .

لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه ويقيم عليهم الحجة بما هو مدون في كتبهم من نعته ومبعثه ، لكنهم يعاندون ويكابرون وتأخذهم العزة بالاثم عن اتباعه .

يقول الامام الرازى في التفسير الكبير : " وهذا يدل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والانجيل لأن ذلك لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الاصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات ، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول قوله ، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته ".(٢)

ويذكر ابن تيمية رواية للبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه : " أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فمرض ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا يهودى أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة صفتي ومخرجي ؟ قال : لا . قال الفتى : بلى والله يا رسول الله إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك وإني أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أقيموا هذا من عند رأسه وَلُوْا أخاكم ."(٣)

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٧.
(٢) التفسير الكبير ،ج ١٥ ص ٢٣.
(٣) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٨٧.

ثم ان عبدالله بن عمرو بن العاص أخبر بصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجودة في التوارة حيث كان يقرأها ويحفظها .

روى البخارى عن عَطَاءِ بن يَسَارٍ قال : " لَقِيتُ عَبدَاللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاص قلتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ . قَالَ : أَجَلْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّورَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرآنِ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحِرْزاً لِلأُمِّيِّينَ أَنتَ عَبدِي وَرَسُولِي سَمَّيتُكَ المُتَوَكِّلَ لَيسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لا إِلهَ إِلاّ اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهِ أَعيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمّاً وَقُلُوباً غُلْفاً ".(١)

الآية الرابعة :

قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِيْنٌ ".(٢)

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حقيقة دعوة عيسى عليه السلام وهي أنه جاء مصدقا لما في التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد ، فهذه بشارة صريحة من نبي الله عيسى للرسول عليهما السلام سواء وجدت هذه البشارة في الأناجيل أم طمست من قِبَل الحاقدين الحاسدين.

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية :

"هذه الآية تصور حلقات الرسالة المترابطة يسلم بعضها الى بعض وهي متماسكة في حقيقتها واحدة في اتجاهها ممتدة من السماء الى الأرض حلقة بعد حلقة في السلسلة الطويلة المتصلة".(٣)

ويقول الزمخشرى في معنى هذه الآية : " أى أُرسلتُ اليكم حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيرى برسول يأتي من بعدى ، يعني أن

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق . ج٣ص٢١.

(٢) سورة الصف ، آية ٦ .

(٣) في ظلال القرآن ج ٦ ص٣٥٥٦.

تصديقي بكتب الله وأنبيائه ممن تقدم وتأخر ، ثم أورد رواية عن كعب الأحبار : أن الحواريين قالوا لعيسى : يا روح الله ، هل بعدنا من امة؟ قال : نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء ، كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل." (١)

وقد جاء في الحديث الصحيح أن من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم " أحمد " كما ورد في هذه البشارة .

روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللّهُ بِي الكُفْرَ وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا العَاقِبُ ." (٢)

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبر أصحابه أنه دعوة أبيه إبراهيم وبشارة أخيه عيسى عليهم الصلاة والسلام .

روى الامام أحمد عن لقمان بن عامر قال :"سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا كَانَ بِدءُ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : دَعوةُ أَبِي إِبرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى ، وَرَأَت أُمِّي أَنَّهُ يَخرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضاءَت لَهُ قُصُورُ الشَام ". (٣)

ثم أن الأخبار قد تواترت عن الرهبان والملوك عند النصارى بأن النبي عيسى عليه السلام بشر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، باسمه وصفته ومبعثه وأن كل ذلك ثابت في الأناجيل ، الا أنهم فعلوا كما فعل اليهود من قبلهم ، فعمدوا الى اخفائها أو تأويلها تأويلات تبعد بها عن الحقيقة . لكن هناك الكثير منهم أراد الله له الهداية ، فصدق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم معلنا أنه مُبَشَّرٌ به عليه الصلاة والسلام من قِبَل عيسى عليه السلام ، أمثال النجاشي والجارود وغيرهما كثير .

جاء في كتاب دلائل النبوة للبيهقي : " أن جماعة من العرب التقوا

---

(١) الكشاف ج ٤ ص ٩٨ -٩٩ ، وانظر تفسير ابي السعود ج ٨ ص ٢٤٤.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ١٦٢ وقوله :"وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي".قال ابن حجر :"أى على أثرى ،أى أنه يحشر قبل الناس ، وهو موافق لقولهفي الرواية الأخرى " يحشر الناس على عقبي" وقوله : "وأنا العاقب" أى الذى ليس بعده نبي . انظر فتح البارى ج٦ص ٥٥٧.

(٣) مسند أحمد ٥/٢٦٢.

براهب من الرهبان في الشام فأخبرهم بأنه سوف يبعث نبي من العرب وأمرهم باتباعه وأخبرهم أن اسمه محمد ، فلما رجعوا الى أهلهم ولد لكل واحد منهم غلام فسماه محمدا .(١)

وهذا يدل على أن أهل الكتاب كانوا يعرفون اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك مدون في كتبهم .

الآية الخامسة :

قال تعالي : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي . قَالُوا أَقْرَرْنَا . قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ."(٢)

توضح الآية الكريمة طبيعة العلاقة بين الأنبياء بعضهم مع بعض ،حيث يصدق بعضهم بعضا لأن الدين مصدره واحد وحقيقته واحدة ، وهم السفراء الكرام ، بين الله وبين الخلق ، فلا خلاف ولا تعارض بينهم بل الانسجام والترابط .

وتفيد هذه الآية أيضا أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد على أنبيائه من لدن آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام أنه مهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أى مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليوءمنن به ولينصرنه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من الايمان بمن بعث بعده ونصرته .

عن علي وابن عباس رضي الله عنهم قالا : " لم يبعث الله نبيا ، آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليوءمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ."(٣)

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ،ج ١ ص ٣٧٨ ، فتح البارى ٥٥٦/٦.
(٢) سورة آل عمران ، آية ٨١.
(٣) فتح القدير ج ١ ص ٣٥٧.

ويقول الامام الرازى : " اعلم أن المقصود من هذه الآيات تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لعذرهم واظهاراً لعنادهم ، ومن جملتها ما ذكره الله في هذه الآية وهو أن الله تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه وأخبر أنهم قبلوا ذلك ".

ويقول أيضا : " اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على وجهين :

الأول : أنه تعالى أخذ الميثاق منهم في أن يصدق بعضهم بعضا .

والثاني : أن المراد من الآية أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه اذا بعث محمد عليه الصلاة والسلام فانه يجب عليهم أن يؤمنوا به وأن ينصروه ، وهذا قول أكثر العلماء ".(١)

ويرى ابن كثير أن هذه الآية تتضمن كلا الوجهين والله أعلم .

والرسول عليه الصلاة والسلام صرح لأصحابه مرات عدة أنه لو كان عيسى وموسى أحياء لكانوا من أتباعه امتثالا لعهد الله الذى أخذه عليهم وقبلوه .

روى الحافظ أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني " وفي رواية أخرى " لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي " .(٢)

الآيـــة السادســة :

قال تعالى : " وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيل ."(٣)

---

(١) التفسير الكبير ج ٨ ص ١١٤ - ١١٥.
(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٨ .
(٣) سورة الشعراء ، الآيتان ١٩٦ - ١٩٧.

تقرر الآية الكريمة أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وما جاء به ثابت في الكتب السابقة وأن علماء بني اسرائيل يحيطون بذلك علما .

والله سبحانه وتعالى يخاطب في هذه الآية المشركين ويقيم عليهم الحجة بقوله " أو لم يكن لهم آية ... " أى أو لم يكن علم علماء بني اسرائيل بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به وهو القرآن دليلا على صحة القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام فيقلعوا عن تكذيبه ويبادروا الى اتباعه علما بأن الكثير من علماء بني اسرائيل صرحوا بهذا الأمر وسمع المشركون منهم مرات كثيرة قبل أن يبعث وبعد أن بعث لأنهم كانوا يخالطونهم ويأنسون اليهم ، والروايات التاريخية خير شاهد على ذلك .

يقول الامام الرازى : " المراد منه ذكر الحجة الثابتة على نبوته عليه السلام وصدقه ، وتقريره أن جماعة من علماء بني اسرائيل أسلموا نصوا على مواضع في التوراة والانجيل ذكر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته ونعته وقد كان مشركو قريش يذهبون الى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر وهذا يدل دلالة ظاهرة على نبوته لأن تطابق الكتب الالهية على نعته وصفته يدل قطعا على نبوته ".(١)

وهكذا فالآية فيها شهادة من الله على بني اسرائيل ، اذ بينت أن علماءهم يعرفون تماما بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي وأن ما جاء به هو الحق ، صرح بذلك من آمن منهم ، وأسرَّ به من لم يوءمن لمن يأنس اليه .

روى أبو نعيم الأصبهاني في الدلائل عن صفية بنت حيي أنها قالت : " كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولدهما الا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل فناء بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي

---

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٦٩.

أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، قالت : فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس • قالت : فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا • قالت : فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت الي واحد منهما مع ما بهما من الهم • قالت : فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي : أهو هو ؟ قال: نعم والله • قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم • قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت أبدا" •(١)

وهكذا أضمر اليهود العدواة للنبي صلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى ، مع علمهم الجازم بأنه النبي الحق الذى تنطبق عليه الصفات التي تحدثت عنها الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى •

الآيـــة السابعـــة :

قال تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ واستَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • "(٢)

تتضمن هذه الآية الكريمة شهادة حبر من أعظم أحبار اليهود ومن أوسعهم علما ، شهد له بهذا قومه أمام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إنّه عبدالله بن سَلّام الذى مَنَّ الله عليه بمعرفة الحق واتباعه بما آتاه الله من العلم ، فلما سمع القرآن علم أنه الوحي الناطق بالحق ، وأنه من جنس مانزل على الانبياء قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم •
وليست هذه الشهادة مقصورة على ابن سلام وإنما شملت كثيرا ممن أسلم من اليهود.
جاء في فتح القدير : " وشهد شاهد من بني اسرائيل العالمين بما أنزل الله في التوراة على مثله (أى القرآن)من المعاني الموجودة في التوراة المطابقة له من حيث اثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك، وهذه المثلية هي باعتبار تطابق المعاني وان اختلفت الألفاظ ، فآمن الشاهد وهو عبدالله بن سلام بالقرآن لما تبين له أنه من كلام الله ومن

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٩•

(٢) سورة الأحقاف ، آية ١٠•

جنس ما ينزله الله على رسله ."(١)

وقصة اسلام هذا الحبر مشهورة ، فعندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة نظر ابن سلّام الى وجه الرسول عليه الصلاة والسلام نظرة فاحصة متأملة ، فأضاء الله بصيرته فتحقق أنه النبي المنتظر وأن وجهه ليس بوجه كذاب .

جاء في رواية البخارى عن أنس رضي الله عنه قال : " بلغ عبدالله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ، ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، ومن أى شيء ينزع الولد الى أبيه ومن أى شيء ينزع الى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خبرني بهن آنفا جبريل ، قال : فقال عبدالله : ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبقها ماوءه كان الشبه له واذا سبق ماوءها كان الشبه لها . قال : أشهد أنك رسول الله . ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك ، فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخبرنا وابن أخبرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك . فخرج عبدالله اليهم ، فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه ."(٢)

وروى سعد بن أبي وقاص قال :"ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن سلام ."(٣)

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٦١٦.
(٢) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ج٤ ص ١٠٢-١٠٣.
(٣) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب من أثنى على أخيه بما يعلم ج٧ ص ٨٧. وصحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ،باب من فضائل عبدالله بن سلام ج ٤ ص ١٩٣٠.

وأخرج الترمذى عن عبدالله بن سلام قال : " نزلت فيَّ آيات من كتاب الله ، نزلت فيَّ "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ"(١) ، ونزلت في : " قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُم وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ .(٢) (٣) "

الآية الثامنة :

قال تعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِم قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(٤) "

تصف الآية الكريمة حال طائفة من أهل الكتاب (النصارى) استجابت للدعوة الجديدة ، فآمنت بالنبي الأمي ايمانا عميقا جعل الدموع تجرى من العيون من شدة تأثرهم بالحق الذى سمعوه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبين الآية الكريمة أن سر ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به هو معرفتهم السابقة من خلال الكتب المقدسة عندهم بأن نبيا من العرب سيخرج آخر الزمان " انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين " . وهكذا كانت المعرفة السابقة سببا في الايمان بهذا الدين الجديد .

يقول الامام البيضاوى في تفسيره : " نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب ، وأن ايمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وانما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزوله أو تلاوته باعتقادهم صحته في الجملة ."(٥)

وقد روى في سبب نزول هذه الآية عدة روايات :

الأولى : قال سعيد بن جبير ، نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي ، فلما قدموا على النبي قرأ عليهم " يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ " حتى ختمها ، فجعلوا يبكون وأسلموا ".

---

(١) سورة الأحقاف ، آية ١٠.

(٢) سورة الرعد ، آية ٤٣.

(٣) سنن الترمذى ،كتاب المناقب ،باب مناقب عبدالله بن سلام ج ٥ ص ٦٧٠.

(٤) سورة القصص ، الآيتان (٥٢ - ٥٣).

(٥) تفسير البيضاوى ج ٤ ص ١٣٠.

الثانية : روى ابن اسحق في السيرة قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا من النصارى وهو بمكة حين ظهر خبره بالحبشة، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أرادوا دعاهم الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لترتادوا لهم فتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحمق منكم . فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لم نأل أنفسنا خيرا." (1)

وبمثل هذه الآية التي أتحدث عنها جاء في سورة المائدة قوله تعالى: " وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ." (2)

وهاتان الآيتان نزلتا في النجاشي وأصحابه ، قال بهذا الزهري والنسائي والطبراني وغيرهم . يقول ابن عطاء : " ما ذكر الله به النصارى من خير فانما يراد به النجاشي وأصحابه ". (3)

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٩٣ - ٣٩٤.
(٢) سورة المائدة ، آية ٨٣ .
(٣) فتح القدير ج ٢ ص ٦٩.

شهادة بعض الأحبار والرهبان والملوك بنبوته صلى الله عليه وسلم

ذكرت فيما مضى أن الله سبحانه وتعلى أخبر في كتابه العزيز ببشارة الكتب السماوية السابقة بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وسأذكر في هذا المبحث شهادة الملوك والأحبار والرهبان بذلك قبل البعثة وبعدها مما دفع كثيرا منهم وممن سمع شهاداتهم الى الدخول في الاسلام .

ومن المؤكد أن ذلك لا يصدر الا عن علم حيث أنهم كانوا يقرأون في كتبهم بشارة الأنبياء بنبوته عليه الصلاة والسلام ومبعثه وصفاته مما جعلهم يحسون بقرب ظهوره ويخبرون كل من سأل أنه أظل زمان نبي وينعتونه بما عندهم .

شهادة الملوك بنبوته صلى الله عليه وسلم

شهادة سيف بن ذى يزن بنبوته عليه الصلاة والسلام :

ذهب عبد المطلب في وفد قريش لتهنئة سيف بن ذى يزن بملكه ، فتكلم بين يدى الملك بكلام سر به الملك ، فأنزلهم دار الضيافة ، ثم أرسل الملك الى عبد المطلب وأسر اليه بحديث وأمره بكتمانه ، قال له : اني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا أنه اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ، هذا حينه الذى يولدّ فيه ، أو قد ولد اسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا ، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الأوثان ويأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله ، ثم قال : والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك تجده يا عبد المطلب غير ذى كذب . ثم قال : اني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وأهل نصره وموضع قبره . وأمره أن يحتفظ به ويحذر

اليهود لأنهم له أعداء .(١)

هذه شهادة ملك اليمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادته ، وهي صريحة واضحة لا غموض فيها ، منبثقة من علمه كما ذكر .

شهادة النجاشي بنبوته عليه الصلاة والسلام :

نقل ابن القيم رواية للواقدى ذكر فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النجاشي كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ، فكتب اليه قائلا : " بسم الله الرحمن الرحيم ، الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله من الله وبركات الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد ، بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا(٢) ، انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين .(٣)"

وهكذا نفعه الله بعلمه فقاده الى الأيمان واتباع النبي صلى الله عليه وسلم لأنه منذ أن سمع القرآن أيقن أنه والانجيل والتوراة تصدر من مشكاة واحد ، فلذا أطلقها صريحة مدوية : " ان هذا القرآن والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة (٤)."

شهادة هرقل والمقوقس بنبوته صلى الله عليه وسلم :

عرف المقوقس ملك مصر أن رسول الله نبي صادق ، ولكن عز عليه مفارقة ملكه واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص٥٦ - ٦٠ ، دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص٢٩٦ - ٢٩٩ ، وقد ذكرت الخبر مختصرا .
(٢) التفروق : علامة تكون بين النواة والتمرة . هداية الحيارى ص٣٥.
(٣) هداية الحيارى ص ٣٤ - ٣٥.
(٤) هداية الحيارى ص ٢٥.

روى الواقدى : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث كتابا للمقوقس مع حاطب ابن أبي بلتعة يدعوه فيه الى الاسلام ، فقال المقوقس : " اني قد نظرت في أمر هذا النبي فرأيته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة من اخراج الخبء والاخبار بالنجوى ، ووصف لحاطب أشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : ان القبط لا يطاوعونني في اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه ."(١)

وأيضا هرقل الملك العالم عرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ، وَهَمَّ بمتابعته لولا أن رآى نفور قومه عندما دعاهم الى ذلك ، فخافهم على نفسه وَضَنَّ بملكه مع علمه أن هذا النبي سيملك ما تحت قدميه كما أخبر أبا سفيان بذلك عندما استدعاه ليسأله عن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم .

روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بأيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا ترجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان : قلت أنا أقربهم نسبا ، فقال : أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه . قال : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عَلَيَّ كذبا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله : ، قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم .

---

(١) هداية الحيارى ص ٣٥ .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال:،ولم تمكنّي كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم، قال : فكيف كان قتالكم اياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأس بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا . قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم . وسألت أيرتد أحدسخطة لدينة بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الأيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان القول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى ، فدفعه الى هرقل فقرأه ....

وكان هرقل حَزّاءً(١) ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : انـي رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب الى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استخبره هرقل ، قال : اذهبوا فانظروا أيختتن هو أم لا فنظروا اليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب فقال هم يختتنون ٠ فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ، ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص ، فلم يَرِمْ(٢) حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي ٠

فَأذِنَ هرقل لعظماء الروم في دَسْكَرَةٍ(٣) له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ٠ فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الأيمان قال ردوهم على وقال اني قلت مقالتي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل ٠(٤)

وفي رواية أبي نعيم في الدلائل عن محمد بن اسحق أن هرقل قال لدحية حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك والله اني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه للذى كنا ننتظر نجده في

---

(١) حزاء : بالمهملة وتشديد الزاى أى كاهن ، يقال حزا التخفيف يحزو حزوا أى تكهن ٠ فتح البارى ج ١ ص ٤١ ٠

(٢) لم يرم : أى لم يبرح من مكانه فتح البارى ج ١ ص ٤٣٠

(٣) الدسكرة : القصر الذى حوله بيوت ٠ فتح البارى ج ١ ص ٤٣٠

(٤) صحيح البخارى ج ١ ص ٥ -٧ ٠

كتبنا ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لأتبعته فاذهب الى ضغاطر الاسقف فاذكر له أمره فهو والله في الروم أعظم مني وأجوز عندهم قولا حتى أنظر ماذا يقول . فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتبنا باسمه ،قال ثم دخل فألقى ثيابا سودا ولبس ثيابا بيضا ثم أخذ عصاه فخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم أنه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا فيه الى الله واني أشهد أن لا اله الا الله وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه "(١).

(١) دلائل النبوة للاصبهاني ص ٣٦٠

شهادة بعض الأحبار بنبوته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها وأثرها فيمن سمعها

روى أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة عن حسان بن ثابت قال: والله اني لغلام يفعه ابن سبع سنين أو ثمان سنين أعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا يقول على آطم يثرب يصرخ : " يا معشر اليهود " فلما اجتمعوا عليه قالوا : مالك ؟ ويلك ! قال : طلع نجم أحمد الذى يبعث الليلة "(١)

وروى البيهقي أيضا في كتابه دلائل النبوة عن ابن اسحق عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : " كان بين أبياتنا يهودى فخرج على نادى قومه بني عبد الأشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان فقال ذلك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثا كائن بعد موت وذلك قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ويحك يا فلان وهذا كائن ، ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم . قال : نعم والذى يحلف به لوددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه ثم يقذفوني فيه ثم يطينون علي واني أنجو من تلك النار غدا . فقيل يا فلان ما علامة ذلك ؟ قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار الى مكة واليمن بيده . قالوا : فمتى نراه ؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفنايات أهلي وأنا أحدث القوم فقال : ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه ، فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وانه لحي بين أظهرهم فآمنا به وصدقناه وكفر به بغيا وحسدا . فقلنا له : يا فلان ألست الذى قلت ما قلت وأخبرتنا ؟ قال : ليس به ."(٢)

وهكذا أخبر اليهود جهارا نهارا عن قرب مبعث النبي وانتظروه وذكروا اسمه صراحة وحددوا الجهة التي سيبعث منها مما دفع من سمع ذلك منهم الى الايمان برسول الله واتباعه .

---

(١) دلائل النبوة للاصبهاني ص ٦٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٤٦ ، دلائل النبوة للاصبهاني ص ٣٥ - ٣٦.

وهذا ابن الهيبان حبر عظيم من أحبار اليهود آتاه الله علم الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام حيث قرأ البشارة ببعثة المصطفى عليه السلام في التوراة ، وأحس باقتراب الأمر ، فترك البلد الذى فيه ومشى يبحث عن النبي المبشر به ، فلما حانت ساعة الموت وأيقن أنه لم يقدر له أن يراه أخبر بذلك من حوله من اليهود لعلهم ينتفعون بذلك ، وبالفعل فقد كان لخبره أكبر الأثر في دخول نفر من شبابهم في الاسلام .

روى البيهقي في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : هل تدرى عما كان اسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وأسد بن عبيد نفر من بني ذهل . لم يكونوا من بني قريظة وبني النضير كانوا فوق ذلك . فقلت : لا قال : فانه قدم علينا من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس خيرا منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين ، وكنا اذا أقحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة . فنقول : كم ؟ فيقول صاعا من تمر أو مُدَّيْنِ من شعير فنخرجه ، ثم يخرج الى ظاهر حرتنا ونحن معه فنستسقي فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة فحضرته الوفاة واجتمعوا اليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير الى أرض البوءس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فانه انما أخرجني توقع خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلاد مهاجره فاتبعوه ولا تُسبقن اليه اذا خرج يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذرارى ممن خالفه ولا يمنعنكم ذلك منه ثم مات . فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة قال أولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبابا أحداثا : يا معشر يهود والله انه لصفته ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم ."(١)

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٤٨ ،وانظر دلائل النبوة للأصبهاني ص ٤٣ - ٤٤ .

وهذا مخيريق الحبر العالم يرى أن من الواجب عليه أن ينصر النبي يوم أحد في قتاله مع المشركين .

روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن اسحق قال : وكان في حديث مخيريق ، وكان حبرا وكان غنيا كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته بما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد وكان يوم السبت ، قال : يا معشر اليهود والله انكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : ان اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت اليوم ، ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فمالي لمحمد يصنع فيه ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يقول : مخيريق خير يهود ، وقبض الرسول عليه الصلاة والسلام أمواله ، فعامة صدقات رسول الله عليه السلام بالمدينة منها ."(١)

وكذلك زيد بن سعنة يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله ، وهو الموصوف في كتبهم ، لذا أعلن اسلامه .

روى ابو نعيم في الدلائل عن عبدالله بن سلام أن الله عز وجل لما أراد هدى زيد بن سعنة قال زيد : انه لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما ، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله .... فقلت له : يا محمد هل لك أن تبيعني تمرا معلوما من حائط بني فلان الى أجل كذا وكذا فقال : لا يا يهودى ولكن أبيعك تمرا معلوما الى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان . قال:فقلت نعم..........

قال زيد : فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من الصحابة فلما صلى على الجنازة ودنا من الجدار ليجلس اليه أتيته بجوامع قميصة وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ، الا تقضيني يا محمد

---

(١) دلادئل النبوة للأصبهاني ص ٣٩ - ٤٠

حقي فوالله ما علمتكم يا بني عبدالمطلب الا لمطل ولقد كان لي بمخالطتكم علم . قال : فنظر الى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير ثم رماني بطرفه وقال : يا عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ينظر الى عمر في سكون وتوءدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاتباع ، اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان مارعته . قال زيد : فذهب بي عمرفقضاني وزادني عشرين صاعا من تمر ، فقلت : ما هذه الزيادة ؟ فقال : أمرني رسول الله أن أزيدك مكان ما رعتك . فقلت : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ فقلت : أنا زيد بن سعنة . قال : الحبر ؟ قلت : الحبر . قال : فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت وتفعل به ما فعلت ؟ قلت : يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما ، فقد خبرتهما ، فاشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وأشهدك أن شطر مالي - فاني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد صلّى الله عليه وسلم. فقال عمر : أو على بعضهم فانك لا تسعهم كلهم . قلت : أو على بعضهم. فقال : فرجع عمر وزيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فآمن به وصدقه وتابعه، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة ثم قتل في غزاة تبوك شهيدا مقبلا غير مدبر رحمه الله ."(١)

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٥٢ - ٥٥.

شهادة بعض الرهبان ومن سمع منهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

تواترت الأخبار بأن كثيرا من الرهبان شهدوا للرسول عليه الصلاة والسلام أنه النبي المنتظر المنعوت في كتبهم قبل أن يبعث ٠

من أمثال ذلك ، بحيرا الراهب الذى رآه وهو صغير مع عمه أبي طالب ، اذ كانوا متجهين في تجارة لهم الى الشام ، فأخبر بحيرا أبا طالب بما رآى من علامات النبوة البادية عليه ، وأمره برعايته والحفاظ عليه ، وحذره من اليهود لأنهم أعداء له ٠"(١)

ومن ذلك أيضا نسطورا الراهب الذى أخبر ميسر الغلام المرافق للرسول صلى الله عليه وسلم في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها أنه نبي بما عرف من صفاته ٠"(٢)

ومنذ بزوغ فجر الدعوة واشراقة شمسها شهد له عليه الصلاة والسلام عالم من علماء النصراينة أنه النبي الموصوف في الأنجيل ، ذلك العالم هو ورقة بن نوفل ، حينما ذهبت السيدة خديجة برسول الله صلى الله عليه وسلم اليه بعد نزول الوحي عليه ٠

جاء في صحيح البخارى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ٠٠٠٠٠٠٠ الى أن قالت : فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الأنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجه : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقه : يا

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٠٨ - ٣١٢ ، دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٢٥-١٢٧٠

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج١ ص ٣٣٧ ، دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٣٣٠

أخي ماذا ترى ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه . فقال له ورقه : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا موءزرا ."(١)

وهذا زيد بن عمرو بن نفيل قد استقامت فطرته واستعلت على الجاهلية طوّف الأرض بحثا عن الدين الحق فالتقى بعدد من الأحبار والرهبان فأخبروه أن وراءك نبيا يبعث في أرض الحرم ، ووصفوه له بما ثبت لديهم من أوصاف ، فعاد من حيث أتى ينتظر هذا النبي ، فلم يشأ الله له أن يدركه فيموت على الحنيفية ، دين ابراهيم عليه السلام .

روى البيهقي في الدلائل : " أن زيدا بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل ، فقال لزيد : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ قال : من بيت ابراهيم عليه السلام. قال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين . قال : ارجع ، فانه يوشك أن يظهر الذى تطلب في أرضك ، فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فعرض على النصرانية فلم توافقه ورجع وهو يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا ...... ثم يخر يسجد .

قال وجاء ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ان أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له ، قال : نعم يبعث يوم القيامة أمة وحده ."(٢)

وفي رواية أخرى عند أبي نعيم عن عبدالله بن عامر عن أبيه قال: لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد حراء يصلي فيه ، واذا هو قد كان بينه وبين قومه سوء في صدر النهار فيما أظهر من خلافهم واعتزال آلهتهم وما كان يعبد آباوءهم ، فقال زيد : يا عامر اني خالفت قومي

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ،ج١ ص ٣-٤.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٨٤.

فاتبعت ملة ابراهيم خليل الله وما كان يعبد ابنه اسماعيل عليهما السلام من بعده وما كان يصلون الى هذه القبلة ، فانا أنتظر نبيا من ولد اسماعيل من بني عبدالمطلب اسمه أحمد ولا أراني أدركه ، فأنا يا عامر أوءمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فان طالت بك المدة فرأيته فأقرئه مني السلام وسأخبرك يا عامر ما نعته حتى لا يخفى عليك • قلت : هلم • قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه حتى يخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره فاياك أن تنخدع عنه فاني بلغت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم عليه السلام وكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول هذا الدين وراءك وينعتونه مثلما نعته لك ويقولون لم يبق نبي غيره • قال عامر : فوقع في نفسي الاسلام • وكنت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبر به زيد بن عمرو فترحم عليه وقال : لقد رأيته في الجنة يسحب ذيلا أو ذيولا•"(١)

والمغيرة بن شعبة يفر من دعوة الحق ويأبي الله عليه الا أن يشرح صدره للايمان بما سمع من ملوك النصارى ورهبانهم وشهادتهم له أنه نبي صادق بشرت به كتبهم •

ذكر الأصبهاني في دلائل النبوة أن المغيرة خرج وبني مالك الى مصر ودخلوا على المقوقس فسألهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به وموقف قومه منه وهم يجيبونه على ذلك فقال المقوقس : هو نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم تبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم وهذا الذى تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر ومنقطع البحور ويوشك قومه يدافعونه بالرماح •

قال المغيرة : فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاما ذللنا لمحمد صلى الله عليه وسلم وخضعنا وقلنا ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بعد

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٦٢•

أرحامهم منه ونحن أقرباوءه وجيرانه لم ندخل معه قد جاءنا داعيا الى منازلنا ، ثم قال : فأقمت بالاسكندرية لا أدع كنيسة الا دخلتها وسألت أساقفها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكان أسقف من القبط هو رأس كنيسة - أبي غني أو أبي غشيم - كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم ، لم أر أحدا قط يصلي الصلوات الخمس أشد اجتهادا منه ، فقلت : أخبرني هل بقي من الأنبياء ؟ قال : نعم وهو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى أحد وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبي الأمي العربي اسمه أحمد ليس بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة ليس بالأبيض ولا بالآدم ، يعفي شعره ، ويلبس ما غلظ من الثياب ، ويجتزئ بما لقي من الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يبالي من لاقى ، يباشر القتال بنفسه ، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم ، هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم ، يخرج من أرض القرظ[1] ومن حرم يأتي الى حرم ، يهاجر الى أرض سباخ ونخل يدين بدين ابراهيم عليه السلام ....

قال المغيرة : فرجعت الى النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وأخبرته بما قال الملك وقالت الأساقفة ، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب أن يسمعه أصحابه فكنت أحدثهم ذلك في اليومين والثلاثة ."[2]

وهذا طلحة بن عبدالله يسارع الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أخبره راهب ببصرى أن محمدا رسول الله ، وأوصاه باتباعه.

روى البيهقي عن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال : قال طلحة بن عبدالله : " حضرت سوق بصرى فاذا راهب بصومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلت : نعم . فقال هل ظهر أحمد بعد ؟ قال : قلت ومن أحمد ؟ قال : ابن عبدالله بن عبدالمطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء مخرجه من

---

(١) القرظ : نوع نبات . انظر القاموس المحيط ج ٢ ص ٤١٢.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٤٧ - ٥٠ . وقد ذكرته مختصرا .

الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه ، قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حدث ؟ قالوا ، نعم محمد بن عبدالله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة . قال : فخرجت حتى دخلت على أبي بكر فقلت : اتبعت هذا الرجل؟ قال : نعم ، فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه ، فانه يدعو الى الحق . فأخبره طلحة بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم طلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب فسر عليه الصلاة والسلام بذلك . "(١)

وممن تأثر بأخبار الرهبان سلمان رضي الله عنه ، وقصة اسلامه مشهورة معروفة تواترت الأخبار بنقلها .

كان سلمان مجوسيا ولكن فطرته السليمة رفضت عبادة النار ، فأخذ يبحث عن دين يقبله العقل السليم فوجد النصرانية أفضل مما هو عليه فترك الأهل والأوطان لرفقة أرباب هذا الدين الجديد ومكث معهم مدة فكان كل راهب يموت يوصيه أن يذهب الى راهب آخر مماثل له في الصلاح وهكذا حتى كان عند آخر واحد منهم في عمورية فحضرته الوفاة ، فقال له سلمان: الى من توصيني ؟ فقال : أى بني والله ما أعلم بقي على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين الى أرض سبخة ذات نخل ، وأن فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فان استطعت أن تخلص الى تلك البلاد فافعل . فما أن وَارَى صاحبه حتى أخذ يبحث في وسيلة توصله الى ما ذكر له صاحبه ، فالتقى بركب من تجار العرب فاتفق معهم أن يحملوه على أن يعطيهم ما يملك فوافقوا على ذلك فذهب معهم ولكنه لم يدرك ما يريد لأن التجار باعوه فاصبح مسلوب الحرية ، ويشاء الله أن يشتريه يهودى يسكن المدينة المكان الذى وصف له صاحبه أنه البلد الذى سيأتي اليه النبي مهاجرا فسر بذلك . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه سلمان ليعرف العلامات التي ذكرها له صاحب عمورية فيجدها فيه عليه الصلاة والسلام . عندها أعلن اسلامه

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤١٨ - ٤١٩ .

لله رب العالمين ، وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على تخليصه من الرق ليعبد الله في حرية تامة رضي الله عنه وأرضاه ."(١)

وأيضا الجارود يأتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبدالقيس معلنا اسلامه لله رب العالمين وقرأ أن صفة النبي عليه الصلاة والسلام ثابتة في الأنجيل اذ كان عيسى عليه السلام قد بشر به في الأنجيل وأوصى باتباعه .(٢)

ولم يقف الحد عند التبشير برسول الله وذكر مولده وأوصافه ومهاجره وأمته ، بل كان الرهبان يعرفون صورته ويحتفظ بعضهم بها .

روى البيهقي عن محمد بن جبير بن مطعم قال : " سمعت أبي جبير يقول : لما بعث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وظهر أمره بمكة خرجت الى الشام ، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن الحرم أنت ؟ قلت : نعم . قالوا :أفتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم . فأخذوني بيدى فأدخلوني ديرا لهم فيه تماثيل وصور فقالوا لي : انظر هل ترى صورته ؟ قلت : لا . فأدخلوني ديرا أكبر من ذلك الدير واذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير ، فقالوا لي : انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فاذا أنا بصفته وصورته ، واذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا لي : هل ترى صفته ؟ قلت : نعم . قالوا : أهو هذا ؟ وأشاروا الى صفته ، قلت : اللهم نعم أشهد أنه هو . قالوا : أتعرف هذا الذى آخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده ."(٣)

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على أن الملوك والأحبار والرهبان كانوا يعلمون أنه نبي صادق بما ثبت عندهم في كتبهم من البشارة به ونعته وأنه نبي آخر الزمان ولا نبي بعده عليه الصلاة والسلام .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٥٨ وقد ذكرت الخبر مختصرا .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٦٩ .
(٣) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٨ ، دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٦.

بشارات الكتب السماويــــــــــة

بعد الحديث عن الآيات التي تؤكد أن الأنبياء السابقين بشـــروا أممهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن شهادة الملوك والأحبـــار له بالنبوة نعود الآن الى الكتب المقدسة عندهم لاستخراج النصوص التــي تشير الى نبوته وصفاته وصفات أمته .

من المعلوم أن الكتب السماوية السابقة طرأ عليها التحريـــــف والتغيير بأيدى علماء أهل الكتاب ، وهذا ما شهد القرآن عليهم بـه ، قال تعالى : " فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِــن عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَت أَيْدِيهِم وَوَيْلٌ لَهُــم مِمَّا يَكْسِبُونَ ". (١)

والواقع يشهد بهذا أيضا فالخلاف الظاهر بين نسخ التوراة والأنجيل وطبعاتها قديما وحديثا يوءكد أن هذه الكتب قد حرفت وبدلت ، جاء فــي في الجواب الفسيح : " وأنت تعلم اذا نظرت أيضا الى التوراة التــي طبعها الكاثوليك تراها متخالفة متغايرة وكل نسخة لا توافق الأخـــرى وكذا أناجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعاتها ، وهـــذا الحال مستمر في جميع فرقهم وسائر الأزمان وظاهر ظهور الشمس للعيان." (٢)

ومن ضمن النصوص التي تعرضت للتحريف النصوص التي تتحدث عــــن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والشاهد على هذا أن علمـــاء المسلمين المتقدمين نقلوا نصوصا في كتبهم من النسخ التي كانت فــي عصرهم تنص صراحة على اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وجادلوهم بهذه النصوص ومن هوءلاء العلماء الماوردى وابن القيم وابن تيمية والـــرازى والقرطبي وغيرهم .

أما في هذا العصر فلا وجود لمثل هذه النصوص التي تذكر اسم النبي صراحة ،ولكن على الرغم من هذا التغيير والتحريف فما تزال هناك الكثير من النصوص التي تذكر صفات النبي وصفات امته ومكان بعثته وغير ذلـك ، وسأعرض في الفصلين القادمين لجملة من هذه النصوص .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٧٩ .

(٢) الجواب الفسيح ص ٥ لأبي البركات نعمان خير الدين الالوسي نقلا عن نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٠٦.

الفصـــل الأول

بشارات التـــوراة

البشارة الأولى :

ورد في سفر التكوين الاصحاح السادس عشر :

" وَقَالَ لَهَا مَلاكُ الرَّبِّ تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الكَثْرَةِ ، وَقَالَ لَهَا مَلاكُ الرَّبِّ هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا يَدُهُ عَلَى كُلٍّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلٍّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ "وفي طبعة قديمة " وَيَدُ الجَمِيعِ مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بِالخُضُوعِ."(١)

وفي نفس السفر الاصحاح الحادى والعشرون : " قُومِي احْمِلِي الغُلامَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً " .

يبين هذا النص أن الملاك بشر هاجر بأن الله سيجعل من ولدها اسماعيل أمة عظيمة وأن سلطانه سيمتد فوق الجميع ، ومعلوم أن نسل اسماعيل عليه السلام لم يكن منهم أمة عظيمة ولا أيديهم فوق الجميع الا بعد أن بعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأصبح سلطانه ممتدا فوق الجميع شرقا وغربا فدانت له شعوب الأرض وخضعت له أممها ، وصاروا به أمة عظيمة قاهرة .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " لم يكن لولد اسماعيل سلطان على أحد من الأمم لا أهل الكتاب ولا الأميين ، فلم تكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الذى دعا به ابراهيم واسماعيل حيث قالا : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ "(٢)، فلما بعث صارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم وقهروا اليهود

---

(١) أعلام النبوة للماوردى ص ١٢٨.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩.

والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين".(١)

ويقول الاستاذ محمد عزت الطهطاوى : " والمتتبع للنص العبرى وهو:
" يا هاجر قومي سي هاعر وهاجر يقي اث نادح يولي لفي دل اتمي مايو" ، وتفسيره يا هاجر قومي احملي هذا الطفل واحتفظي به فإن منه محمدا وذريته كنجوم السماء .

وهكذا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى هو من نسل اسماعيل عليه السلام حقق الله سبحانه ما وعد هاجر به اذ جعل من ابنها أمة عظيمة وكانت يده فوق الجميع .

البشارة الثانية : ورد في سفر التكوين الاصحاح السابع عشر :
" وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ لَيتَ إِسْمَاعِيْلُ يَعِيْشُ أَمَامَكَ ، فَقَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَةُ امرَأَتَكَ تَلِدُ لَكَ إِبْنَاً وَتَدْعُو إِسْمَهُ إِسْحَقَ وَأُقِيْمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدَاً أَبَدِيَّاً لِنَسْلِهِ مِنْ بَعدِه ، وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرَاً جِدَاً إِثْنَى عَشَرَ رَئِيسَاً يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيْرَةً " . وفي بعض النسخ القديمة : " وَأَمَا فِيْ إِسْمَاعِيل فَقَد قَبِلتُ دُعاءَك ، قَد بَارَكتُ فِيهِ وَ أُثمِرُهُ وَأُكَبِّرُهُ بِمأْدْمأْدْ "(٣)

يبين هذا النص أن الله وعد ابراهيم عليه السلام بمباركة ولده اسماعيل وذريته بأن يكون منه روءساء يحكمون الناس ويجعل من نسله أمة عظيمة ، وقد تحققت هذه البركة بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسل اسماعيل عليه السلام ، ولكن عنصرية اليهود تدفعهم الى القول بأن البركة محصورة في اسحق ولد ابراهيم عليهما السلام ونسله الى الأبد كما ذكر في هذا النص ، وهذا من تحريفهم الظاهر في النص لأن هذا مناف لسنة الله ، فقد قال في القرآن الكريم : " لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ " .(٤)

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣١٣-٣١٤.
(٢) محمد نبي الاسلام ص ٧.
(٣) هداية الحيارى ص ٦١ .
(٤) سورة البقرة آية ١٢٤.

وجاء في التوراة ، سفر الخروج ، الاصحاح التاسع عشر : " إِن سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي وَحَفِظْتُم عَهْدِى تَكُونُونَ لِيْ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ" .

هكذا بصيغة الشرط ، أى اذا سمعوا التعاليم الالهية وحافظوا على عهد الله فانه يختارهم ويفضلهم على الشعوب الى الأبد . ومعلوم أن بني اسرائيل لم يحفظوا عهد الله ، وخالفوا تعاليمه ، لهذا فانهم لايستحقون هذه البركة الأبدية التي يزعمون ، ثم ان هذا النص يشير الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله "مأذمأذ" بدل " كثيرا جدا " كما في النسخة القديمة ،وكلمة بِمُأْذْمُأْذْ هي الموجودة في التوراة العبرية لكنها ترجمت ب " جدا جدا " أو " كثيرا جدا " .

يقول الامام ابن القيم : "وقد اختلف فيها علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون معناها جدا جدا أى كثيرا كثيرا ، فان كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيرا كثيرا ، ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالت طائفة أخرى بل هي صريح اسم محمد . قالوا ويدل عليه أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية ، فهي أقرب اللغات الى العربية والأمثلة على ذلك كثيرة . فاذا أخذت لفظة " مأذمأذ " وجدتها أقرب شيء الى لفظ محمد ، ويدل على ذلك أداة الباء في قوله " بمأذماذ " ، فلا يقال أعظمه بجدا جدا ، بخلاف أعظمه بمحمد . "(١)

ويذكر بعض من أسلم من اليهود أن هذه الكلمة تعني محمدا بحساب الجمل الذى اشتهر فيه اليهود قديما وحديثا . يقول الدكتور أحمد السقا : " ان الربانيين والأحبار من اليهود العبرانيين واليهود السامريين الذين أسلموا والذين لم يسلموا اعترفوا بأن اسم محمد موضوع بدله عمدا " بمأذماذ " ليعرفه العلماء وحدهم اذا جاء ويكونون في حل من انكاره اذا أرادوا ."

ثم يستشهد الدكتور السقا على ذلك بقول شموئيل بن يهوذا بن

---

(١) هداية الحيارى ، ص ٦١ - ٦٢ .

أيوب المتوفي سنة ٥٧٠هـ وهو من اليهود الذين اسلموا ، وبقول عبد السلام وكان من أحبار اليهود ، وقد أسلم في عهد السلطان بايزيد خان ، يقول شموئيل : " الاشارة الى اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة ، قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوارة مخاطبا لابراهيم عليه السلام : " وأما في اسماعيل فقد قبلت دعاءك ، قد باركت فيه وأثمره وأكثره جدا جدا " . ذلك قوله : " وليشماعيل شمعتيخا هني بيراختي اونو وهفريتي اوتو وهربيتي بمادماد" . فهذه الكلمة اذا عددنا حساب حروفها بالجمل وجدناه اثنين وتسعين وذلك عدد حروف محمد صلى الله عليه وسلم فانه أيضا اثنان وتسعون ."(١)

ووافقه على ذلك عبدالسلام الذى صنف رسالة سماها بالرسالة الهادية حين اسلامه ، يقول فيها : " واعترضوا على هذا الدليل بأن الباء في " بمأذمآذ " ليست من نفس الكلمة ، بل هي أداة وحرف جيء به للصلة فلو أخرج منه اسم محمد لاحتاج الى باء ثانية ، ويقال " بِمُأْذْمُأْذ " قلنا : من المشهور عندهم اذا اجتمع الباءان أحدهما أداة والآخر من نفس الكلمة تحذف الأداة وتبقى التي هي من نفس الكلمة ، وهذا شائع في نفس الكلمة ، وهذا شائع في مواضع غير معدودة فلا حاجة الى ايرادها."(٢)

البشارة الثالثة :

جاء في سفر التكوين ، الاصحاح التاسع والأربعون :
"وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ اجْتَمِعُوا لِأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ..... ...... لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِن يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضوعُ شُعُوبٍ".

يبين هذا النص أن الملك والشريعة ستظل في آل يهوذا حتى يأتي نبي من غيرهم وله يكون خضوع الشعوب ، اذا من المعلوم أن ما بعد (حتى) من جنس مغاير لما قبلها ، ولو كان قصد يعقوب عليه السلام استمرار الملك والشريعة في بنيه الى الأبد لما كان لكلامه فائدة .

---

(١) نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ٣٣ ، ٣٥.
(٢) اظهار الحق ص ٢٥١ - ٢٥٢.

فشيلون الذى ستخضع له الشعوب والذى يخبر عنه يعقوب في أواخر أيامه من هو ، ومن نسل من سيأتي ؟

ذكرت فيما سبق أن الله بارك اسماعيل كما بارك على اسحق • وقد تحققت بركة اسحق بأن بعث من نسله الكثير من الأنبياء وجعل منهم ملوكا يحكمون الناس ، أما اسماعيل عليه السلام فلم تتحق له البركة في نسله بعد ، اذن فالنبي الآتي الذى أخبر عنه يعقوب عليه السلام لا بد أن يكون من نسل اسماعيل لتتحقق بركة الله في نسل اسماعيل عليه السلام ، كما تحققت في نسل اسحق عليه السلام من قبله •

ولم يأت من نسل اسماعيل عليه السلام نبي غير محمد صلى الله عليه وسلم الذى خضعت له الشعوب وصرح بنسخ شريعة التوراة والانجيل ودعا أهل الكتاب الى اتباعه واتباع ما جاء به لكنهم رفضوا وبقوا على ما هم عليه فبدد الله ملكهم به صلى الله عليه وسلم •

يقول الحبر عبدالسلام في الرسالة الهادية : " لا يزول حاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجيء الذى له واليه تجتمع الشعوب "(١)

يدل هذا النص على أن بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد تمام حكم موسى وعيسى عليهما السلام ، لأن المراد بالحاكم موسى لأنه ما جاء بعد يعقوب صاحب شريعة الى زمن موسى الا هو ، والمراد بالراسم عيسى عليه السلام لأنه لم ينبأ أحد بعد موسى الى زمن عيسى الا هو ، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة الا محمد صلى الله عليه وسلم ، فعلم أن المراد من قول يعقوب في آخر الايام هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن بعثته في آخر الزمان بعد مضي حكم الحاكم والراسم • ويدل عليه أيضا قوله " حتى يجيء الذى له " أى الحكم بدلالة سياق النص ، وأما قوله " واليه تجتمع الشعوب " فهي علامة صريحة ودلالة واضحة على أن المراد منها هو محمد لأنه ما اجتمعت الشعوب الا اليه ".(٢)

---

(١) اظهار الحق ص ٢٥٢•

(٢) اظهار الحق ص ٢٥٢ - ٢٥٣•

البشارة الرابعة :

ورد في سفر التثنية الاصحاح الثامن عشر :

" يُقيمُ لَكَ الرَبُّ إلهُكَ نَبيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إخْوَتِكَ مِثْلي لَهُ تَسمَعُون .... قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا أُقِيْمُ لَهُمْ مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ وَيَكُونُ أَنَّ الانسَانَ الَّذِى لا يَسمَعُ لِكَلَامِي الَّذِى يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ ، وَأَما النَبيُّ الَّذِى يُطْغِى فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَاماً لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، أَوِ الَّذِى يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخرَى فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَبِيُّ وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ كَيفَ نَعرِفُ الكَلَامَ الَّذِى لَمْ يَتَكَلَّم بِهِ الرَّبُّ ، فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ فَهُوَ الكَلامُ الَّذِى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَبِيُّ فَلَا تَخَفْ مِنْهُ ."

يقرر هذا النص أن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبيا من وسط اخوة بني اسرائيل ، لا من بني اسرائيل أنفسهم ، لأنه لو كان المراد أنه سيبعثه من بني اسرائيل لقام " منهم " بدلا من قوله " من وسط اخوتهم".

ومعلوم أن اخوة بني اسرائيل هم بنو اسماعيل وبنو عيسو وبنو أبناء قطورا زوجة ابراهيم عليه السلام . لكن بني عيسو وبني أبناء قطورا لم يظهر فيهم نبي بهذه الصفات المذكورة في النص، ثم انهم ليس لهم بركة كاسحق واسماعيل عليهما السلام كما ذكرنا سابقا.

اذن فالنبي الذى سيبعث من اخوة بني اسرائيل هو من بني اسماعيل تحقيقا لوعد الله ابراهيم عليه السلام بالبركة في نسل اسماعيل عليه السلام .

ويبين النص أن النبي المبعوث مثل موسى عليه السلام ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم مماثل لموسى عليه السلام في كثير من الأمور ، من أهمها أنه أتى بشريعة ذات أحكام وفرائض وأنه مأمور بالجهاد وبالطهارة للصلاة وأنه عبدالله ورسوله مثل موسى عليه السلام . قال تعالى : " إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَونَ رَسُولاً ."(١)

---

(١) سورة المزمل ، آية ١٥.

ويبين النص أيضا أن النبي المبعوث أمي يحفظ ما يسمع لقوله " أجعل كلامي في فمه " . ومعلوم أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كان كذلك .

ويبين النص أن هذا النبي أمين على الوحي يبلغ عن الله ما يسمع دون زيادة أو نقص لقوله " فيكلمهم بكل ما أوصيه به " . والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك .

كما يبين أيضا أن بني اسرائيل مطالبون بالسماع له وباتباع ما جاءهم به من الله والا سيعرضون أنفسهم الى نقمة الله ورسوله لقوله " ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامي ..... أنا أطالبه " . أى أنتقم منه لعدم سماعه من النبي الذى بعثه الله اليهم ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعث اليهم والى الناس كافة ودعاهم الى اتباعه وعندما رفضوا انتقم الله منهم على يده حيث قُتِلَ من قُتِلَ منهم وأُجلِيَ بعضهم عن ديارهم وسلبت أموالهم ، وذلك بسبب غدرهم وخيانتهم . يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " ليس المراد بالانتقام من المنكر العذاب الأخروى الكائن فى جهنم أو المحن والعقوبات الدنيوية لأن هذا الانتقام لا يختص بانكار نبي دون نبي بل يعم الجميع فيحنئذ يراد بالانتقام الانتقام التشريعي مظهر منه أن هذا النبي يكون مأمور من جانب الله بالانتقام من منكره ."[1] وفي هذا دلالة على أن النبي المبعوث مأمور بجهاد المنكرين وهذا ما جاء به سيد المرسلين لاعلاء كلمة الله في الأرض .

ويدل هذا النص أيضا على أن شريعة الاسلام ناسخة لشريعة التوراة لكونهم مأمورين باتباعه كما هو واضح من النص .

كما أن النص يبين أن مصير النبي الذي يطغي ويكذب على الله أويتكلم باسم الهة أخرى فانه يموت أى يقتل ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم حفظه الله من القتل رقغم المحاولات الكثيرة لقتله وأنزل الله في حقه : " والله يعصمك من الناس " .[2] فلو كان كاذبا أو يتكلم باسم آلهة آخرى ـ حاشا لله ـ لما حفظه ولأمكن من قتله ، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه النبي الذي وعد الله به موسى عليه السلام .

---

(١) اظهار الحق ، ص ٢٤٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٦٧.

ثم يبين النص علامة النبي الكاذب من الصادق ، فالذى يتحدث عن أمور غيبية مستقبلية ولم تحدث فهو نبي كاذب والصادق خلاف ذلك تماما ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أخبر بالكثير من الأمور الآتية وحدثت وفقا لما تحدث به صلى الله عليه وسلم .

لذا فهذا النص من أوضح النصوص دلالة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فكل ما ذكر فيه منطبق عليه ويؤكد أنه النبي الذى وعد الله موسى أن يرسله في آخر الزمان .

ولكن بعض الأحبار يقولون أن هذه البشارة بيشوع بن نون ، والبعض الآخر يقولون انه لم يأت بعدُ النبيُ المبشر به في النص ، والنصارى يقولون ان هذه البشارة بعيسى عليه السلام .

والجميع ليسوا على صواب لأن النص يذكر أن النبي الآتي آخر الزمان ليس من بني اسرائيل بل من اخوتهم ، ومعلوم أن يوشع وعيسى من بني اسرائيل ، فدل ذلك على أنهما ليسا هما المقصودين . ويؤكد ذلك أيضا أن اليهود في زمن عيسى عليه السلام كانوا ينتظرون هذا النبي المشار اليه في هذه البشارة ، يقول الاستاذ ابراهيم خليل أحمد : " فَسَّرَ اليهود هذا النص بمجيء رسول منهم لا من ولد اسماعيل ، وكأن الله تعالى جعل هذه العبارة مجملة وألهمهم هذا التفسير حفظا لهذه البشارة ، لأنهم لو عرفوا أن الرسول المبشر به سيكون من ولد اسماعيل لأخفوها أو محوها وقد أثبتت الأيام أن الرسول المبشر به هو محمد صلى الله عليه وسلم ." (١)

ثم ان النص يذكر أن النبي الآتي مثل موسى عليه السلام ومعلوم أن يوشع ليس مثل موسى عليه السلام ، لأن موسى صاحب شريعة ، ويوشع تابع لشريعة موسى ، وهذا لا ينطبق على عيسى عليه السلام لأنه لم يأت بشريعة جديدة وانما كان تابعا ومكملا لشريعة موسى عليهما السلام ، وقد صرح بذلك بقوله " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس " (٢) .

وعلى زعم النصارى فان عيسى عليه السلام اله ، فهو اذا ليس مثل

---

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن .

(٢) انجيل متى [illegible]

موسى لأن موسى عبدالله ورسوله ، ثم ان التوراة تؤكد أنه لا يقوم مثل موسى في بني اسرائيل .

فقد جاء في سفر التثنية الاصحاح الرابع والثلاثين : " وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهاً لِوَجْهٍ . "

ثم انه ورد في النص لفظ " يقيم " في المستقبل ، ويوشع كان حاضرا مع موسى نبيا في ذلك الوقت .

وعلى زعم النصارى فان عيسى عليه السلام قُتِل وصُلِب ، فهذه البشارة لا تنطبق عليه لأن النص يذكر أن النبي الصادق لا يقتل بل يحفظه الله ، ولكن الله برأه مما قالوا فلم يقتل ولم يصلب .(١)

البشارة الخامسة :

ورد في سفر التثنية الاصحاح الثاني والثلاثين :
" فَرَأَى الرَّبُّ وَرَذَلَ مِنَ الغَيْظِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَقَالَ أَحجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَأَنْظُرُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ ، إِنَّهُم جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ أَولَادٌ لَا أَمَانَةَ فِيهِم ، هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلٰهاً ، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِم فَأَنا أُغِيرُهُم بِمَا لَيسَ شَعباً بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ ".

وفي نسخة قديمة : وَبِشَعبٍ جَاهِلٍ أُغْضِبُهُم ".(٢)

وورد في سفر أشعيا ، الأصحاح الخامس والستين نص مماثل : " أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسأَلُوا ، وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي ، قُلتُ : هٰأَنَذَا لِأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي ".

تشير هذه النصوص الى أن الله سيصطفي أمة جديدة لحمل رسالة الله الى الناس من غير بني اسرائيل اغاظة لهم لكونهم خانوا الأمانة واتجهوا بالعبادة لغير الله وساروا خلف أهوائهم وشهواتهم .

---

(١) اظهار الحق ، ص ٢٤٠ — ٢٤٢ .
(٢) اظهار الحق ص ٢٤٩.

وتبين هذه النصوص صفات الأمة التي سيختارها الله ، انها امة غبية جاهلة لم تسأل عن الله ولم تبحث عنه ولم تسم باسمه ، امة محتقرة في نظر اليهود يقهرهم بها .

وهذه الصفات لا تنطبق الا على أمة العرب قبل نزول نور الله عليها، فقد كانت تعيش في جهل وضلال ، وكان العرب يعبدون الأصنام المنحوته بأيديهم ، ولم تأب عقولهم ذلك ، ولم يُعملوا عقولهم في البحث عن الله فهم في غيهم سادرون .

ثم انهم لم يوءتوا حظا من العلم لا العلوم العقلية ولا الشرعية ، ولقد كان اليهود يحتقرونهم لأنهم أولاد الجارية وهم أولاد الحرة وهم أصحاب شريعة والعرب لا شريعة لهم ، ولكن الله يفعل ما يشاء ويختار فقد بعث الله من بين هذه الأمة الجاهلة نبيا هداهم الى الصراط المستقيم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وبه اصطفى هذه الأمة الجاهلة على بني اسرائيل ، قال تعالى : " هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ . "(١)

الا أن بولس يقول ان الشعب الجاهل هو شعب اليونان ، وهذا كلام خاطيء لأن اليونانيين أهل حكمة من قديم الزمان .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " ليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين كما يفهم من ظاهر كلام مُقَدَّسهم بولس ، لأن اليونانيين قبل ظهور عيسى عليه السلام بأزيد من ثلاثمائة سنة كانوا فائقين على أهل العالم في العلوم والفنون وكان منهم الحكماء المشهورون مثل سقراط وأبقراط وأفلاطون وغيرهم .... وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب العهد العتيق أيضا بواسطة ترجمة سبتوجنت التي ظهرت باللسان اليوناني قبل المسيح ."(٢)

---

(١) سورة الجمعة ، آية ٢.

(٢) اظهار الحق ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

وان بولس نفسه يقول في رسالته الى أهل كورنثوس : "لِأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً والْيُونَانِيينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً ."(١)

البشارة السادسة :

ورد في سفر التثنية الاصحاح الثالث والثلاثين :

" وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى رَجُلُ اللّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقَالَ جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ فَأَحَبَّ الشَّعْبَ ،جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ ."

وفي نسخة قديمة : " جَاءَ الرَّبُّ من سِينَاءَ وَأَشْرَقَ لَنا من سَاعِيرَ واستَعلَنَ من جبالِ فَارَان وَمَعَهُ أُلُوفُ الأَطْهَارِ وَفي يَمِينِهِ سُنَّةٌ من نَارٍ."(٢)

ذكر هذا النص الأماكن التي أنزل الله فيها على رسله الكتب الثلاث التوراة والانجيل والقرآن حسب الترتيب الزمني ، فقال " جاء الرب من سيناء " أى كلم الله موسى عليه السلام من سيناء وأنزل التوراة عليه فيها ، وقال أيضا : " وأشرق لهم من سعير " أى أنزل الله الانجيل على عيسى عليه السلام في ساعير ، وقال : " وتلألأمن جبال فاران أو واستعلن من جبال فاران " أى أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جبال فاران ، وهو جبل حراء ، وفاران هي مكة كما هو معلوم عند أهل الكتاب ، فقد جاء في التوراة أن ابراهيم عليه السلام أسكن زوجته هاجر وولدها اسماعيل في برية فاران ، ففي سفر التكوين الاصحاح الحادى والعشرين : " وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوجَةً مِنْ أَرضِ مِصْرَ " .

يقول الامام ابن تيمية رحمه الله : " قال كثير من العلماء واللفظ لمحمد بن قتيبة ، ليس بهذا خفاء على من تدبر ولا غموض لأن مجيء الله من طور سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام من طور سيناء كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله

---

(١) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ، الاصحاح الأول .

(٢) اظهار الحق ص ٢٥٠.

الانجيل على المسيح ، وكان المسيح من ساعير - أرض الجليل بقرية تدعى الناصرة - وكما وجب اشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبال فاران هي جبال مكة ، قال (أى محمد بن قتيبة) : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فان ادعوا أنها غير مكة فليس يُنْكَرُ ذلك من تحريفهم وافكهم ، قلنا : (والقائل ابن تيمية) أليس في التوراة أن ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ وقلنا : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذى أنزل عليه كتابا بعد المسيح ، فهل تعلمون ظهر دين ظهور الاسلام ونشأ في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟[1].

ويقول الامام ابن القيم : "كان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر ، ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء . ولهذا قال : " واستعلن من جبال فاران" فان محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس في مشارق الأرض ومغاربها اذا استعلنت وتوسطت السماء . ولهذا سماه الله سراجا منيرا ."[2]

ولقد ورد ذكر هذه الأماكن في القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ "[3] ، فأقسم الله تعالى بهذه الأماكن الثلاث التي تجلى فيها نور الله على رسله تعظيما لشأنها وتدرج في قسمه من الأفضل الى الأفضل منه الى الأعلى درجة في الفضل وهو القرآن الكريم . وفي هذا دلالة على أن القرآن أعظم من التوراة والانجيل لأنه ناسخ لهما محفوظ من أى تغيير أو تحريف .

وأما قوله : " وأتى من ربوات القدس " وفي النسخة القديمة " ومعه ألوف الأطهار " ولكنها حرفت لطمس البشارة ومعناها هذا ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم الذين كانوا أطهارا في كل شيء .

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٠٠.
(٢) هداية الحيارى ص ٦٧ - ٦٨.
(٣) سورة التين ، الآيتان ١ - ٢ .

ولكن الدكتور السقا يقول : " ان معنى ربوات القدس " أى جماعات عظيمة من الناس الذين طهر الله قلوبهم ، والربوات : الجماعات العظيمة من الناس ، ففي الزبور لداود عليه السلام : " الرَّبُ يُعضُدُني لَا أَخافُ مِن رِبْوَاتِ الشُعوبِ المُصْطَفِّينَ مِنْ حَولِي " المزمور الثالث ، والقدس : أى القديس وهو الانسان الصالح." (١)

ويعتبر هذا النص من أوضح النصوص المبشرة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث ذكر المكان الذى أنزل الله عليه فيه القرآن ، وهو فاران التي هي مكة عند جميع أهل العلم .

يقول الامام ابن تيمية : " ومعلوم باتفاق الأمم والنقل المتواتر أن اسماعيل تربى بأرض مكة فعلم أنها فاران وأنه هو وابراهيم عليهما السلام بنيا البيت الحرام "(٢).

ويقول الامام الماوردى أيضا : " وفاران هي جبال في مكة في قول الجميع ".(٣)

ويقول الشهرستاني : " ولما كانت الأسرار الالهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتب ثلاث ، مبدأ ووسط وكمال ، والمجيء أشبه بالمبدأ ، والظهور أشبه بالوسط، والاعلان أشبه بالكمال ، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء ، وعن طلوع الشمس بالظهور من ساعير ، وعن البلوغ الى درجة الكمال بالاستواء والاعلان على فاران، وفي هذه الكلمات اثبات نبوة المسيح عليه السلام والمصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ."(٤)

البشارة السابعة :

المزمور الخامس والأربعين :

" فَاضَ قَلبِي بِكَلامٍ صَالِحٍ ، مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ ، لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ

---

(١) نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ٦٢ .
(٢) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٠٦.
(٣) اعلام النبوة للماوردى ص ١٢٩.
(٤) الملل والنحل ص ٢١٣.

مَاهِرٍ ، أَنتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِن بَنِي البَشَرِ ، انْسَكَبَتِ النِعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ ،لِذَلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ ، تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الجَبَّارُ جَلالَكَ وَبَهَاءَكَ ، وَبِجَلالِكَ اقْتَحِم ، ارْكَبْ مِنْ أَجْلِ الحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالبِرِّ فَتُرِيكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ نَبلُكَ المَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعدَاءِ المَلِكِ شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ " .

وفي نسخة قديمة : " من أجل هذا بارك الله عليه الى الأبد فتقلد أيها الجبار بالسيف لأن البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك اركب كلمة الحق وسمة التأله ، فان ناموسك وشرائعك مقرونة لهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك ."(١)

يتضمن هذا النص عدة صفات لا تنطبق الا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وان كان النصارى يقولون أن المبشر به في هذا النص هو المسيح عليه السلام ، وهذا غير صحيح لأن الصفات الواردة في النص لا تنطبق عليه ، واليهود يقولون ان النبي المبشر به في هذا النص لم يأت بعد وهذا خطأ أيضا .

من هذه الصفات الواردة في النص قوله : " انسكبت النعمة على شفتيك " ، وفي هذا اشارة الى أن النبي الآتي فصيح بليغ في قوله ، ولقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم مشهورا بالفصاحة والبلاغة في القول ، شهد له بذلك العدو قبل الصديق ،ويكفي أن معجزته الكبرى كانت في غاية الفصاحة والبلاغة أعجزت العرب أن يأتوا بمثله مع أنهم كانوا أمراء البلاغة والبيان في ذلك الوقت .

وقوله : " باركك الله الى الأبد " فيه دلالة على أن النبي الآتي مبارك فيه الى الأبد ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم متصف بذلك ، فان الله وملائكته يصلون عليه دائما ، وقد أمرت أمته بالصلاة والمباركة عليه في كل صلاة الى الأبد .

وفي قوله : " تقلد سيفك على فخذك " دلالة على أن النبي الآتي متقلد سيفه محاربا لأعداء الله ، ومعلوم أن النبي محمدا صلى الله عليه

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣١٨ ، اثبات نبوة النبي ص ١٦٠.

وسلم حمل السيف فيوجه أعداء الله وقاتل المشركين بنفسه وأيده الله بالنصر في معاركه مع المشركين احقاقا للحق وازهاقا للباطل .

وفي قوله : " أيها الجبار " كناية عن قوته وقهره لأعداء الله ، وهذا واضح من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد كان يتمتع بقوة جسمية فائقة حتى انه صرع أكبر مصارعي العرب في زمانه ، وهو ركانة المشهور بقوته بين العرب ، فكان لا ينازل أحدا الا صرعه .

وأما عن شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الحروب ، فهي مشهورة معروفة حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي قوله " نبلك المسنونة " والنبال من آسلحة المسلمين في حروبهم مع أعداء الله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعملها ويشجع على استعمالها . فلقد أثر عنه أنه كان يقول : " ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا."(١)

وفي قوله : " شعوب تحتك يسقطون " ، ولقد سقطت شعوب كثيرة تحت سيطرته صلى الله عليه وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجا .

من هذا العرض يتضح لنا أن المقصود في هذه البشارة هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس عيسى عليه السلام ، لأنه كان مستضعفا في قومه ، ولم تقترن شريعته بهيبة ولم يتقلد السيف ولم تسقط تحته شعوب الى غير ذلك من الأمور .

البشارة الثامنة :

ورد في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة :

" لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ ، لِيُرَنِّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِم ، تَنْوِيهَاتُ اللّٰهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ وَتَأْدِيبَاتٍ فِي

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣١٤.

الشُّعُوبِ لِأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ لِيُجْرُوا بِهِمُ الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ " .

وفي نسخة قديمة : " سبحوا الله تسبيحا جديدا وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه "(١).

ويذكر هذا النص مجموعة من الصفات لا تنطبق الا على أتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا تنطبق على أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

من هذه الصفات قوله : " يسبحونه على مضاجعهم " وهذه حال المؤمنين بالله المتبعين لرسوله صلى الله عليه وسلم يسبحون الله دائما في أى وضع كانوا . قال تعالى : " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ " .(٢)

ومنها أيضا قوله : " ويكبرون الله بأصوات مرتفعة " وهذه سمة المسلمين ، منهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وفي حجهم وأعيادهم وسفرهم . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله اني أريد أن أسافر فأوصني ، قال : عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف ."(٣)

ومنها أيضا قوله : " وسيف ذو حدين في أيديهم " ، ومعلوم أن المسلمين اشتهروا بعمل هذا النوع من السيوف لأنها هي السيوف العربية الأصيلة على خلاف السيوف العجمية فانها بشفرة واحدة ، وقد استعملوا هذه السيوف لأعلاء كلمة الله في الأرض .

وأما قوله : " ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب ، لأسر

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣١٤

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٩١ .

(٣) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، الباب السادس والاربعون ج ٥ ص ٥٠٠ ، سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله ج ٢ ص ٩٣٦ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٣٢٥ وقال الترمذى حديث حسن .

ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد " وبأتباع محمد صلى الله عليه وسلم انتقم الله من الأمم الكافرة وبسيف الحق ثَابَتٌ الشعوب الى رشدها ووقع في أيديهم الكثير من الشرفاء مثل الهرمزان .(١)

وأما قوله : " ليجروا بهم الحكم المكتوب " والحكم المكتوب في الزبور أن الأرض لله يرثها عباده الصالحون . قال تعالى : " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُوْنَ ".(٢)

وفي الزبور المزمور السابع والثلاثين : "لِأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَكُونُ الشِّرِّيرُ، تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلَا يَكُونُ ، أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُوْنَ الأَرْضَ وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلَامَةِ .... لِأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الحَقَّ وَلَا يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ ، إِلَى الأَبَدِ يُحْفَظُونَ ، أَمَّا نَسلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ ، الصِّدِّيقُوْنَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ ."

وهكذا سيفني الله الأمم الكافرة ، ويحل محلهم الأمة التقية البارة والمتصفة بالصفات المذكورة في النص .(٣)

وبهذا يبين لنا نبي الله داود عليه السلام صفات الأمة المستخلفة في الأرض ، وهذه الأمة هي الأمة الاسلامية التي انطبقت عليها هذه الصفات المذكورة في النص .

البشارة التاسعة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح التاسع :

"لِأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى إِبْنًا وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا ".

وفي نسخة قديمة : " على كتفه علامة النبوة ".(٤)

---

(١) نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٧٥.

(٢) سورة الأنبياء ، آية ١٠٥.

(٣) نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ٧٤ — ٧٥.

(٤) اثبات نبوة النبي ص ١٦٢.

يشير هذا النص الى آخص الصفات الخلقية بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي الشامة التي خلقها الله له على كتفه كعلامة واضحة على نبوته .

فهذه بشارة واضحة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى وجد على كتفه خاتم النبوة ورآه الكثير من أصحابه ، ولم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه كان له مثل ذلك لا سليمان ولا عيسى عليهما السلام .

جاء في الصحيحين عن السائب بن يزيد قال : ذهبت بي خالتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ان ابن أختي وَجِعٌ ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زِرِّ الحَجَلَة .(١)

وفي قوله : " ويدعى اسمه عجيبا " أى لم يعهده بنو اسرائيل ، ثم ان قومه أصابهم العجب عندما سماه جده محمدا لأنه لم يكن مألوفا عندهم أيضا .

ويقول الاستاذ صالح السامرائي : " وقد ذكر الفاضل حيدر على القرش في كتابه خلاصة سيف المسلمين الموءلف بالأردواى الهندى أن القسيس أو سكان الأرمني ترجم كتاب أشعيا باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين وطبعت في سنة ١٧٣٣ وفيه في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة ونصها : " سبحوا الله تسبيحا جديدا وأثر سلطنته على ظهره واسمه أحمد " انتهت ، وهذه الترجمة موجودة عند الأرمن فانظروا فيها."(٢)

وهكذا صرح باسمه ووصفه ، فماذا بعد الحق الا الضلال .

البشارة العاشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الحادى والعشرين :

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب المرضى والطب ، باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له ج ٧ ص ١٠ . صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب اثبات خاتم النبوة ج ٤ ص ١٨٢٣.

(٢) نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٤٩.

" وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلَادِ الْعَرَبِ ، فِي الْوَعْرِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ ، هَاتُوا مَاءً لِمُلَاقَاةِ الْعَطْشَانِ يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ ، وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا ، مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ ، فَإِنَّهُ هٰكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ ، وَبَقِيَّةُ عَدَدِ رِقِسِيِّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ لأَنَّ الرَّبَّ إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ ".

هذه البشارة من أوضح البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث بينت مكان بعثته على الصلاة والسلام وسبب هجرته ، والمكان الذى هاجر اليه ثم أشارت الى مصير الذين أخرجوه من بلده وخاصة الجبابرة منهم وذلك بعد مضي سنة من الهجرة ، فهل في ذلك شك في أنه هو المراد من هذه البشارة .

يقول : " وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب " ففي هذه اشارة الى أن الجهة التي نزل عليها وحي الله هي بلاد العرب ، وفي الوعر منها وليس في السهل ، ومعلوم أنه لم ينزل على أى جزء من بلاد العرب الا في مكة المكرمة في جبل حراء .

ويقول أيضا : " هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وأوفوا الهارف بخبزه " والهارب والعطشان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فر من أعدائه وأعداء دعوته ، لكي يتمكن من نشر دعوته في العالمين كما أمره الله بذلك في مكان يكون فيه آمنا مطمئنا ، فهذا وصف لحالته عليه الصلاة والسلام وهو مهاجر الى المدينة المنورة ، لأن تيماء هي وادى القرى من أعمال المدينة ، ولقد ذكرها لأن أهلها صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

ويقول أيضا : " من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة " . وفي هذا بيان للسبب المباشر

---

(١) نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٦١.

الذى دفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى الهجرة ، وهو أن المشركين اجتمعوا لقتله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أنجاه منهم بحفنة من تراب رمى بها في وجوههم فما أبصروه لما خرج من بيته مهاجرا، ثم كان المشركون يعذبونه وأصحابه طيلة المدة التي مكثوها بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة .

وفي قوله : " مدة سنة كسنة الأجير يفنى مجد قيدار ، وبقية عدد قِسِيِّ أبطال قيدار تقل " وفي هذا اشارة الى غزوة بدر التي حدثت بعد سنة واحدة من الهجرة ، ولقد أيد الله رسوله بالنصر ومكن له من المشركين حتى قتل الكثير من أبطالهم وصناديدهم ، وبنو قيدار هم العرب من أهل مكة . يقول الامام ابن القيم :"انه أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ."(١)

البشارة الحادية عشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الحادى والعشرين :

" قَالَ لِيَ السَّيِّدُ اذْهَبْ ، أَقِمِ الحَارِسَ لِيُخْبِرْ بِمَا يَرَى فَرَآى رُكَّابًا أَزوَاجَ فُرْسَانٍ ،رُكَّابَ حَمِيرٍ ، رُكَّابَ جِمَالٍ .... وَهُوَ ذَا رُكَّابٌ مِنَ الرِّجَالِ ، أَزْوَاجٌ مِنَ الفُرْسَانِ ، فَأَجَابَ وَقَالَ سَقَطَتْ سَقَطَتْ بَابِلُ وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِ آلِـهَتِهَا المَنْحُوتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الأَرْضِ ".

وفي نسخة قديمة : " قيل لي قم نظارا ، فانظر ما ترى ، تخبر به ، قلت أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما هوت آلهة بابل وتكسرت عليه أصنامها المنجورة .(٢)

هذا النص بشارة بمحمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، لأن راكب الحمار هو عيسى عليه السلام ، وهذا مشهور عند النصارى ، وراكب البعير هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأن آلهة بابل المنحوته لم تحطم الا بعد

---

(١) هداية الحيارى ص ٧٢.

(٢) اثبات نبوة النبي ص ١٦٣ - ١٦٤.

بعثته صلى الله عليه وسلم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " قالوا فراكب الحمار هو المسيح عليه السلام ، وراكب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار وبمحمد سقطت بابل ."(١)

ويقول الامام ابن القيم : " وصاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح وراكب الجمل هو محمد عليهما الصلاة والسلام ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار ، وبه سقطت أصنام بابل لا بالمسيح ، ولم يزل في اقليم بابل من يعبد الأوثان من عهد ابراهيم عليه السلام الى أن سقطت بمحمد صلى الله علية وسلم ."(٢)

البشارة الثانية عشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الخامس والثلاثين :

" تَفْرَحُ الـبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الـيَابِسَةُ وَيَبْتَهِجُ القَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ ، يزْهِرُ إِزْهَارَاً ، وَيَبْتَهِجُ إِبْتِهَاجَاً وَيُرَنِّمُ ، يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ بَهَاءُ كَرْمَلْ وَشَارُونَ .... حِيْنَئِذٍ تَتَفَتَّحُ عُيونُ العُمْيِ وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ .... وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا الطَّرِيقُ الـمُقَدَّسَةُ ، لَا يَعْبُرُ فِيْهَا نَجِسٌ بَلْ هِيَ لَهُمْ ."

وفي نسخة قديمة : " لتفرح أرض البادية العَطْشَى ، ولتبتهج البرارى والفلوات ولتزه لأنها ستعطي بأحمد محاسن لبنان وكمال حسن الدساكر والرياض ."(٣)

يتضمن هذا النص البشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم وذلك بالاشارة الى الجهة التي بعث منها ، وما أحدثه الله من المجد والخيرات لهذه الجهة بعد أن كانت لا ذكر لها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٢٣.

(٢) هداية الحيارى ص ٧٣.

(٣) اثبات نبوة النبي ص ١٥٩ ، اعلام النبوة ص ١٣٠.

ففي قوله : " تفرح البرية ويبتهج القفر " فالقفر والبرية هي بلاد العرب القاحلة المعروفة بالجزيرة العربية ، ومنها بعث خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

وفي قوله : " يدفع اليها مجد لبنان ، وبهاء كرمل وشارون ." أى أن هذه البلاد القاحلة التي لم يظهر فيها أنبياء سيدفع المجد الذى كان في بلاد الشام بظهور الأنبياء اليها ، وستصبح كثيرة الخيرات فيها المياه والأشجار كل ذلك ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم .

يقول الامام ابن القيم : " يريد: أجعل الكرامة التي كانت هناك (في الشام وبيت المقدس) بالوحي في ظهور الأنبياء للبادية بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالحج." (١)

وقولة : " تتفتح عيون العمي وآذان الصم " في هذا اشارة الى ما صار عليه حال العرب بعد بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حيث أنار الله به بصائرهم فعرفوا الحق واتبعوه قولا وعملا .

وقوله : " وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس بل هي لهم " في هذا اشارة الى فريضة الحج التي فرضها الله على كل مسلم ، والطريق المقدسة هي الطريق الموءدية الى مكة لأداء مناسك الحج ، ولا يسلك هذه الطريق غير المسلمين لأن اليهود والنصارى لا يحجون اليها .

---

(١) هداية الحيارى ص ٧٤.

البشارة الثالثة عشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الثاني والاربعين :

" هُوَ ذَا عَبْدِي الذي أعْضُدُهُ ، مُخْتَاري الذي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي ، وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الحَقَّ لِلأُمَم ، لا يَصِيحُ وَلَا يَرْفَعُ وَلَا يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ ، قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لا يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لا يُطْفِيءُ ، إلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الحَقَّ لا يَكِلُّ وَلَا يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ .... أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ لِتَفْتَحَ عُيُونَ العُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الحَبْسِ المَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ ".

وفي نسخة قديمة : "عبدي ورسولي الذى سرت به نفسي ، أنزل عليه الوحي فيظهر في الأمم عدلي يوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ، فلا يُسمَعُ صوتُه في الأسواق ، يفتح العيون العور ، والآذان الصم ، ويحيي القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطيه أحدا ، يحمد الله حمدا جديدا يأتي به من أقطار الأرض وتفرح البرية ، وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية ولا يضعف ولا يُغلب ولا يميل الى الهوى مشفح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفأ أثر سلطانه على كتفيه ."(١)

يقول الامام ابن القيم : " وكلمة (مشفح) لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنى ولفظا مقاربا كمطابقة (موءذموءذ) ، بل أشد مطابقة .. .. قال أبو محمد بن قتيبة : (مشفح) محمد بغير شك واعتباره أنهم يقولون (شفحالاها) اذا ارادوا أن يقولوا الحمد لله ، واذا كان الحمد شفحا ، فمُشفح محمد بغير شك ."(٢)

يتضمن هذا النص مجموعة من الصفات التي تنطبق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، تماما كما شهد بذلك كعب الأحبار وعبدالله بن سلام وعبدالله بن عمرو بن العاص ، فقد قالوا أن رسول الله صلى الله

---

(١) هداية الحيارى ص ٧٩.
(٢) هداية الحيارى ص ٨٠.

عليه وسلم موصوف في التوراة مستندين الى ما جاء في هذا الاصحاح من سفر أشعياء من صفات ، مما يؤكد أن هذه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وليست لأحد سواه .

ففي قوله : " عبدى الذى أعضده مختارى " أى أن الله سبحانه اختاره صلوات الله عليه لحمل الرسالة الالهية وأيده بالحجة الواضحة ونصره على عدوه ، وقوله " عبدى " موافق لما جاء في القرآن بشأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ ."(١)

وفي قوله " وضعت روحي عليه " المقصود بالروح هنا الوحي ، وسمى بذلك لأن به حياة القلوب والأرواح ، وهذا مطابق لقوله تعالى : " وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ."(٢)

وقوله " يخرج الحق للأمم " أى يبلغ ما أنزل عليه من ربه الى الأمم لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل الى الناس كافة ، ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر خير قيام .

وقوله : " لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته " هذه الصفات تبدو واضحة جلية في سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لا يصيح في الشارع لأن في ذلك رعونة وطيشا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن هذا ، فهو قمة في الاتزان والوقار ، كيف لا والشريعة التي جاء بها تدعو الى غض الصوت وتعتبر رفع الصوت من أقبح الأمور ، قال تعالى: " وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " (٣)

وأما قوله : " لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض " في هذا اشارة الى قوته وشجاعته صلى الله عليه وسلم في نشر الحق الذى جاء به الى الناس ، فقد جاهد صلوات الله وسلامه عليه في الله حق جهاده بكل ما أوتي من قوة في سبيل نشر الحق وازهاق الباطل ، لم يكل ولم يضعف يوما من الأيام ، والتاريخ والسيرة العطرة خير شاهد على ذلك .

---

(١) سورة الاسراء ، آية ١ .
(٢) سورة الشورى ، آية ٥٢ .
(٣) سورة لقمان ،آية ١٩.

وقوله : " وتنتظر الجزائر شريعته " في هذا اشارة الى أن شريعة الاسلام عالمية ليست خاصة بالعرب وحدهم وانما هي لكل الأمم في كل زمان ، قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيْرَاً وَنَذِيْرَاً ."(١)

وفي قوله : " فأمسك بيدك وأحفظك " اشارة الى حفظ الله ورعايته لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا مطابق لما جاء في القرآن " وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " .(٢)

وقوله : " أجعلك نورا للأمم " هذه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه نور من الله أضاء به القلوب المظلمة بالكفر فأصبحت مشرقة بالأيمان قال تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ."(٣) وهكذا سماه الله في هذه الآية بالنور.

وفي قوله : " لتخرج من الحبس المأسورين " اشارة الى ما حققه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحرير المأسورين بقيود الجاهلية وعاداتها واخراجهم من ظلمات الجهل الى نور الأيمان بالله الواحد القهار .

هذه صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة مطابقة لصفاته في القرآن يقول الامام ابن القيم : " فمن وُجِدَ بهذا الوصف غير محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ؟ فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبيا جمع هذه الأوصاف كلها - وهي باقية في أمته الى يوم القيامة - غيره ولم يجدوا الى ذلك سبيلا ."(٤)

البشارة الرابعة عشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الثاني والأربعين :

---

(١) سورة سبأ ، آية ٢٨ .
(٢) سورة المائدة ، آية ٦٧.
(٣) سورة المائدة ، الايتان ١٥ - ١٦ .
(٤) هداية الحيارى ص ٧٥.

" غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَّةً جَدِيدَةً ، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ ، أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي البَحْرِ وَمِلْؤُهُ والجَزائِرُ وَسُكَّانُهَا ، لِتَرْفَعَ البَرِّيَّةُ ومُدنِها صوتها الدِّيارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ، لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ مِنْ رُؤُوسِ الجِبَالِ ، لِيَهْتِفُوا لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْداً وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِيّ الجَزائِرِ ."

وفي نسخة قديمة : " سبحوا للرب تسبيحة جديدة حمده من أقصى الأرض " . (١)

في هذه البشارة اشارة الى مكان بعثته صلى الله عليه وسلم ومهاجره والى ركن من أركان الاسلام ، وهو الحج ، ثم الى صفته وصفة أمته الذين يحمدون الله كثيرا ويسبحونه في أى مكان وجدوا .

ففي قوله : " أغنية جديدة " ، أو " تسبيحة جديدة " اشارة الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشعائر الدينية الجديدة التي لم تكن موجودة عند أهل الكتاب .

وفي قوله : " تسبيحهُ من أقصى الأرض" اشارة الى أن تسبيح الله قد انتشر في الأماكن البعيدة ، وهذا لم يحصل الا بالاسلام والمسلمين لأنهم هم الذين قاموا بنشر دين الله في الأرض .

وقوله : " الديار التي سكنها قيدار " والديار التي سكنها قيدار هي الجزيرة العربية سكن في مكة المكرمة ، وقيدار أحد أبناء اسماعيل عليه السلام ، وفي هذا اشارة واضحة الى المكان الذى بعث منه صلى الله عليه وسلم وهو ديار قيدار .

وقوله : " لتترنم سكان سالع " المراد بقوله سالع جبل سلع ،جاء في كتاب الفارق :

" فان شالع هو سلع جبل في باب المدينة كما في مراصد الاطلاع لياقوت والقاموس وغيرهما من كتب الجغرافيا واللغة ، واما سالع فلم يذكروه ، والظاهر أن الألف حصلت من اشباع الفتح في اللغة العبرية ".(٢)

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٦١.

(٢) الفارق ص ٣٩٢ ، نقلا عن كتاب نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٦٣.

أما قوله : " من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا للرب مجدا " والهتاف رفع الصوت ، وفي هذا اشارة الى ما يفعله المسلمون في الحج من رفع الصوت بالذكر والدعاء والتلبية على جبل عرفات وسائر الأماكن.
يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " وقوله من رؤوس الجبال يصيحون اشارة الى العبادة المخصوصة التي تؤدى في أيام الحج يصيح الوف - بل ملايين - من الناس بلبيك اللهم لبيك ."(١)

ويقول الدكتور عمر الأشقر : " والترنم والهتاف ذلك الأذان الذى كان ولا يزال يشق أجواء الفضاء كل يوم خمس مرات ، وذلك التكبير والتحميد في أطراف النهار وآناء الليل ."(٢)

فهل من شك بعد هذا في أنه صلى الله عليه وسلم هو المقصود في هذه البشارة ؟

البشارة الخامسة عشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الرابع والخمسين :
" تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا العَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ ، أَشِيْدِى بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ لأَنَّ بَنِي المُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ البَعْلِ ، قَالَ الرَّبُّ : أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ لَا تُمْسِكِي أَطِيْلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِى أَوْتَادَكِ لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى اليَمِينِ وَإِلَى اليَسَارِ وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمَاً وَيُعْمِرُ مُدُنَاً خَرِبَةً .... بِفَيَضَانِ الغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً وَبِاحْسَانٍ أَبَدِيٍ أَرْحَمُكِ .... فَإِنَّ الجِبَالَ تَزُولُ وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلَا يَزُولُ عَنْكِ وَعَهْدُ سَلَامِي لا يَتَزَعْزَعُ قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ .... وَكُلَّ بَنِيكِ تَلَامِيْذُ الرَّبِّ وَسَلَامَ بَنِيكِ كَثِيرَاً ، بِالبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيْدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلَا تَخَافِينَ ، وَعَنِ الارتعاب فَلَا يَدْنُو مِنْكِ ، هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعَاً لَيْسَ مِنْ عِنْدِى ، مَن اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيكِ يَسْقُطُ .... وَكُلَّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي القَضَاءِ تَحْكُمِيْنَ عَلَيْهِ ".

(١) اظهار الحق جـ ٢ ص ٢٦٣ .
(٢) الرسل والرسالات ص ١٧٠.

يتحدث هذا النص عن مكة المكرمة وعن تعظيم الله لها الى أن يرث الأرض ومن عليها ، كما يتحدث عن الأمة الاسلامية حملة رسالة الاسلام الى العالم ، وعن امتداد نفوذهم في الأرض معمرين غير مفسدين ، مرشدين الناس الى الحق والى صراط مستقيم .

ففي قوله " أيتها العاقر " المراد بالعاقر هنا مكة المكرمة لأنه لم يظهر فيها بعد اسماعيل عليه السلام الى زمن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أحد من الأنبياء ، وهي فترة زمنية طويلة ، وليس المقصود بالعاقر بيت المقدس لأنه ظهر فيها أنبياء كثيرون كان آخرهم عيسى عليه السلام وهذا ثابت ومعلوم .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " المراد بالعاقر مكة المعظمة لأنها لم يظهر منها نبي بعد اسماعيل عليه السلام ولم ينزل فيها وحي بخلاف أورشليم لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون وكثر فيها نزول الوحي." (٣)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ويعني بالعاقر مكة - شرفها الله - لأنها لم تلد قبل نبينا عليه الصلاة والسلام ، ولا يجوز أن يراد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي ." (٤)

وقوله : " بني المستوحشة أكثر من بني ذات بعل " المراد بالمستوحشة السيدة هاجر ، وسميت بذلك لأنها سكنت الصحراء بعيدة عن أهلها وبيت زوجها فكانت بمنزلة المطلقة المبعدة عن بيتها ،وان اليهود أطلقوا هذه العبارة على نسلها ، فقد جاء في التوراة عن اسماعيل عليه السلام قولهم : " وانه يكون انسانا وحشيا ."

والمقصود بذات بعل هي السيدة سارة زوجة ابراهيم عليه السلام ، أى أن أولاد السيدة هاجر سيكونون أكثر من أولاد السيدة سارة ، وهذا ما حققه الله بالاسلام .

---

(٣) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٤) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٢٧ ، وانظر هداية الحيارى ص ٧٣ - ٧٤ .

وقوله : " أوسعي خيمتك ......لأنك تمتدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة " في هذا اشارة الى امتداد نفوذ الأمة الاسلامية وتمكين الله لهم في الأرض، يعمرون المدن ويرثون الأمم، وهذا ما حققه الله للمسلمين في الصدر الأول ، فقد سيطروا على العالم شرقا وغربا في فترة قصيرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

وقوله : " فان الجبال تزول ...... أما احساني فلا يزول عنك" أى أن تعظيم الله لبيته الحرام دائم ومستمر ، وستبقى مكة المكرمة أقدس بقعة في الأرض حتى يأتي أمر الله ، وفي هذا اشارة الى أن رسالة الاسلام رسالة خالدة الى يوم القايمة ، لأن تعظيم بيت الله الحرام من شعائر الاسلام كما هو معلوم .

وقوله : " وأجعل ..... كل بنيك تلاميذ الرب " أى أن كل فرد من المسلمين يتلقى الشريعة لأنها تخصه في حياته ، وليست الشريعة حكرا على طائفة من المسلمين دون الأخرى ، كما هو الحال عند بني اسرائيل ، فقد كانت الشريعة التي جاء بها موسى حكرا في بني لاوى .(١)

وقوله : " وأجعل ...... وسلام بينك كثيرا " هذه سمة بارزة في المجتمع المسلم لأن تحية المسلم لأخية المسلم هي قوله : السلام عليكم .

وقوله : " بعيدة عن الظلم فلا تخافين " وهذا موافق لما جاء في القرآن الكريم ، قال تعالى : " وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ".(٢) وقوله تعالى أيضا : " أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ".(٣) فلا ظلم ولا خوف في الحرم المكي الشريف ، بل الأمن والأمان .

وقوله : " من اجتمع عليك فاليك يسقط ......وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه " ، وفي هذا اشارة الى حماية الله لها من كل

---

(١) نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ٧٧.
(٢) سورة الحج ، آية ٢٥ .
(٣) سورة العنكبوت ، آية ٦٧.

سوء وشر وذلك من تعظيم الله لها ، فمن أرادها بسوء وشر ينقلب ذلك عليه ، وخير شاهد على ذلك هو ما فعله الله بأبرهة الأشرم وجيشه عندما أرادوا أن يهدموا بيت الله الحرام فأهلكهم رب البيت عن بكرة أبيهم ٠

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " وهي التي أخرج عنها كل من أراد أن يخيفها ويخربها فلم تزل عزيزة محرمة لم يهنها أحد من البشر قط ، فأصحاب الفيل أهلكهم الله عندما أرادوها بشر ، فلم تزل محجوبة من لدن ابراهيم عليه السلام بخلاف بيت المقدس ، فانه قد خرب المرة بعد المرة وخلا من السكان واستولى العدو عليه وعلى أهله ٠"(١)

وبهذا العرض يتضح لنا أن البلد التي يتحدث عنها هذا النص هي مكة المكرمة وليس بيت المقدس ، فهذه بشارة واضحة بالمكان الذى بعث منه صلى الله عليه وسلم ٠

البشارة السادسة عشرة :

ورد في سفر أشعياء الاصحاح الستين :

" قُومِي اسْتَنِيرِي لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ ، لِأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلَامُ الدَّامِسُ الأُمَمَ ، أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ ، إِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ ، جَاءُوا إِلَيْكِ ، يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي ، حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ لِأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ ، تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا ، تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ ، كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ ، تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي .... وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٢٩ ٠

نَهَارًا وَلَيْلًا لَا تُغْلَقُ ..... وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ إِلَى الأَبَدِ يَرِثُونَ الأَرْضَ .....
الصَّغِيرُ يَصِيرُ أَلْفًا وَالحَقِيرُ أُمَّةً قَوِيَّةً " .

وفي نسخة قديمة : " ارفعي بصرك الى ما حولك .... ويحجونك ويأتيك ولدك من بعيد ".(١)

يتحدث هذا النص أيضا عن مكة المكرمة وعن اكرام الله لها باشراق نوره سبحانه وتعالى عليها بعد الظلام الشديد الذى خيم على الأرض كافة.

كما يتحدث أيضا عن تعظيم الله لها بأن جعلها محجا للأمة المختارة وهي الأمة الاسلامية التي فرض الله عليها الحج .

ففي قوله : " قومي استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك " هذا الكلام المعني به مكة المكرمة وذلك لأن نور الله أشرق عليها بنزول الوحي على أحد أبنائها صلوات الله وسلامه عليه ، وبهذا فقد أصبحت أقدس بقعة في العالم ، حيث انبثق منها نور الله فأضاء العالم وعم نفعه خلقا كثيرا .

وفي قوله : " لأنه هاهي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم" وصف لحالة الأرض قبل اشراق نور الله عليهم ، فقد كانوا يعيشون في ظلمة حالكة في جميع نواحي المعمورة ، وهذا مطابق لقوله تعالى :"ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ "(٢) فساد في الفكر والعقيدة والأخلاق وفي كل شيء وفي كل مكان .

يقول الاستاذ ابراهيم خليل : " وهذه حقيقة تاريخية يثبتها التاريخ ، فبينما العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيشان في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد صلى الله عليه وسلم نور وضياء أضاء على العالم فهداه الى الاسلام ."(٣)

---

(١) أعلام النبوة للماوردى ص ١٢٩ ، اثبات نبوة النبي ص ١٦٥.
(٢) سورة الروم ، آية ٤١.
(٣) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ص ٤٧.

وفي قوله : " قد اجتمعوا كلهم جاءوا اليك ، يأتي بنوك من بعيد" اشارة الى قدومهم لأداء فريضة الحج كما هو مصرح بذلك في النسخة القديمة ، وهذا ما يحدث كل عام منذ أن فرض الله الحج على هذه الأمة ، فانهم يجتمعون من أماكن مختلفة متباعدة ملبين نداء الله على لسان ابراهيم عليه السلام : " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيْنَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ ".(١)

وفي قوله " تغطيك كثرة الجمال " اشارة الى كثرة القادمين لأداء هذه الفريضة ، لأن الجمال كانت وسيلة النقل سابقا ، ثم ان بعض هذه الجمال تكون هدايا وأضاحي .

وأما قوله : " وتبشر بتسابيح الرب " يشير الى التلبية والدعاء الذى ينطلق من أفواه الآلاف بل الملايين من حجاج بيت الله الحرام .

وقوله : " كل غنم قيدار تجتمع اليك كباش بنايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي " وقيدار وبنايوت أخوان من أولاد اسماعيل عليه السلام (٢)، وفي هذا اشارة الى يوم النحر ، ذلك اليوم الذى تذبح فيه الآلاف من الأضاحي والهدايا تقربا الى الله واتباعا لهدى المصطفى صلى الله عليه وسلم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " قالوا فهذه الصفات حصلت بمكة فحملت اليها ذخائر البحر ، وحج اليها عساكر الأمم وسيقت اليها أغنام قيدار هدايا وأضاحي ."(٣)

وفي قوله : " وتتفتح أبوابك دائما نهارا وليلا لا تغلق " وصف لبيت الله الحرام الذى لا تغلق أبوابه أبدا وذلك لأن الطواف حول الكعبة المشرفة مستمر لا ينقطع .

وقوله : " وشعبك كلهم أبرار الى الأبد يرثون الأرض " أى أن الأمة الاسلامية هي آخر الأمم وشريعتهم هي خاتمة الشرائع حتى تقوم الساعة .

---

(١) سورة الحج ، آية ٢٧ .

(٢) اثبات نبوة النبي ص ١٦٦ .

(٣) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٢٩ .

وفي قوله : " والصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية " وصف لحال العرب قبل أن يبعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا أمة صغيرة ضعيفة يحتقرها اليهود ثم أصبحت أمة قوية بالاسلام .

البشارة السابعة عشرة :

ورد في سفر دانيال الاصحاح الثاني :

" وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذْ نَصَّرَ ، حَلَمَ نَبُوخَذْنَصَّرُ أَحْلَامًا فَانْزَعَجَتْ رُوحُهُ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِأَنْ يُسْتَدْعَى الْمَجُوسُ وَالسَّحَرَةُ وَالْعَرَّافُونَ وَالْكَلْدَانِيُّونَ لِيُخْبِرُوا الْمَلِكَ بِأَحْلَامِهِ .... أَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِدَانِيالَ الَّذِي اسْمُهُ بَلْطَشَاصَّرُ ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ عَلَى أَنْ تُعَرِّفَنِي بِالْحُلْمِ الَّذِي رَأَيْتُ وَبِتَعْبِيرِهِ ؟ أَجَابَ دَانِيالُ قُدَّامَ الْمَلِكِ وَقَالَ .... لَكِنْ يُوجَدُ إِلٰهٌ فِي السَّمٰوَاتِ كَاشِفُ الأَسْرَارِ ، وَقَدْ عَرَّفَ الْمَلِكَ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَا يَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ .... أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ ، هٰذَا التِّمْثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتَكَ وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ ، رَأْسُ هٰذَا التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ ، صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ ، بَطْنُهُ وَفَخِذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ ، سَاقَاهُ مِن حَدِيدٍ ، قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ ،كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ فَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيْدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا ، فَانْسَحَقَ حِينَئِذٍ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ ، أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلاً كَبِيرًا وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا . هٰذَا هُوَ الْحُلْمُ . ... فَأَنْتَ هٰذَا الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ ...... وَفِي أَيَّامِ هٰؤُلَاءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلٰهُ السَّمٰوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا وَمُلْكُهَا لَا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هٰذِهِ الْمَمَالِكِ وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لَا بِيَدَيْنِ فَسَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ .... الْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ . "

وفي نسخة قديمة : " وأما الحجر الذى رأيت قد صَكّ ذلك الصنم فَفَتَّتَهُ فهو نبي يقيمه الله اله السماء والأرض من قبيلة بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الأرض ".(١)

تشير هذه الرؤيا والتي عبرها دانيال الى أن مملكة ربانية ستقام على الأرض تحطم جميع الممالك القائمة مهما بلغت قوتها وجبروتها في الأرض لأن الله سيؤيد هذه المملكة الناشئة على الحق ، وان المؤسس لهذه المملكة نبي يبعثه الله بشريعة قوية كما جاء في النسخة القديمة ، ويحقق الله على يديه ما يريد .

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى أرسله الله بشريعة قوية ، الجهاد فيها من أعظم فرائضها ، فقد استطاع بتأييد الله أن ينشيء الدولة الاسلامية العظيمة في فترة وجيزة ، وقام اتباعه رضوان الله عليهم من بعده بتوسيع رقعة هذه الدولة فانطلقوا الى العالم مبشرين برسالة الاسلام ، ومن حال دونهم ودون نشر الدعوة في أى بقعة حاربوه ، وأيدهم الله بالانتصارات المتتالية حتى مكنهم من تحطيم أكبر دولتين في ذلك الوقت فارس والروم ،وبهذا اتسعت بقعة الدولة الاسلامية وترامت أطرافها شرقا وغربا.

يقول الامام ابن القيم : " ومعلوم أن هذا ينطبق على محمد حذو القذة بالقذة لا على المسيح ولا على نبي سواه ، فهو الذى بعث بشريعة قوية ، دق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض من أمته،وسلطانه دائم الى آخر الدهر ."(٢)

ويقول الأمام الماوردى : " ومعلوم أنه لم يرسل الله تعالى سلطانا أزال به الممالك وملأ به الأرض وأدام له الأمر الا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ."(٣)

---

(١) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٣ - ٤ .

(٢) هداية الحيارى ص ٨٣.

(٣) اعلام النبوة للماوردى ص ١٣٦.

ويقول الشيخ رحمة الله الهندى : " وفي عهد نوشيروان ولد محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الله السلطنة الظاهرة والباطنة وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقا وغربا وعلى جميع ديار فارس التي كانت الروءيا وتفسيرها متعلقين بها ، فهذه السلطنة الأبدية التي لا تنقض ، وملكها لا يعطى لشعب آخر .... فهذا الحجر الذى انقطع لا بيدين من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيما وملأالأرض بأسرها هو محمد صلى الله عليه وسلم ."(١)

البشارة الثامنة عشرة :

ورد في سفر حبقوق الاصحاح الثالث :

" اَللّٰهُ جَاءَ مِنْ تَيْمَانَ ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ ، سِلاَهْ ، جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمٰوَاتِ ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ ، وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ ، قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَاءُ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى ، وَقَفَ وَقَاسَ الأَرْضَ ، نَظَرَ فَرَجَفَ الأُمَمُ وَدُكَّتِ الْجِبَالُ الدَّهْرِيَّةُ وَخَسَفَتْ آكَامُ الْقِدَمِ ."

وفي نسخة قديمة : " ان الله جاء من التيمن ، والقدوس من جبال فاران لقد أضاءت السماء من بهاء أحمد وامتلأت الأرض من حمده ، شعاع منظره مثل النور ."(٢)

يتضمن هذا النص عدة اشارات على نبوته صلى الله عليه وسلم ، فهو يتحدث عن المكان الذى بعث منه وعن صفته وصفة أمته ، كما يتحدث عن انتشار دعوته وتمكين الله لها في الأرض .

ففي قوله : " الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران " اشارة واضحة الى الجهة التي نزل فيها الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلن لأن

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٦٩.
(٢) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٣٠.

جبل فاران هو جبال مكة ، كما سبق ذكره ، ويؤكد الشهرستاني ذلك بقوله : " وفاران جبال مكة التي كانت مظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم ."(١)

وتيمان هي بلاد اليمن ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " مجيء نور الله التيمن وهي ناحية مكة والحجاز فان أنبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ومحمد جاء من ناحية اليمن ."(٢)

وفي قوله : " امتلأت الأرض من تسبيحه " اشارة الى انتشار دعوته صلى الله عليه وسلم في الأرض ، فقد امتلأت الأرض من تسبيحه وتسبيح أمته وحمدهم لله فهم يسبحون الله ويحمدونه دائما في صلاتهم وخطبهم وفي جميع أحوالهم في السراء والضراء وفي كل مكان وجدوا فيه .

وقوله :- " وكان لمعان كالنور ، له من يده شعاع وهناك استتار قدرته " ، يقول الدكتور عمر الأشقر : " الذى يبدو لي أن هذا النص يتحدث عن حادثة بعينها ، وهي ما وقع منه صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق ، عندما أعجزت صخرة الصحابة أثناء حفر الخندق فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فضربها ضربة قوية أسقطت ثلثها ، وخرج منها نور فكبر الرسول صلى الله عليه وسلم وكبر أصحابه ، ثم الثانية فالثالثة ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رأى بالنور الأول قصور الشام، وبالنور الثاني قصور فارس ، وبالنور الثالث أبواب صنعاء ."(٣)

وهذه الحادثة ثابتة في سيرته صلى الله عليه وسلم .

وفي قوله : " قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى " اشارة الى ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم باستجابة دعوته ، اذ دعا الله بذهاب الوباء وخروج الحمى من المدينة المنورة بعد أن كانت معروفة بالحمى حتى أصابت أصحابه رضوان الله عليهم عند هجرتهم اليها.(٤)

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢١٣.

(٢) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٣١.

(٣) الرسل والرسالات ص ١٧١.

(٤) الرسل والرسالات ص ١٧٢.

وفي قوله : " فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم" اشارة الى زوال سلطان الأمم القوية والضعيفة من الأرض على يدى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام .

وبهذا يتضح لنا أن هذه البشارة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل ما جاء فيها ينطبق عليه ويتعلق به وان لم تصرح باسمه كما صرحت النسخ القديمة التي نقل منها علماؤنا الأوائل والتي ذكرت اسمه صلى الله عليه وسلم صراحة .

الفصـل الثـانـي

بشارات الانجيـل

بشارات انجيل متـى :

البشارة الأولـى :

وردت عدة نصوص في اصحاحات مختلفة من هذا الانجيل تبشر بملكوت السموات منها :

في الاصحاح الثالث : " وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا المَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ اليَهُودِيَّةِ قَائِلاً تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّموَاتِ ".

وفي الاصحاح الرابع : " مِنْ ذلِكَ الزَّمَانُ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمٰوَاتِ."

وفي الاصحاح السادس : " فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا ،أَبَانَا الَّذِى فِي السَّمٰوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسمُكَ لِيَأتِ مَلَكُوتُكَ ."

وفي الاصحاح العاشر : " وَفِيمَا أَنْتُم ذَاهِبُونَ اكرِزُوا قَائِلِينَ إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمٰوَاتِ ."

تبين لنا هذه النصوص أن كلا من يحيى وعيسى عليهما السلام والحواريين بشروا بملكوت السموات فما المقصود بذلك ؟

يرى الشيخ رحمة الله الهندى أن المقصود بملكوت السموات هي المملكة التي أخبر عنها دانيال والتي سبق الحديث عنها ، يقول :"ولفظ ملكوت السموات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة ، وان المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله وأن مبنى قوانينه لا بد أن يكون كتابا سماويا وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية ."(١)

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٢.

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن المقصود بالملكوت هو دين جديد ينزله الله الى الخلق وهو الاسلام .(١)

فالظاهر أن المقصود بملكوت السموات مملكة ربانية قائمة على أساس شريعة جديدة يأتي بها نبي في آخر الزمان ، وهذا لم يصدق الا على نبي الاسلام وشريعة الاسلام التي اقترنت بالهيبة والقوة بحيث تَمَكَّنَ أتباعها من اقامة دولة تحميها وتنشرها في أرجاء الأرض ، ولا يصدق هذا على شريعة عيسى عليه السلام لأنه بَشَّرَ بمثل ما بَشَّرَ به يحيى من قبله من اقتراب ملكوت السموات ، فدل هذا على أن ملكوت السموات لم يظهر في زمن عيسى كما لم يظهر في زمن يحيى عليهما السلام . ثم انه لو كان المقصود بالملكوت شريعة عيسى عليه السلام لما بَشَّرَ به لأنه موجود وحاصل ، ولكن بشارة عيسى ويحيى عليهما السلام والحواريين تفيد أن ملكوت السموات سيأتي في المستقبل فجاءت شريعة الاسلام التي مكن الله لها في الأرض وأصبحت مرهوبة الجانب من قبل أعدائها في كل زمان ومكان.

ولكن النصارى يَدَّعُون أن المقصود بملكوت السموات هو الكنيسة لأنها لم تشكل في زمن عيسى عليه السلام ، صرح بذلك كتاب الانجيل والصليب فقال : " اذا سألتم راهبا مسيحيا ما هو الملكوت ؟ يجيبكم فورا هو الكنيسة وان لم يكن قد تشكل في زمن المسيح مثل هذه الكنيسة ومثل هذه الملة والجماعة فالمسيح وتلاميذه كانوا يدخلون (السيناغوغا) المسمى (كنشت كنيس) كسائر اليهود ويصلون ويتعبدون ولم يخطر على باله احداث مذهب جديد أو جماعة جديدة ، وبناء على ذلك لم يتشكل ملكوت الله في زمن عيسى عليه السلام ، فالكنيسة المتخشعة الصارخة بضع مرات في كل يوم (ليأت ملكوتك) منذ أكثر من ألف وتسعمائة سنة لم تكن غير الجماعة العيسوية ، يا للتضاد ، يا للعناد والعصيان لقد مضى تسعة عشر عصرا الى الآن ننتظر قائلين (ليأت ملكوتك) فان كان ملكوت الله هو الكنيسة ، فما بال الكنيسة تكرر بفمها ولسانها كل يوم هذا الدعاء وتطلب من الله أن يبعث لهم ملكوته " .(٢)

---

(١) نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٩٥.

(٢) الانجيل والصليب ص ٧٦-٧٧ ،نقلاعن كتاب نبوة محمدمن الشك الى اليقين ص ٢٩٥.

ويهذا يتضح لنا أن بشارة عيسى ويحيى عليهما السلام والحواريين بملكوت السموات انما المراد منها شريعة الاسلام التي أرسل بها خاتم الانبياء وآخر المرسلين صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثانية :

ورد في الاصحاح الثالث :

" وَفِي تِلْكَ الأَيَّام جَاءَ يُوحَنَّا المَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ اليَهُودِيَّةِ قَائِلاً تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمٰوَاتِ ، فَإِنَّ هٰذَا هُوَ الَّذِى قِيْلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ القَائِلِ صَوْتُ صَارِخٍ فِي البَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيْقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيْمَةً . ... فَلَمَّا رَآىٰ كَثِيْرِيْنَ مِنَ الفَرِّيسِيِّينَ والصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلى مَعْمُودِيَّتِهِ قَالَ لَهُم يَا أَوْلادَ الأَفَاعِي مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الغَضَبِ الآتِي ، فَاصْنَعُوا أَثْمَارَاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ وَلَا تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُم لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبَاً ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيْمَ مِنْ هٰذِهِ الحِجَارَةِ أَولاداً لإِبْرَاهِيمَ ، وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الفَأْسُ عَلى أَصْلِ الشَّجَرِ فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرَاً جَيِّدَاً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ ، أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلْتَوْبَةِ وَلٰكِن الَّذِى يَأْتِي بَعْدِى هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِى لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ هُوَ سَيُعَمِّدُكُم بِالرُّوحِ القُدُسِ وَنَارٍ " .

يبين هذا النص أن يحيى عليه السلام أتى مبشرا وممهدا الطريق لنبي الاسلام صلى الله عليه وسلم ، بقوله :(توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات فان هذا الذى قيل عنه باشعياء) ،ثم انه عليه السلام هدد اليهود بغضب الله وأكد لهم أنه آت لا محالة وذلك بسبب معاصيهم الكثيرة والمتكررة فدعاهم الى التوبة وألا يخدعوا أنفسهم بقولهم نحن أولاد ابراهيم فان هذا لن ينفعهم فان الذى لا يفعل الطيبات سينتقم الله منه حتى ولو كان نبي . يقول : " قد وضعت الناس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار " كما أن في هذا النص اشارة الى أن عذابهم وهلاكهم قد اقترب وبعد ذلك يصف النبي الآتي بعده بقوله : " الذى يأتي بعدى هو أقوى مني " وهذا لا ينطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أتى بعده وأقوى منه فعلا .

الا أن النصارى يقولون انه يشير الى عيسى عليه السلام ، وقولهم هذا غير صحيح لأن عيسى عليه السلام مُبَشِّرٌ بما بَشَّرَ به يحيى ودعا الناس الى التوبة بقوله : " توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات " ثم ان عيسى عليه السلام كان معاصرا ليحيى ولم يأت بعده ، ثم انه شبيه ليحيى في الضعف أمام أعدائهم ، فلم يملكا سيفا ولا رمحا للدفاع عن أنفسهما ودعوتهما .(١)

يقول الاستاذ محمد الطهطاوى : " يستبعد أن يكون المشار اليه المسيح عليه السلام لأنه لم يأت بعده بل كان معاصرا له ، اذن هذه الاشارة من الوضوح بحيث لا تحتمل الا وجها واحدا هو أن نبيا سيأتي بعده أقوى منه وهو سيدنا محمد الذى تأيدت رسالته ونبوته بالروح القدس ".(٢)

البشارة الثالثة :

ورد في الاصحاح الثامن :

" وَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَىٰ الظُّلْمَةِ الخَارِجِيَّةِ هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ ".

يخبر عيسى عليه السلام بأن أمة ستأتي من مشارق الأرض ومغاربها تحشر مع الأنبياء لصلاحهم ورضى الله عنهم ، وهذا ينطبق على الأمة الاسلامية لأنها الأمة التي ستأتي من مشارق الأرض ومغاربها نظرا لانتشار الاسلام في ربوع الأرض ، وهي الأمة التي نالت رضى ربها بسبب طاعتها له ولرسوله . قال تعالى : " وَمَن يُطعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقاً ".(٣)

---

(١) نبوة محمد في الكتاب المقدس ، ص ٩٥.
(٢) محمد نبي الاسلام ص ٣٤.
(٣) سورة النساء ، آية ٦٩.

يقول الدكتور فاضل السامرائي : " هذه بشارة تشير الى ظهور أمة الاسلام التي تأتي من المشارق والمغارب وتكون مرضية عند الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ." (١)

ويقول الشيخ عبدالرحمن بك زاده في كتابه الفارق : " أيها المسيحي اذا أنصفت تحكم بأن هؤلاء الذين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها هم الأمة المحمدية لأنكم مخاطبون حاضرون اذ ذاك ، والمسيح سلام الله عليه يخبر عن قوم سيأتون في مستقبل الزمن ، وقد أخرجكم بقوله (وأما بنو الملكوت)". (٢)

البشارة الرابعة :

ورد في الاصحاح العشرين :

" فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكَرْمِهِ فَاتَّفَقَ مَعَ الفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي اليَوْمِ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَرَآى آخَرِينَ قِيَاماً فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الكَرْمِ فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ فَمَضَوْا ،وَخَرَجَ أَيضاً نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذٰلِكَ . ... فَلَمَّا كَانَ المَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الكَرْمِ لِوَكِيلِهِ : ادْعُ الفَعَلَةَ وَأَعْطِهِمُ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئاً مِنَ الآخِرِينَ إِلَى الأَوَّلِينَ ، فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَأَخَذُوا دِينَاراً دِينَاراً ، فَلَمَّا جَاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضاً دِينَاراً دِينَاراً وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ البَيْتِ .... فَأَجَابَ وَقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْهُم : يَا صَاحِبُ مَا ظَلَمْتُكَ أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ فَخُذِ الَّذِى لَكَ وَاذْهَبْ فَإِنِّي أُرِيدُ أنْ أُعطِي هٰذَا الأَخِيرَ مِثْلَكَ أَوْ مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَالِي أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لِأَنِّي أَنَا صَالِحٌ ، هٰكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ أَوَّلِينَ ، وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ ."

---

(١) نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٩٨.

(٢) الفارق ص ٥٤ ،نقلا عن نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٩٨.

(٣) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٤.

يخبر عيسى عليه السلام بأن الآخرين أصبحوا أولين ، وأنهم سيقدمون في الأجر عليهم . فمن هم الآخرين الذين أصبحوا أولين ؟ أليسوا هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي آخر الأمم لأن شريعتها هي خاتمة الشرائع ؟ بلى .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " فالآخرون أمة محمد فهم المقدمون في الأجر وهم الآخرون الأولون (١) " . واستشهد على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " نحن الآخرون السابقون " .(٢)

وهذا المثل الذى ضربه عيسى عليه السلام مطابق لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : " وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال : من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ، ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ الا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا لكم الأجر مرتين . فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء . قال الله : هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ فقالوا : لا . قال : فانه فضلي أعطيه من شئت ."(٣)

البشارة الخامسة :

ورد في الاصحاح الحادى والعشرين :

" كَانَ إِنسان رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمَاً وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً وَبَنَى بُرْجَاً وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ ، وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ ، فَأَخَذَ الكَرَّامُونَ عَبِيْدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضَاً وَقَتَلُوا بَعْضَاً وَرَجَمُوا بَعْضَاً ، ثُمَّ أَرْسَلَ أَيضَاً عَبِيْدَاً آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ فَفَعَلُوا بِهِم كَذَلِكَ ، فَأَخِيرَاً أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابنَهُ قَائِلاً يَهابُونَ ابْنِي ، وَأَمَّا

(١) محمد نبي الاسلام ص ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الوضوء ،باب الماء الدائم ج ١ ص ٦٥ ،صحيح مسلم كتاب الجمعة ،باب هداية هذه الامة ليوم الجمعة ج ٢ ص ٥٨٥ .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء ،باب ما ذكر عن بني اسرائيل ج ٤ ص ١٤٥ .

الكَرّامُونَ فلَمَّا رَأوا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ هٰذَا هُوَ الوَارِثُ هلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأخُذْ مِيْرَاثَهُ فَأخَذُوهُ وَأخْرَجُوهُ خَارِجَ الكَرْمِ وَقَتلُوهُ ، فَمَتَىٰ جَاءَ صَاحِبُ الكَرْمِ مَاذَا يَفْعَلُ بِأولٰئِكَ الكَرَّامِيْنَ . قَالُوا لَهُ أولٰئِكَ الأرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاكًا رَدِيًّا وَيُسلِّمُ الكَرْمَ إلَى كَرَامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأثْمَارَ فِي أوْقَاتِهَا . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : أمَا قَرَأْتُمْ قطُّ فِي الكُتُبِ الحَجَرُ الَّذِى رَفَضَهُ البَنَّاءُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأسَ الزَّاوِيَةِ ، مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هٰذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أعْيُنِنَا ، لِذٰلِكَ أقُولُ لَكُمْ إنَّ مَلَكُوتَ اللّٰهِ يُنْزَعُ مِنْكُم وَيُعْطَى لِأُمَةٍ تَعْمَلُ أثْمَارَهُ وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هٰذَا الحَجَرِ يَتَرَضَّضُ ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ ".

وهذا الكلام من يسوع عليه السلام " أما قرأتم قط في الكتب ..... " اشارة الى ما ورد في الزبور، المزمور الثامن عشر بعد المائة " الحَجَرُ الَّذِى رَفَضَهُ البَنَّاءُونَ قَدْ صَارَ رَأسًا لِلزَّاوِيَةِ ، مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هٰذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِيْ أعْيُنِنَا ".

يتضمن هذا النص البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واستخلاف الله لأمته في الأرض.

فقوله : " الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأسا للزاوية " كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا مطابق لما ورد في سفر دانيال عن الحجر الذى سحق التمثال وصار جبلا عظيما (١) ، وهو مطابق أيضا لما جاء في الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ." (٢)

وقوله : " وهو عجيب في أعيننا " أى أن بعثة نبي من ولد اسماعيل عليه السلام الذى هو من نسل الجارية وليس من بني اسرائيل شيء عجيب في أعين اليهود لأنهم كانوا يحتقرونهم غاية الاحتقار .

---

(١) سبق الحديث عن هذه البشارة ص ٦٤

(٢) صحيح البخارى ،كتاب المناقب ،باب خاتم النبيين ج ٤ ص ١٦٢.

وقوله : " ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره " أى أن الله سينزع ملكوته من بني اسرائيل ويعطيه لأمة تعمل أثماره لأن الله قد غضب عليهم بسبب معاصيهم وموقفهم الشائن من أنبيائهم .

وقد تحقق ذلك فعلا فقد نزع الله ملكوته منهم وأعطاه للأمة الاسلامية وذلك ببعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأصبحوا هم الوارثين لبركة ابراهيم عليه السلام حيث وعده ربه أن يبارك أمم الأرض بنسله .

وقوله : " من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه " اشارة الى قوته صلى الله عليه وسلم وقوة ما جاء به من احقاق للحق وازهاق للباطل .

ويزعم النصارى أن المقصود بالحجر هو عيسى عليه السلام ، وهذا غير صحيح لأن سياق الكلام يدل على أن المقصود بالحجر ليس هو عيسى وانما محمد صلى الله عليه وسلم لأنه عَبَّرَ عن عيسى عليه السلام بالابن وهو غير الحجر ، ثم ان هذا الحجر الذى صار رأسا للزاوية كان عجيبا في عين داود عليه السلام الذى أخبر بذلك في الزبور ، وكان ذلك عجيبا أيضا في أعين اليهود فلو كان المقصود به عيسى عليه السلام وهو من بني اسرائيل ومن نسل داود عليه السلام فأى داع للعجب في ذلك من قبل داود عليه السلام ، خاصة واليهود عامة .

ثم ان عيسى عليه السلام أخبر أتباعه بأن ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة تعمل أثماره لأنهم من بني اسرائيل والخطاب موجه اليهم أيضا .

وقوله عن الحجر " من سقط عليه يسحقه "لا ينطبق على عيسى عليه السلام لأنه كان مستضعفا أمام قومه ، وصدقه على محمد صلى الله عليه وسلم أوضح وأجلى .(١)

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٦ .

البشارة السادسة :

ورد في الاصحاح الثاني والعشرين :

" وَفيمَا كَانَ الفَرّيسيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُم يَسُوعَ قَائِلاً مَاذا تَظُنُّونَ فِي المَسِيحِ، ابْنُ مَنْ هُوَ ؟ قَالُوا لَهُ : ابْنُ دَاوُدَ . قَالَ لَهُم : فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبّاً قَائِلاً قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ ، فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبّاً فكيف يَكُونُ ابنَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ ".

يشير عليه السلام لما ورد في الزبور المزمور العاشر بعد المائة :

" قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِيْنِي حَتَّىٰ أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيْبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ ، تَسَلَّطْ فِي وَسْطِ أَعْدَائِكَ ، شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ فِي زِيْنَةٍ مُقَدَّسَةٍ ".

يتحدث هذا النص عن سوءال عيسى عليه السلام للفريسيين عن المسيح المنتظر من نسل من سيأتي ؟ فقالوا له : انه من نسل داود عليه السلام، فقال لهم : كيف يكون من نسله وهو يدعوه في الزبور(ربه) أى سيده ، ومعلوم أن الابن مهما علت منزلته لا يمكن أن يكون سيداً لأبيه ، واذا كان النبي المنتظر ليس من نسل داود عليه السلام فمن نسل من سيكون ؟

علمنا أن لاسماعيل عليه السلام بركة كأخيه اسحق عليه السلام فلا بد اذن أن يأتي من نسله عليه السلام ، ويوءيد هذا ما جاء في انجيل برنابا الاصحاح الثالث والأربعين قوله : " فاذا كان رسول الله الذى تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود ربا ، صدقوني لأني أقول لكم الحق أن العهد صنع باسماعيل لا باسحاق ."(١)

يقول الدكتور السقا : " لقد سأل عيسى العلماء المدعين الغيرة على شريعة موسى عن المسيا المنتظر سيأتي من أسره من ؟ فقالوا له : سيأتي من أسرة داود ، فقال لهم : لو كان في أسرة داود ما كان داود يقول إن المسيا سيده لأن الأب لا يقول عن ابنه انه سيده ، وحيث أن داود عليه السلام عبر عنه بسيده ، اذن يكون المسيا من غير داود."(٢)

(١) انجيل برنابا ص ١٩٤

(٢) نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ١٠٨.

بشارات انجيل يوحنا :

البشارة الأولى :

ورد في الاصحاح الأول من هذا الانجيل :

" وَهٰذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا حِيْنَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاوِيِّيـــــنَ لِيَسْأَلُوهُ مَنْ أَنتَ ، فَاعترَفَ وَلَمْ يُنْكِر وَأَقَرَّ أَنّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ ، فَسَأَلُوهُ إِذاً مَاذَا إِيْلِيَّا أَنْتَ . فَقَالَ لَستُ أَنَا . أَلنَّبِيُّ أَنْتَ فَأَجَابَ لا ، فَقَالُــوا لَهُ مَنْ أَنْتَ لِنُعْطِي جَوَاباً لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ أَنَا صَوتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ " .

تفيد هذه الشهادة أن اليهود كانوا ينتظرون المسيح ونبيا آخــر غيره ، وهو النبي الذى أخبرهم به موسى عليه السلام بقوله " أقيم لهـم نبيا من وسط اخوتهم " ، وهذا النبي ما هو الا محمد صلى الله عليه وسلم الذى ثبت بالأدلة الواضحة أنه هو المقصود وأن يحيى عليه السلام جـاء ليمهد له الطريق .

البشارة الثانية :

ورد في الاصحاح الرابع من هذا الانجيل :

" قَالَتْ لَهُ الْمَرأَةُ يَا سَيِّدُ أَرَىٰ أَنَّكَ نَبِيٌّ ، آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هٰذَا الْجَبَلِ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيْهِ . قَـــالَ لَهَا يَسُوعُ يَا امْرَأَةُ صَدِّقِيْنِي إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لا فِي هٰذَا الْجَبَلِ وَلَا فِــــي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ ." ....وَلٰكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِيْنَ السَّاجِدُونَ الحَقِيْقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لِأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هٰؤُلاءِ السَاجِدِينَ لَهُ ".

نلمس من قول المسيح عليه السلام أن دينا جديدا سيظهر وأن أصحاب هذا الدين سيسجدون لله نحو قبلة جديدة ليست القبلة التي عليها اليهود السامريون والعبرانيون ، ومعلوم أن القبلة لم تُحَوَّلْ عن بيت المقدس ــ قبلة أهل الكتاب ــ الى الكعبة المشرفة الا بالاسلام حيث أن المسلميـن يتجهون في صلاتهم نحو هذا المكان الطاهر المقدس مهما باعدت بينهـم

المسافات .

وقد تحولت القبلة نحو المسجد الحرام بقوله تعالى : " قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ." (١)

يقول الدكتور فاضل السامرائي : " وفي هذا النص اشارة الى ظهور دين جديد وانه سيتحول مركزه عن أورشليم ، ويشير أيضا الى تحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المعظمة قبلة أصحاب هذا الدين الجديد." (٢)

الا أن النصارى يقولون ان المسيح عليه السلام أخبر بتحول القبلة من المكانين بيت المقدس ونابلس الى قبلة النصارى ، وهذا زعم خاطيء لأن قبلتهم ليست مخالفة لقبلة اليهود ، بل هم تابعون لهم .

يقول الدكتور أحمد السقا : " يقول الارثوذكس والكاثوليك بأن القبلة هي جهة هيكل سليمان ، ويقول البروتستانت كل مكان هو قبلة ، انظر لقد رجع البروتستانت الى المفهوم من توراة موسى ، ورجع الارثوذكس الى قبلة العبرانيين التي لم ينص عليها موسى عليه السلام ." (٣)

البشارة الثالثة :

ورد في اصحاحات مختلفة من هذا الانجيل ما يثبت نبوته صلى الله عليه وسلم ، منها في الاصحاح الرابع عشر :

" إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ ، لِيَمْكُثَ مَعَكُم إِلَى الأَبَدِ .... الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ .... وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَىٰ مَتَىٰ كَانَ تُؤْمِنُونَ لَا أَتَكَلَّمُ أَيْضاً مَعَكُمْ كَثِيراً لِأَنَّ رَئِيسَ هٰذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ ".

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٤٤.

(٢) نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٩٨.

(٣) نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ٧١.

وفي الاصحاح الخامس عشر : " وَمَتَىٰ جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحِ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي ".

وفي الاصحاح السادس عشر : " لٰكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي ، وَلٰكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ، وَمَتَىٰ جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَىٰ خَطِيَّةٍ وَعَلَىٰ بِرٍّ وَعَلَىٰ دَيْنُونَةٍ .... إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لِأَقُولَ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ ، وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُم إِلَىٰ جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ ، ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ ".

وفي طبعة قديمة : " ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبد " هكذا جاء النص الأول .

وأما النص الثاني : " فأما اذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق هو يشهد لأجلي " .

وأما النص الثالث فجاء كما يلي : " لكني أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لأني ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فاما ان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم ".(١)

تتضمن هذه النصوص البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ أن كل ما فيها من صفات تصدق عليه صلى الله عليه وسلم وان لم تصرح بالاسم كما في الطبعات القديمة التى أشارت الى الاسم بلفظ الفارقليط والتي معناها أحمد ، ان عيسى عليه السلام ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم باللغة العبرية ، وترجمه يوحنا كاتب الانجيل الى اليونانية بلفظ بيركليتوس لأن من عادة أهل الكتاب ترجمة الاسماء ، ثم ان هذا اللفظ اليوناني عرب بلفظ الفارقليط .

---

(١) انظر النصوص الثلاثة من كتاب "الجواب الصحيح ج ٤ ص ٧ وكتاب اظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٨.

يقول الشيخ رحمة الله الهندى رحمه الله : " ان عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني ، فاذا لا يبقى شك في أن الانجيل الرابع ترجم الاسم المبشر به باليوناني بحسب عاداتهم ، ثم مترجمو العربية عربوا اللفظ اليوناني بفارقليط".(١)

ومعنى كلمة (بيركليتوس) اليونانية أحمد ، صرح بذلك عدد من علمائهم ، يقول الأبنا اثناسيوس : " ان لفظ (فارقليط اذا حُرِّفَ نُطقُهُ قليلا يصير (بيركليت) ومعناه الحمد أو الشكر وهو قريب من لفظ أحمد".(٢)

ويذكر الاستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء أنه سأل الدكتور (كارلونلينو) المستشرق الايطالي - وقد حصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة وكان آنذاك بمصر - ما معنى بيركليتوس؟ فأجابني بقوله : ان القسس يقولون ان هذه الكلمة معناها المعزى • فقلت اني أسأل الدكتور (كارلونلينو) الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيسا • فقال : ان معناها الذى له حمد كثير • فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم • فقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه أحمد • فقال: يا أخي أنت تحفظ كثيرا ، ثم افترقنا وقد ازددت تثبتا في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح " ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد •"(٣)

الا أن النصارى غيروا لفظ (بِيركليتوس) بكسر الباء الى (بَاركليتوس) بفتح الباء لتغيير معنى الكلمة وليصبح معناها المعزى أو الوكيل بدل أحمد لصرف المسلمين عن الاستدلال بهده البشارة ، وأنى لهم ذلك ، فالنصوص لا تنطبق الا عليه مهما غيروا وبدلوا •

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٩•

(٢) نقلا عن كتاب نبوة محمد في الكتاب المقدس ص ١٠١•

(٣) سورة الصف ، آية (٦) • وانظر النص في كتاب نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٢٩١ - ٢٩٢ •

ولقد وصلت الشيخ رحمة الله الهندى رسالة من رسائل القسيسين ادعى موءلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط في لفظ الفارقليط .

يقول : " هذا اللفظ معرب من اللفظ اليوناني ،فان قلنا ان هذا اللفظ اليوناني الأصل (باراكلي طوس) فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل ، وان قلنا ان اللفظ الأصل (بيركلوطوس) يكون قريبا من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء المسلمين بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصلي (بيركلوطوس) ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد ولكن الصحيح أنه (باراكليطوس)[1]." وهذا تغيير شكل لا يوءثر في الحقيقة الواضحة .

وقد اختلف في معنى الفارقليط على أقوال عدة ، فقيل ان معناه الحَمّاد ، وقيل انه الحامد ، وقيل انه الحمد ، واستدلوا بقول يوشع " من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد " أى حمد جيد ، وبعضهم قال انه المخلص ، وآخرون قالوا انه المعزى[2] ، وهو ما عليه جمهور النصارى. ويزعم النصارى أن المراد بالمعزى هو الروح النازل على التلاميذ يوم الدار في اليوم الخمسين من رفع المسيح عليه السلام ، فقد جاء في سفر أعمال الرسل الاصحاح الثاني " وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الخَمْسِينَ كَانَ الجَمِيعُ مَعَاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيْحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ البَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِيْنَ وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَامْتَلأَ الجَمِيْعُ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَىٰ كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُوحُ أَنْ يَنْطِقُوا " .

وهذا قول باطل ظاهر البطلان لأن الصفات الواردة في هذه النصوص لا تصدق على الروح ، وانما تصدق على نبي يبعثه الله من البشر لأن هذه الروح نزلت على الأنبياء قبل المسيح عليه السلام وبعده ، ولم تكن موصوفة بهذه الصفات ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطا أو معزيا.

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٨.

ثم ادعاء بعض النصارى في القرون الأولى أنهم مصاديق لفظ الفارقليط يدل على أنه ليس هو الروح النازل على التلاميذ في اليوم الخمسين مثل (منتنس) المسيحي الذى ادعى أنه الفارقليط الموعود الذى وعد بمجيئه عيسى عليه السلام وتبعه أناس كثيرون ، ذكر ذلك (وليم ميور) في تاريخه ، وهذا يوءكد أن المسيحيين كانوا في انتظاره .

يقول صاحب لب التواريخ : " ان اليهود والمسيحيين من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا منتظرين لنبي فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم لأنه ادعى انه هو ذاك المنتظر ".(١)

ونذكر الآن تحليلا لنصوص تلك البشارات ليتضح لنا أنها لا تنطبق الا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ففي قوله : " ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي"لفت لأنظارهم الى أن ما سيخبرهم به من الأهمية بمكان حتى يحفظوا ما يقول ، فقال : " وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر " أو " فارقليط آخر " ، ففي قوله هذا اشارة الى أن الآتي مثل المسيح عليه السلام لأن قوله آخر يدل على أنه شان لأول كان قبله ، وهذا القول ينفي أن يكون الروح النازل على التلاميذ هو المقصود لأنه بحسب عقيدتهم متحد بالآب مطلقا وبالابن .

ثم قال: "ليمكث معكم الى الأبد " ليس المراد بقاءه معهم بذاته وانما بقاء شرعه ، وهذا يدل على أن النبي الآتي صاحب شريعة خالدة مستمرة لا تنسخ وهذا لا يصدق الا على نبي الاسلام وشريعة الاسلام .

وقوله : " وهو يعلمكم كل شيء " هذا لا ينطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يعلم أصحابه كل شيء فلم يترك صغيرة ولا كبيرة فيما يحقق لهم السعادة الدنيوية والأخروية الا ذكره لهم ، قال تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ."(٢)

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) سورة النحل ، آية ٨٩.

وقوله : " ويذكركم كل ما قلته لكم " ، وهذا يوءكد بطلان ما ادعاه النصارى من أن المراد بالمعزى الروح القدس ، لأنه لم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد أن التلاميذ كانوا قد نسوا شيئا مما قاله المسيح لهم ، وأن الروح القدس قد ذكرهم به .

وقوله : " وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان توءمنون" وهذا يوءكد أيضا أن الذى سيأتي بعد عيسى عليه السلام هو رسول من البشر وليس الروح القدس لأن التلاميذ موءمنون به وقد نزل عليهم في حياة المسيح فلا حاجة الى هذا النص اذا بحسب ادعائهم ، ولكن عيسى عليه السلام يعلم بالتجربة أن الكثيرين من أمته سينكرون النبي المبشر به عند بعثته ، لذلك أكد عليهم بقوله هذا حتى يوءمنوا به ويصدقوه. ومعلوم أنه لم يظهر نبي بعد عيسى عليه السلام الا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون هو المقصود في قوله عليه السلام .

وقوله : " ان رئيس العالم يأتي وليس له فيَّ شيء " ، وفي نسخة قديمة " وليس لي شيء " ، المقصود برئيس العالم هو سيد العالم وعظيمه وهذا لا ينطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم " أنا سيد ولد آدم ولا فخر ."(١)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فمعلوم باتفاق أهل الأرض أنه لم يأت بعد المسيح عليه السلام من ساد العالم باطنا وظاهرا ، وانقادت له القلوب والأجساد ، وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع الأمصار والأقاليم شرقا وغربا ، أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم."(٢)

والمقصود من قوله : " ليس لي شيء " أى أن الأمر كله لله ولا يستطيع أحد أن يغير ما يريد سبحانه وتعالى .

يقول الامام ابن القيم : " وفي قول المسيح عليه السلام في هذه البشارة " وليس لي شيء " اشارة الى التوحيد وأن الأمر كله لله ، فتضمنت هذه البشارة أصلي الدين اثبات التوحيد واثبات النبوة ."(٣)

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء ج ٤ ص ٢١٨ ، سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ج ٢ ص ١٤٤٠.

(٢) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٨.

(٣) هداية الحيارى ص ٦٥.

وفي قوله : " روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي " ، فوصفه عليه السلام بأنه روح الحق ، أى النبي الحق الذى شهد له شهادة سمع بها الناس عامة ، شهد بصدقه وأنه رسول من عند الله ونزهه عما افتراه عليه اليهود وما غلت فيه النصارى وأنه برئ من كفرهم وضلالاتهم وبرأ أمه من تهمة الزنا التى كان يلصقها بها اليهود في مواضع متعددة في القرآن الكريم ، وهذا القول يؤكد بطلان ادعاء النصارى بأن المعزى هو الروح لأنها لم تشهد له بين يدى أحد من المنكرين ، ثم ان التلاميذ ليسوا بحاجة الى شهادة في المسيح لأنهم كانوا يعرفونه ويؤمنون به .

وقوله : " يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة " أى يوبخ العالم على الخطيئة ، ولم يوجد أحد وبخ العالم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان وأمرهم بالبر والتقوى الا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه وبخ العالم سيما اليهود على عدم ايمانهم بعيسى عليه السلام توبيخا لا يشك فيه الا معاند ."(١)

الا أن القسيس رانكين يحاول بغباء منه أن ينكر وجود لفظ التوبيخ فيالأناجيل لتيقنه بانطباق هذه الصفة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول : " ان لفظ التوبيخ لا يوجد في الانجيل ولا في ترجمة من تراجم الانجيل ، وهذا المستدل أورد هذا اللفظ ليصدق على محمد صدقا بينا لأجل أن محمد صلى الله عليه وسلم وبخ وهدد كثيرا ، الا أن مثل هذا التغليظ ليس من شأن المؤمنين ."(٢)

وهذا يدل على جهله لأن هذا اللفظ يوجد في الترجمات العربية القديمة والحديثة ، فأين هو منها !

وهذا القول أيضا يؤكد أن الروح ليست هي المقصودة ، لأنه لم يثبت أنها وبخت أحدا من الناس .

---

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ٢٨٥.

(٢) نقلا عن اظهار الحق ج ٢ ص ٢٨٥.

وفي قوله : " ان لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن " في هذا اشارة الى المستوى الذى كان عليه أتباعه عليه السلام ، حيث أنهم لم يصلوا الى الدرجة التي يستطيعون أن يفهموا كل شيء نظرا لهبوط المستوى الفكرى عندهم ، ولهذا كانت شريعته مجملة ، وخاصة فيما يتعلق بصفات الله واليوم الآخر . وهذا من رحمة الله بالبشرية ، ولكن عندما وصلت البشرية الى مستوى النضوج الفكرى أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الذى أتى بشريعة كاملة مفصلة مبينة لكل شيء .

ثم قال : " وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق " وهذا أظهر في صدقه على محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذى أرشد الناس الى جميع الحق ، فقد أكمل الله به الدين لأنه خاتم النبيين .

وقال أيضا : لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به " هذا واضح في انطباقه عليه صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يتكلم من نفسه ، بل تكلم بكل بما يسمع به . وهذا اشارة الى أن كل ما يتكلم به وحي من الله يسمعه ، ولم يتعلمه من أحد من الناس ، وهذا يطابق ما ورد في القرآن من وصف لرسول الله " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ".(١)

وقال أيضا : " ويخبركم بأمور آتية " وهذا لا ينطبق الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بالكثير من أمور الغيب وجاءت الحوادث طبقا لما أخبر به .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ".(٢)

---

(١) سورة النجم ، الآيتان ٣ - ٤ .

(٢) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٢ - ١٣ .

بشارة انجيل لوقا :

ورد في انجيل لوقا الاصحاح الثاني :

" المجد لِلّه فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ المَسَرَّةُ "٠

ذكر صاحب كتاب " الانجيل والصليب " أن هذه الترجمة الموجودة في الانجيل حاليا غير صحيحة ، ولكن الترجمة الصحيحة هي " الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض اسلام وللناس أحمد " ٠

ويستدل على ذلك بقوله : " ان ثمة كلمتين وردتا في اللغة الأصلية لم يدرك أحد ما تحتويان عليه من المعاني تماما ، فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية ، هاتان الكلمتان هما (ايريني) التي ترجموها (السلامة) و (أيودكيا) التي ترجموها (حسن الرضا) "٠

ولكن موءلف كتاب الانجيل والصليب الأب عبد الأحد الأشورى يرى أن ترجمة الكلمة الأولى الصحيحة هي (اسلام) فيقول : " ومن المَعْلوم أن لفظ (اسلام) يفيد معاني واسعة جدا ويشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ (السلم ، السلام ، الصلح ، المسالمة ، الأمن ، الراحة ٠"

ويقول أيضا : " ان قول الملائكة " على الأرض سلام " لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة ، لأن جميع الكائنات وعلى الأخص منها ولا سيما النوع البشرى هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع الوخيمة كالاختلاف والمنازعات فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة ، ثم يستشهد بقول المسيح : " ما جئتَ لِأُلْقِي سَلَامَاً عَلَىْ الأَرْضِ ، مَا جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامَاً بَلْ سَيْفَاً٠ "(١)

وعلى هذا فالترجمة لا تنطبق على رسالة المسيح ، كما يرى الآب عبد الأحد الآشورى أن كلمة (أيودكيا) بمعنى (أحمد) لا كما يترجمها القسس ، لأنه لا يقال في اليونانية (لحسن الرضا)(أيودكيا) بل يقال (ثليما) ، ويقول ان كلمة (دكوئه) هي بمعنى (الحمد ، الاشتهاء ، الرغبة ،

---

(١) انجيل متى ، الاصحاح العاشر ٠

الشوق ، بيان الفكر) ، ويقول انهم يترجمون (محمديتو) في أشعياء بأندوكساهيمون ، ويترجمون الصفات منها (محمد ، أحمد ، أمجد) لا المسرة.

وبهذا التحقيق القيم يتوصل الى أن الترجمة الصحيحة هي ما ذكره.(١)

---

(١) نقلا عن نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٣٠٠ - ٣٠١.

بشارات انجيل برنابا :

برنابا قديس من قديسي النصارى ورسول من رسلهم الممتلئين بروح القدس - حسب زعمهم - المبشرين بالدين المسيحي في البلاد ، صرح بذلك سفر أعمال الرسل . فقد جاء في الاصحاح الحادى عشر : " فَسُمِعَ الخَبَرُ عَنْهُم فِي آذَانِ الكَنِيسَةِ الَّتِي فِيْ أورُشَلِيمَ فَأَرْسَلُوا بَرْنَابَا لِكَيْ يَجْتَازَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ الَّذِى لَمَّا أَتَى وَرَآى نِعْمَةَ اللهِ فَرِحَ وَوَعَظَ الجَمِيعَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ القَلْبِ لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً صَالِحاً وَمُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ وَالإِيمَانِ."

وقد شهد التاريخ أن لهذا القديس انجيلا عرف باسمه كان مشهورا ومنتشرا بين المسيحيين في العهد الأول قبل ظهور الاسلام بمئات السنين الا أن الكنيسة أصدرت قرارا بتحريم قراءته وتداوله لمخالفته الصريحة للعقائد الفاسدة التي تبنتها .

يقول الاستاذ ابراهيم خليل أحمد : " الا أن الأمر البابوى الذى أصدره البابا جلا سيوس الذى جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢م يبين أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا ".(١) وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الانجيل كان موجودا قبل ظهور الاسلام .

ثم ان الاكتشافات الحديثة تؤيد هذا الانجيل ، يقول الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر في كتابه " السنون المفقودة من عيسى تكشف " : ان انجيلا يدعى انجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول والمخطوطات التي اكتشفت حديثا في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الأنجيل." (٢)

وقد عثر على نسخة من هذا الانجيل في مطلع القرن الثامن عشر مكتوبة باللغة الايطالية على يد مستشار ملك بروسيا كريمر الذى أهداها الى البرنس يوجين سافوي لما لها من أهمية تاريخية .

ثم ان الراهب فرامينو تمكن من اختلاسها من مكتبة البابا ستكس

---

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ص ١٤١.
(٢) نقلا عن كتاب محمد في التوراة والانجيل والقرآن ص ٩١.

الخامس ، ومن ثم شاع خبر هذه النسخة في الأوساط الأوروبية مما أحدث هزة عنيفة في أندية الدين والعلم ، وبدلا من أن تحاسب الكنيسة نفسها وتثوب الى رشدها تنكرت لهذه النسخة من الانجيل وألصقتها بالمسلمين ، وهذا أمر مردود عليها لأن النسخة المكتشفة وجدت في جو مسيحي خالص ، فلا يمكن أن تكون مدخولة عليهم .

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله : " وان من ينحله للمسلمين كمن يحمل في يده شيئا يظن في حمله اتهاما له ، فيسند ملكيته الى غيره نفيا للتهمة عن نفسه ، فهل يقبل ذلك النفي من غير حجة ولا دليل ."(١)

هذا الانجيل الذى تنكرت له الكنيسة وقامت باحراقه تضمن الكثير من النصوص التي تبشر ببعثة سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه النصوص :

أولا : جاء في الفصل الثاني والأربعين : " لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فأعترف يسوع وقال: الحق أني لست مسيا ، فقالوا : أأنت ايليا أو أرميا أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا ، فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ في اليهودية كلها يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب في أشعيا . قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايليا أو نبيا ما فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا . أجاب يسوع ان الآيات التي يفعلها الله على يدى تظهر أني أتكلم بما يريد الله ولست أحسب نفسي نظير الذى تقولون عنه ، لأني لست أهلا أن أحل رباطات جرموق(٢) أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق قبلي وسيأتي بعدى وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية ."(٣)

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٧٤.
(٢) الجرموق : كعصفور وهو الذى يلبس فوق الخف .القاموس المحيط ٢٢٤/٣.
(٣) انجيل برنابا ص ٩١ — ٩٢.

ثانيا : وجاء في الفصل الرابع والأربعين : " ما أسعد الزمن الذى سيأتي فيه الى العالم ، صدقوني اني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه ، ولما رأيته امتلأت عزاءا قائلا : يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلا أن أحل سير حذائك لأني اذا نلت هذا صرت نبيا عظيما وقدوس الله." (١)

ثالثا : وجاء في الفصل السابع والتسعين قوله : " ان كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب فِيَّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله آبانا ابراهيم ، وان ما يعزيني هو أن لا لانهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحا .... فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى مسيا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟ أجاب يسوع : ان اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوى قال الله : اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركا ، ومن يلعنك يكون ملعونا ومتى أرسلتك الى العالم أجعلك رسولي للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان، ولكن ايمانك لا يهن أبدا . ان اسمه المبارك محمد ، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم ." (٢)

رابعا : وجاء في الفصل الثاني والسبعين قوله : " أما من خصوصي فأني قد أتيت لأهيىء الطريق لرسول الله الذى سيأتي بخلاص العالم ، ولكن احذورا أن تُغَشُّوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامي وينجسون انجيلي . حينئذ قال اندراوس يا معلم اذكر لنا علامة لنعرفه . أجاب يسوع : انه لا يأتي في زمنكم بل يأتي

(١) انجيل برنابا ص٩٦.
(٢) انجيل برنابا ص ١٦١ - ١٦٢.

بعدكم بعدة سنين حينما يبطل انجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون موءمنا ، في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذى تستقر على رأسه غمامة بيضاء ، يعرفه أحد مختارى الله وهو سيظهره للعالم وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد عبادة الأصنام من العالم ، واني أُسَرُّ بذلك لأنه بواسطته سيعلن ويمجد الله ويظهر صدقي وسينتقم من الذين يقولون اني أكبر من انسان".(١)

خامسا : وجاء في الفصل الثاني عشر بعد المائة : " فاعلم يا برنابا أنه لأجل هذا يجب عَلَيَّ التحفظ وسيبيعني أحد تلاميذى بثلاثين قطعة من نقود ، وعليه فاني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد اياى ، ومع ذلك فانه لما يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة وسيفعل الله هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيا الذى سيعطيني هذا الجزاء ."(٢)

سادسا : وجاء في الفصل الثالث والستين بعد المائة : " أجاب التلاميذ يا معلم من عس أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتي الى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلت انه محمد رسول الله ومتى جاء الى العالم فسيكون ذريعة الى الأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة العزيزة التي يأتي بها ."(٣)

سابعا : وجاء في الفصل العشرين بعد المائتين : " أجاب يسوع سل ما شئت يا برنابا أجبك ، فقال حينئذ الذى يكتب : يا معلم اذا كان الله رحيما فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد

---

(١) انجيل برنابا ص ١٣٠ - ١٣١.
(٢) انجيل برنابا ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٣) انجيل برنابا ص ٢٤١.

أنك كنت ميتا ، ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت وسمح
الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة
وأنت قدوس الله . أجاب يسوع صدقني يا برنابا أن الله يعاقب
على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقابا عظيما لأن الله يغضب
من الخطيئة فلذلك لما كانت أمي وتلاميذى الأمناء الذين كانوا
معي أحبوني قليلا حبا عالميا أراد الله البر أن يعاقب على
هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم
فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت
بريئا في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم
بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذى مت على الصليب ليكلا
تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة وسيبقى هذا الى أن يأتي
محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين
يؤمنون بشريعة الله ."(١)

نكتفي بهذا القدر من نصوص انجيل برنابا التي تبشر برسول الله
محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي كثيرة جدا ، وهي بشارات صريحة ليس
فيها لبس ولا غموض ، تعلن على لسان عيسى نبوة أخيه محمد وعظمته وقوة
دينة وهيمنته على سائر الأديان ، ونطقه بالحق ، وتصحيحه للعقائد
الفاسدة .

---

(١) انجيل برنابا ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

البـــاب الثانـــــي

معجزاته صلى الله عليه وسلـــــــــم

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصـــل الأول

القرآن الكريم معجزة الرسول الكبـــرى

جرت سنة الله في عباده المرسلين أن يؤيدهم بالمعجزات الباهرة والدلائل الساطعة ، التي لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثلها في وقتها ولا بعد وقتها ، وذلك للدلالة على صدقهم ، واثبات أنهم مبعوثون من الله سبحانه وتعالى لأقامة الحجة على أقوامهم بهذه المعجزات .

وقد كانت معجزة كل نبي مناسبة للعصر الذى كان يعيش فيه ذلك النبي ، ومن جنس ما اشتهر به القوم الذين بعث فيهم وما برعوا فيه حتى يكون خرقها للعادة الجارية أوضح لأقامة الحجة عليهم .

فكانت معجزة موسى عليه السلام قلب العصا الى حية وتغيير لون يده ، قال تعالى : " قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ، وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ، قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ، وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ".(١) وكان أهل مصر قد اشتهروا بالسحر وتفننوا فيه .

أما معجزة عيسى عليه السلام فكانت خلق الطير من الطين بأذن الله وابراء ذوى العاهات المزمنة كالعميان والبرصان ، واحياء الموتى باذن الله ، واخبارهم عن بعض المغيبات عنه ، قال تعالى : " وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ."(٢) وذلك لاشتهار قومه بالطب وبالمادية المفرطة ، وكانوا لا يؤمنون بالغيب ولا بالحياة بعد الموت .

أما معجزة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فكانت لغوية بيانية ، غاية في الفصاحة والبلاغة وهي القرآن الكريم . ومناسبة لحال العرب

---

(١) سورة طه ، الآيات ١٨ - ٢٢.

(٢) سورة آل عمران ، آية ٤٩.

الذين اشتهروا بفصاحة القول وبلاغة الكلمة وتذوق الكلام .

يقول الامام الماوردى : " ان معجزة كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره ، والشائع المنتشر في ناس دهره ، لأن موسى عليه السلام حين بعث في عصر السحرة خص من فلق البحر يبسا وقلب العصا حية ما بهر كل ساحر وأذل كل كافر ، وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب فخص من ابراء الزمنى واحياء الموتى بما أدهش كل طبيب وأذل كل لبيب ، ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في ايجازه واعجازه بما عجز عنه العظماء ، وأذعن له البلغاء ، وتبلد فيه الشعراء." (١)

ان معجزة رسل الله السابقين كانت مادية حسية موقوتة ترتبط بزمان معين ، ومكان معين ، ثم بالرسول الذى جرت على يديه ، فلما ذهب ذهبت معه ولم يبق الا ذكرها ، قصة تروى وخبرا ينقل بخلاف معجزة المصطفى عليه الصلاة والسلام فهي معجزة معنوية عقلية خالدة لا تدرك بالحس ، بل بالدراسة والفحص ، فلم تكن حدثا يقع ويزول ولا يبقى منه الا الأثر والخبر ، بل كانت معجزة خالدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، تخاطب الأجيال جيلا بعد جيل ، يقروءها الناس في كل زمان ومكان ويستنير بها ذوو العقول والبصائر ، وينتفعون بهديها في الحاضر والمستقبل وذلك لتناسب عموم الرسالة وخلودها التي بعث بها عليه الصلاة والسلام .

يقول العلامة الزرقاني : " وهنا نلفت النظر الى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة كتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيام ولم يمت بموت الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو قائم على فم الدنيا يحاج كل مكذب ويتحدى كل منكر ، ويدعو آمم العالم جمعاء الى ما فيه من هداية الاسلام وسعادة بني الانسان ، وفي هذا يظهر الفرق جليا بين معجزات نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم ، ومعجزات اخوانه الأنبياء

---

(١) اعلام النبوة للماوردى ص ٥٧.

عليهم أزكى الصلاة وأتم السلام ، فمعجزات محمد في القرآن وحده آلاف مؤلفة ، وهي متمتعة بالبقاء الى اليوم والى ما بعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، أما معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد ، قصيرة الأمد ، ذهبت بذهاب زمانهم وماتت بموتهم ، ومن يطلبها الآن لا يجدها الا في خبر كان ولا يسلم شاهد له بها الا هذا القرآن ، وتلك نعمة يمنها القرآن على سائر الكتب والرسل ، لهذا لم تكن معجزة سيد الأنبياء معجزة حسية تقرع الحس وتستولي على النفوس ...... وانما كانت معجزة خالدة لأنها خاتمة الرسالات ."(١)

والمتأمل في المعجزة بوجه عام يجد أنها كانت تواكب تطور العقل البشري ، لذا كانت معجزة الأنبياء السابقين مادية حسية تمشيا مع مستوى عقول الناس وتفكيرهم في ذلك الوقت ، فاذا ما وصلت البشرية الى طور النضج العقلي جاءتهم المعجزة العقلية الخالدة التي كانت لنبينا محمد .

فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي أوتيها رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء في الحديث الشريف قوله : " ما مِنَ الأنبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله أُوْمِنَ أو آمَنَ عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة ."(٢)

ولقد تحدى القرآن الكريم العرب أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثلة ، تحداهم أن يأتوا بمثله في قوله تعالى : " أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ."(٣) ، ثم تنازل لهم في تحديه الى عشر سور من مثله وليستعينوا بمن شاءوا في سبيل تحقيق ذلك ، قال تعالى: " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ

---

(١) مناهل العرفان ج ٢ ص٣٣٦ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ج ٨ ص ١٣٨ .
(٣) سورة الطور ، الآيتان ٣٣ - ٣٤ .

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ "(١). ثم تنازل لهم أكثر فأكثر حيث تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله دون تحديد بسورة طويلة ، وهذا في غاية التخجيل ، قال تعالى : " وَإِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِيْنَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ."(٢)

هكذا تدرج معهم في تحديه وبهذا الأسلوب المثير الساخر حتى يستجيبوا لهذا التحدى علما بأنهم أهل الفصاحة والبلاغة في القول ،شهد بذلك المؤرخون قديما وحديثا ، والقرآن نزل بلغتهم حروفه عربية وكلماته عربية معروفة لديهم ، لكنهم عجزوا وضعفوا أمام هذا التحدى، فلم يستطيعوا الاتيان ولو بمثل أقصر سورة فيه ، ولو أنهم آنسوا في أنفسهم القدرة على معارضته لما توانوا لحظة واحدة لعداوتهم الشديدة له صلى الله عليه وسلم ولدعوته ولتفانيهم المستميت في سبيل القضاء عليها ، فلما لم يستطيعوا معارضته لجأوا الى حربه وبذلوا الأموال الكثيرة والنفوس العزيزة في سبيل ذلك ، وليس معنى هذا أن الله تعالى هو الذى صرفهم عن الاتيان بمثله كما قال بعض العلماء ، فهذا القول باطل من أساسه لا يحتاج الى مناقشة لما فيه من الاشارة الى أن القرآن الكريم ليس معجزا بذاته ، وهذا خطأ عظيم وقع فيه أصحاب هذا الرأى .

يقول القاضي عياض في وصف حال العرب وما كانوا عليه من الفصاحة والبلاغة زمن نزول القرآن الكريم : " خصوا من البلاغة والحِكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوءت انسان ومن فصل الخطاب ما يفيد الألباب وجعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب

---

(١) سورة هود ، آية ١٣ .

(٢) سورة البقرة ،الآيتان ٢٣ - ٢٤.

فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل ....
منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ، ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول ، القليل الكلفة ، الكثير الرونق ، الرقيق الحاشية ."(١)

وبهذا الوصف يتبين لنا مدى ما كانوا عليه من الفصاحة في القول والبلاغة في التعبير ، لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، حيث كان فصاحة المنطق وبلاغة الكلمة أكبر أمرهم وسيد عملهم ، يقيمون الأسواق للتفاخر والتفاضل بفصيح المنظوم وبليغ المنثور ومعلقاتهم خير شاهد على ذلك، الا أنهم لما سمعوا القرآن يتلى عليهم دهشوا وانبهروا وأصيبوا بالشلل فخرست ألسنتهم واضطربت مشاعرهم وتبلد حسهم وأيقنوا في أنفسهم أنه ليس في مقدورهم معارضته فثبت بذلك عجزهم لأنهم أدركوا منذ اللحظة الأولى أنه ليس كلام بشر حتى يقدموا على معارضته ، فكان كل امرىء منهم يحمل في قرارة نفسه برهان عجزه وان كان يحمل على طرف لسانه كل زور وبهتان مكابرة وعنادا . فاذا ثبت عجزهم - وهو أمر معروف - فمن بعدهم أعجز ، وما جاء على لسان بعض المتنبئين من أسجاع مخاكاة للقرآن أمثال مسيلمة وغيره ما هو الا هراء لا قيمة له ، ولا يصدر عن انسان فيه مسكة عقل .

يقول الامام الماوردى مصورا موقف العرب من تحدي القرآن الكريم لهم : " وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم تخرجهم أنفة التحدي وصبروا على نغص العجز ، مع شدة حميتهم وقوة أنفتهم ، وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ، ولو وجدوا الى المعارضة سبيلا وكان في مقدورهم داخلا ، وقد جعله حجة لهم في رد رسالته لعارضوه ولما عدلوا عنه الى بذل

---

(١) الشفا في أحوال المصطفى ج ١ ص ٥٠٠ - ٥٠٢ .

نفوسهم في قتاله وسفك دمائهم في محاربته ."(١)

وكما تحدى القرآن العرب خاصة ، فثبت عجزهم عن الاتيان ولو بمثل أقصر سورة في القرآن الكريم فقد تحدى الناس عامة ، بل وتحدى الانس والجن مجتمعين ، يقول تعالى : " قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا القُرآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ."(٢)

وهكذا يقرر القرآن الكريم عجز الانس والجن معا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، مهما بلغوا من العلم والمعرفة ، وسوف يظل هذا التحدي قائما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وذلك لاقامة الحجة على الناس كافة في كل زمان .

وبهذا يتبين لنا أن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة التي أوتيها عليه الصلاة والسلام لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته خاتمة الرسائل والشرائع الالهية .

وجوه اعجاز القرآن الكريم :

تعددت وجوه الاعجاز في القرآن الكريم وتنوعت بحيث يجد كل ناظر فيه في كل زمان ما يناسبه من هذه الوجوه الكثيرة حسب عقله وفهمه وعلمه ، ومن هذه الوجوه :

أولا : الاعجاز اللغوي ، وهو من أظهر الوجوه وأهمها حيث حصل به التحدي ، فهذا النظم البديع المخالف لكل نظم معهود عند العرب ، والأسلوب الفريد المخالف لجميع أساليب العرب ، والبلاغة والفصاحة المهيمنة عليه كله ، كلماته وعباراته ومعانيه ، له أعمق الأثر في نفوس سامعيه .

ثانيا : الاعجاز التشريعي ، تلك الشريعة الغراء العظيمة التي تضمنها هذا الكتاب العزيز ، حيث فاقت جميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قديما وحديثا .

---

(١) اعلام النبوة للماوردى ص ٧١.

(٢) سورة الاسراء ، آية ٨٨.

ثالثا : اخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلية ، وهذه لا تصدر الا عن الله علام الغيوب ولا تأتي الا عن طريق الوحي .

رابعا : الاعجاز العلمي ، حيث تضمن القرآن الكريم الكثير من الاشارات الدقيقة الى بعض العلوم الكونية ، سبق بها العلم الحديث ، وما توصل اليه العلم في الوقت الحاضر طابق تماما ما ذكر في القرآن الذى أنزله الله تعالى على النبي الأمي قبل أربعة عشر قرنا .

وسأفرد لكل وجه من هذه الوجوه مبحثا أتحدث فيه بشيء من التفصيل.

المبحـــث الأول

الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين في غاية الفصاحة والبلاغة والروعة ، وقد كان له أبلغ الآثر على نفوس سامعيه ، حتى ان جهابذة الفصاحة وأعلام البلاغة بهروا لفصاحته وبلاغته حين قرع أسماعهم وأحسوا بعجزهم من الاتيان بمثله رغم التحدي المثير للاتيان ولو بمثل سورة منه.

لقد امتاز هذا الكتاب السماوى بشدة تأثيره في نفوس سامعيه وقوة جذبه لهم ، فلا يكاد أحد يسمع شيئا منه حتى تبدو أمارات التأثر على قسمات وجهه وفلتات لسانه سواء دفعه السماع الى الأيمان ، أم بقي مصرا على الكفر والعناد ، وذلك لأن القرآن الكريم اضافة الى المستوى السامق في الفصاحة والبلاغة يخاطب القلوب ويلمس المشاعر ويناجي العقول ، وهذا سر من أسرار أعجازه الخالد .

يقول الامام الخطابي : " فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص الى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى اذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب . يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول وأن يركنوا الى مسالمته ويدخلوا في دينه وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم ايمانا".(١)

وحين سمع العرب القرآن يتلى عليهم بهرهم وملك عليهم مشاعرهم وأحسوا منذ اللحظة الأولى أن لهذا الكتاب قوة تأثير وجاذبية غريبين لم تعرف لغيره من الكتب ، خاصة الفصحاء والبلغاء منهم ، لذا تواصوا

---

(١) ثلاث رسائل في البلاغة ص ٧٠.

فيما بينهم على عدم السماع ، ومنع سائر العرب القادمين الى مكة من السماع أيضا حتى لا يتأثر أحد به وينجذب اليه فيدفعه التأثر الى الأيمان • وتآمروا فيما بينهم على اللغو بالكلام حين يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول سبحانه وتعالى في كشف موءامرتهم الخبيثة :
" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ"(١)
وما لجأوا الى هذا التحذير الا لاحساسهم العميق بهزة عنيفة رَوَّعَتْهُم من شدة تأثيره وقوة جذبه لمن سمع منه شيئا ، فهم يرون تزايد أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يوما بعد يوم لتأثرهم العميق ببعض ما سمعوا من هذا الكتاب الكريم • فها هو ذا عمر بن الخطاب العدو اللدود للرسول عليه الصلاة والسلام يلين قلبه ويخشع فوءاده عندما يسمع بعض آيات من القرآن الكريم فيعلن دخوله في هذا الدين العظيم ، وتنقلب العداوة الى محبة وموالاة لله ولرسوله ويصبح من أشد الناس تمسكا بهذا الدين وأكثرهم تفانيا في نشره وتبليغه للعالمين •

روى البيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرج عمر متقلدا السيف فلقيه رجل من بني زهرة ، فقال له : أين تعمد يا عمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمدا ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا ؟ فقال عمر : ما أراك الا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه • قال : أفلا أدلك على العجب ، ان ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه ، قال : فمشى عمر ذامرا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب ، قال : فلما سمع خباب بحس عمر توارى في البيت ودخل عليهما ، فقال : ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرأون طه • فقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما صبوتما ؟ فقال له ختنه : يا عمر ان كان الحق في غير دينك ؟ قال : فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا ،

---

(١) سورة فصلت ، آية ٢٦•

قال : فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فَدَمّى وجهها ، فقالت وهي عضبى : وان كان الحق في غير دينك اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقال عمر : أعطوني الكتاب الذى عندكم فأقرآه ، قال وكان عمر يقرأ الكتب ، فقالت أخته : انك رجس وانه لا يمسه الا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، قال : فقام عمر فتوضأثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ".(١) قال : فقال عمر دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت ، فقال أبشر يا عمر فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس " اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا . قال : فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآى حمزة ـ رَجُلُ القوم ـ عمرَ قال : هذا عمر ، فان يرد الله به خيرا يسلم فيتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ، قال : والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه ، قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمايل السيف ، فقال : ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، فهذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام أو الدين بعمر بن الخطاب ، فقال عمر أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله وأسلم ."(٢)

وكذلك الطفيل بن عمرو الدوسي سيد قومه أسلم متأثرا بما سمع من القرآن الكريم لَمّا قدم مكة رغم عزمه على عدم السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تحذير رؤوس قريش له من ذلك .

روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن اسحق قال : وكان طفيل بن عمرو

---

(١) سورة طه ، آية ١٤ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٦ ـ ٨ .

الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ومشى اليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فقالوا له : يا طفيل انك قدمت بلادنا فهذا الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا ،فرق جماعتنا وانما قوله كالسحرة يفرق بين المرء وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وزوجته ، وانما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة ، قال : فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعني بعض قوله ، قال : فسمعت كلاما حسنا ، قال : فقلت في نفسي واثكل أمي ،اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتي به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا ، الذي قالوا لي فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله الا أن يسمعنيه ، فسمعت قولا حسنا فاعرض على أمرك ، فعرض عليّ الاسلام وتلا عليّ القرآن ، قال : فوالله ما سمعت قولا قط أحسن ، ولا أمرا أعدل منه ، قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت يا نبي الله اني امروء مطاع في قومي وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فادع الله لي أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم اليه ، قال : فقال اللهم اجعل له آية ، قال : فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح ، قال : فقلت اللهم في غير وجهي فاني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، قال فتحول فوقع في رأس سوطي ."(١)

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٩١ - ١٩٢.

وها هو جبير بن مطعم يسارع الى الدخول في الاسلام بعد تأثره العميق بما سمع من القرآن .

روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ "(١) ، كاد قلبي أن يطير(٢) وفي رواية أخرى وذلك أول ما وقر الاسلام في قلبي ."(٣)

ولم يقتصر تأثير القرآن على نفوس سامعيه من بني آدم ، بل جاوزهم الى عالم الجن حينما سمع نفر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن فآمنوا برسول الله وذهبوا الى قومهم مبشرين ومنذرين . قال تعالى مخبرا عنهم في سورة الجن : " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ".(٤)

وهذا يدل على عمق تأثير القرآن الكريم على نفوس سامعيه من الانس والجن ، وقد أكد القرآن الكريم هذا التأثير العميق وخاصة على النفوس المؤمنة ، فان المؤمن من أشد الناس تأثرا وتفاعلا مع ما يسمع من كتاب الله ، فالقلوب تلين ، والجلود تقشعر لسماع شيء من كتاب الله ، يقول تعالى : " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ".(٥)

---

(١) سورة الطور ، الآيات ٣٥ - ٣٧ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الطور ج ٦ ص ٤٩ - ٥٠ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ١٢ ج ٥ ، ص ٢٠ .
(٤) سورة الجن ، الآيتان ١ - ٢ .
(٥) سورة الزمر ، آية ٢٣ .

ولم يَسلَم الكفار المعاندون من تأثير القرآن عليهم عند سماعهم له ، فها هو الوليد بن المغيرة يبهر عند سماعه للقرآن الكريم ويشهد بعلو منزلته وعظمته ، ولكن اصراره على الكفر حال بينه وبين الانتفاع بما سمع .

روى البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد ابن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال له يا عم : ان قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال : ولم ؟ قال ليعطوكه .... قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر لها أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله ان لقوله الذي يقول حلاوه وان عليه لطلاوه وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى منك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره ، فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا ".(١)

وكذلك عتبة بن ربيعة تأثر بما سمع من القرآن تأثرا بليغا زلزل كيانه حتى بدا على قسمات وجهة وفلتات لسانه ، عرف ذلك كل من رآه بعد رجوعه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عندما ذهب اليه ليعرض عليه بعض العروض لعله يتراجع عن دعوته فباءت محاولته بالفشل .

روى أبو نعيم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن قريشا أجتمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله جالس في المسجد ، فقال عتبة بن ربيعة لهم دعوني حتى أقوم اليه أكلمه ، فاني عس أن أكون أرفق به منكم ، فقام عتبه حتى جلس اليه ، فقال : يا ابن أخي

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

أراك أوسطنا بيتا وأفضلنا مكانا ، وقد أدخلت على قومك ما لم يدخل رجل على قومه مثله ، فان كنت تطلب بهذا الحديث مالا فذلك على قومك أن يجمع لك حتى تكون أكثرها مالا ، وان كنت تطلب شرفا فنحن نشرفك حتى لا يكون أحد من قومك أشرف منك ولا نقطع أمرا دونك ، وان كان هذا عن علم يصيبك فلا تقدر على النزوع منه بذلنا لك خزائننا حتى نعذر في طلب الطب لذلك منك وان كنت تريد ملكا ملكناك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " حم السجدة " حتى مر بالسجدة ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعتبة ملق يديه خلف ظهره حتى فرغ من قراءتها ، ثم قام عتبة ما يدري ما يرجع به الى نادي قومه ، فلما رأوه مقبلا قالوا : لقد رجع اليكم بوجه غير ما قام من عندكم فجلس اليهم ، فقال: يا معشر قريش قد كلمته بالذى أمرتموني به حتى اذا فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت أذناي مثله قط ، وما دريت ما أقول له يا معشر قريش فأطيعوني اليوم واعصوني فيما بعده واتركوا الرجل واعتزلوه ، فوالله ما هو بتارك ما هو عليه ، وخلوا بينه وبين سائر العرب ، فان يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم وان يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم . قالوا : صبأت يا أبا الوليد."(١)

ولم يفلت رؤوس الكفار المعاندين من جاذبية القرآن ، فقد أثر أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق كانوا يذهبون ليلا خفية عن الأنظار ليستمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن الكريم في بيته ، فعلوا ذلك مرارا ،حتى اذا ما جمعتهم الطريق في الصباح تلاوموا وتواصوا فيما بينهم على عدم العودة لذلك ، لكنهم ينقضون الوصية ويعودون للاستماع ، وهذا يدل على عمق تأثير القرآن الكريم وقوة جذبه لمن سمعه .

روى البيهقي عن ابن اسحق عن الزهرى ، قال : حدثنا أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٨٧ - ١٨٨.

عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس وأنا والذى حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا ، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق ."(١)

وهكذا حال التعصب الأعمى وحب الرئاسة بينهم وبين الايمان واتباع الحق رغم اقتناعهم التام بأن ما جاء به عليه السلام هو الحق الواضح الذى لا شك فيه وصدق الله العظيم حين قال : " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ."(٢)

لقد امتاز القرآن الكريم بهذه الظاهرة دون غيره من الكتب لمس ذلك كل من سمعه حتى الذين لا يعرفون العربية فما السر في ذلك ؟

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٥٢ - ٤٥٣.

(٢) سورة النمل ، آية ١٤.

ان بلاغة القرآن المشرقه ونظامه الصوتي البديع من أهم الأسباب لتأثيره العميق على نفوس سامعيه ، فالمتأمل في هذا الكتاب الرباني تبهره تلك الموسيقى الرائعة النابعة من التناسق والائتلاف في حروفه في حركاتها وسكناتها مداتها وغناتها ، وكذلك في خروجها من مخارجها الصحيحة ، فهي ذات أجراس وأنغام موسيقية رائعة تشد السامعين وتملك عليهم مشاعرهم فهناك حرف يصفر وآخر يهمس وثالث يجهر في غاية الجمال والروعة .

ان حروف الكلمات القرآنية موءتلفة متآخية مع بعضها البعض بأصواتها ومخارجها وحركاتها ، اذ لو سقط حرف من هذه الحروف أو بدل بغيره لظهر خلل واضح في نسق الوزن وجرس النغمة ولأدى الى ضياع المعنى وهذا من احكام الله تعالى لكتابه العزيز ، ثم ان الايقاع الموسيقي في القرآن الكريم ناشيء أيضا من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص في غاية الجمال والكمال .

فالكلمة القرآنية لها لحن قائم بذاته فهي ذات بلاغة خاصة بأدائها بمدها وغنها وأنغامها العذبة ، وكذلك في انسجامها مع أخواتها في الجملة ، في النغم والموسيقى حيث تتآلف الألفاظ في الآية القرآنية في نغم هادىء اذا كانت الآية تحمل البشارة السارة لأهل الايمان، أو في نغم قوى شديد اذا كانت تتضمن الانذار والوعيد ، مثال ذلك قوله تعالى : " الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ، كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُم أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ." (١) فمن هذه الآيات تظهر النغمة القوية الشديدة التي تفزع مسامع المشركين وتتوعد بمصير الكافرين من قبلهم .

ومثال القرآن على النغم الهادىء قوله تعالى : " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) سورة الحاقة ، الآيات ١ - ٨ .

نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ". (١)

ثم ان ألفاظ القرآن الكريم ذات فصاحة وبلاغة عالية لجزالتها وعذوبتها الناجمة من تناسق حروفها وتلاقي مخارجها وتآلف حركاتها الصرفية واللغوية وانسجامها التام مع المعاني التي وضعت لها .

يقول الاستاذ الرافعي رحمه الله : " لما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جملة ألحانا لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة ، قراءتها هي توقيعها ، فلم يفتهم هذا المعنى وانه أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم حتى ان من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته الى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التراكيب البياني كأنه فطن الى أن الصدمة الأولى للنفس العربية انما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها ."(٢)

ويقول أيضا : " لو تدبرت ألفاظ القرآن الكريم في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض ويساند بعضها بعضا ولن تجدها الا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي حتى ان الحركات الثقيلة في نفسها اذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى اذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه (٣)، مثال ذلك قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ "(٤). فان الضمة ثقيلة في لفظة النذر لوضعها فوق النون والذال ولكنها جاءت هنا خفيفة على السمع منسجمة مع

---

(١) سورة الغاشية ، الآيات ٨ - ١٦.

(٢) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢١١.

(٣) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٤) سورة القمر ، آية ٣٦.

العبارة حيث جاءت بعد عدة فتحات متتالية وبعد حرفي قلقلة وغن؛فناسب التثقيل في هذه الكلمة الآتي من الضمتين المتتاليتين . ومن الأمثلة على جزالة اللفظ وعذوبته في القرآن الكريم قوله تعالى : " وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ "(١)، وقوله تعالى : " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " (٢). الى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

ومن بلاغة اللفظة القرآنية أنها تصور بجرسها وظلها المعنى الذي وضعت له بصورة رائعة خلابة ، مثال ذلك قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ"(٣) فكلمة "اثَّاقَلْتُمْ " ترسم بجرسها صورة معبرة للتثاقل عن الجهاد وكأنه جسم ثقيل لا يمكن رفعه ولا زحزحته عن مكانه .

ومثاله أيضا قوله تعالى : " عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ " (٤) فكلمة " عُتُلّ" ترسم صورة لذلك الانسان الغليظ الجافي .

ومثاله قوله تعالى : " والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ولا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّن عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ "(٥). فكلمة يصطرخون تصور بجرسها الغليظ غلظ الصراخ المنبعث من حناجر الكفار في نار جهنم فهي تصور العذاب الغليظ الواقع عليهم .

ان ألفاظ القرآن الكريم متآخية متآلفة في النغم والموسيقى ، وهي أيضا متآخية متآلفة في المعاني التي وضعت لها ، فلا تجد لفظة

---

(١) سورة الزمر ، آية ٦٧ .
(٢) سورة هود ، آية ٤٤.
(٣) سورة التوبة ، آية ٣٨ .
(٤) سورة القلم ، آية ١٣ .
(٥) سورة فاطر ، الآيتان ٣٦ - ٣٧ .

نابية عن أختها لا في النغم ولا في المعنى ولا يكون معنى لفظة نافرا من معنى اللفظة المجاورة لها ، بل الانسجام والتآلف في المعاني والانغام مهيمن على ألفاظ القرآن الكريم .

ومن الشواهد على التآخي في معاني الألفاظ قصة الأعرابي الذي سمع قارئا يقرأ : " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ "[1]والله غفور رحيم " فقال الأعرابي انه يقطع الأيدي نكالا فلا يتفق القول فراجع القارىء نفسه فأدرك خطأه وصححه بقوله " وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "، وبهذا يتبين لنا احكام الله تعالى لكتابه المعجز.

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله : "وان التآخي في المعاني والألفاظ ونسقها ونظمها ومعانيها واضح في كل آيات القرآن لا في آية دون أخرى ولا في سورة دون سورة ، فلا تجد في لفظ معنى يوجه الخاطر الى ناحية ويليه آخر يوجهه الى ناحية أخرى ، بل تجد النواحي متحدة اما بالتقابل واما بالتلاحق والمجاورة ، وفي كلتا الحالتين تجد معنى كل لفظ يمهد لمعنى الآخر ، فلا تنافر في المعاني كما لا تنافر في الألفاظ وهما في مجموعهما ينسابان في النفس غذاء رطيبا مريئا ونميرا عذبا سلسبيلا ."[2]

ان هذا التناسق العجيب الذي يهيمن على ألفاظ القرآن الكريم في المعاني والنغم جعله محكم البناء مترابط الأجزاء من أوله الى آخره، فكل كلمة لها مكانها الخاص التي وضعت فيه لا تتزحزح عنه ولا تنفر منه ولا تفارقه ، ولو فارقته لبقي فارغا ولا يملوءه غيرها ولظهر خلل في النظم . ثم ان كل كلمة فيه أيضا مقصودة بذاتها لا يجزىء عنها غيرها ولو كانت مقاربة لها في المعنى كما يتوهم البعض ، مثال ذلك قوله تعالى : " والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ"[3]لا يمكن تغيير كلمة الصبح بالفجر لأن ذلك يوءدى الى تغيير الصورة البيانية في النص واختلال المعنى ،وان

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٨ . ونهاية الآية والله عزيز حكيم وليس والله غفور رحيم .

(٢) المعجزة الكبرى (القرآن) ص ١١١.

(٣) سورة التكوير ، آية ١٨.

كان يعتبرها بعض العلماء من المترادفات لأن معنى الفجر شق الظلمة وفيه اشارة الى نهاية الليل ، أما الصبح ففيه اشار الى ابتداء النهار .

ومثال آخر قوله تعالى : " والنَّجْمِ إِذَا هَوَى"(١) فلا يمكن تبديل كلمة "هوى" بكلمة "سقط"، اذ لا تغني عنها في هذا المكان أى كلمة مهما كانت بليغة .

ومثال ثالث قوله تعالى : " وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي "(٢) فلا تجد كلمة تقوم مقام كلمة " أهش " .الى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

يقول الامام الخطابي : " اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذى اذا بُدِّلَ مكانُه غيرُه جاء منه اما تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، واما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحس أكثر الناس أنها متساوية في افادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح .... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك ".(٣)

ويقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب : " ومن عجيب نظم القرآن وضع الكلمة بموضعها الذى هي له بحيث لو قدمت أو أخرت لذهب شيء كثير مما كان لها في اقامة المعنى على الوجه الذى أخرجه القرآن من الكمال والدقة والروعة ..... فاذا بدل وضعها أو زايلت مكانها أحس النظم كله بفقدها وشعر بحاجته اليها هي دون غيرها حتى ينتظم أمره وتعود اليه سلامته التي كان عليها ."(٤)

وبعد هذا العرض يتبين لنا أن ألفاظ القرآن الكريم في القمة السامقة من البلاغة والفصاحة لكونها كلام رب البشر ، ولكن بلاغتها لا تبدو واضحة جلية الا في سياق النظم المتآلف المنسجم في

---

(١) سورة النجم ، آية ١ .
(٢) سورة طه ، آية ١٨ .
(٣) ثلاث رسائل في الاعجاز ص ٢٩ .
(٤) اعجاز القرآن للخطيب ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

مفرادته ومعانيه وموسيقاه ، وهذا ما تبناه الامام عبدالقاهر الجرجاني حيث أكد أن بلاغة الكلمة لا تعتبر الا اذا وجدت في مكانها المناسب من النظم ، متآلفة مع أخواتها في المعنى والاعراب ، يقول رحمه الله :
" وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة الا هو يعتّبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها ، أو هل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة ، وفي خلافه قلقة ونابية ومستنكرة ، الا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها ، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفقا للتالية في مُؤَدّاها ؟ وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى : " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "(١). فتجلى لك منها الاعجاز وبهرك الذى ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة الا لأمر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وأن لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا الى أن تستقر بها الى آخرها ، وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها . وان شككت فتأمل هل ترى اللفظة منها بحيث لو آخذت من بين أخواتها وافردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها في الآية ".(٢) الا أن هناك نفرا من العلماء خالفوا الجرجاني الرأي وأكدوا أن بلاغة ألفاظ القرآن الكريم ذاتية تنبع من ذات الكلمات ، يبدو ذلك حين يستعمل الأديب والشاعر بعض ألفاظ القرآن في تأليفه فيكتب جمالا ورونقا ، من هؤلاء الجاحظ وابن الأثير والباقلاني وأبو الحسن الزيدي .

يقول الباقلاني : " وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جميعه وواسطة عقده المنادي على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في حسنه ومائه ".(٣)

---

(١) سورة هود ، آية ٤٤ .
(٢) دلائل الاعجاز ص٣٦ - ٣٧.
(٣) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٢ - ٤٣.

ويقول أبو الحسن الزيدي : " ومما يبين بلوغ القرآن غاية الفصاحة أن الشاعر ربما ضمن لفظة من القرآن بيتا من الشعر أو حشا الخطيب بها فصلا من الخطب أو وشح الكاتب بها موضعا من الرسالة فيتميز بحسنها عن غيرها ويتبين ببهجتها على ما سواها ويصير الموضع الذى يضمها غرة من سائره بحسنه الذي اكتسبه من تلك اللفظة .(١)

ثم ان من سمات النظم القرآني البديع قلة الألفاظ الغريبة المستنكرة عند العرب حتى يكون قريبا من الأفهام لا غموض فيه ،وان أغرب كلمة في القرآن الكريم لفظ " ضيزى " ففي قوله تعالى : " تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ " حسنت هذه الكلمة في موقعها من الآية لأنها جاءت فاصلة من الفواصل ، ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى في موطن الانكار على العرب في قسمتهم بأن جعلوا الأصنام والملائكة بنات الله فقال : " أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ "(٢) ، فوافقت غرابة اللفظ غرابة تلك القسمة الآثمة .(٣)

ومن أبرز سمات النظم القرآني التزام الفاصلة في جميع آياته ،وهو ما لم يعهده العرب من قبل في شعرهم ونثرهم ، وقد أكسبت الفاصلة النظم جمالا بألحانها العذبة وأنغامها الحلوة التي تريح النفوس .

والفاصلة هي المقطع الأخير من الآية ، قد تكون كلمة تشكل جزءا من الآية أو آية قائمة بذاتها كقوله تعالى : " وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ "(٤) ، وكقوله : " وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ "(٥)

وقد تكون جملة مستقلة في آخر الآية مثل " وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " "وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" .

والفواصل نوعان متماثلة ومتقاربة ، والمتماثلة هي ما اتفقت في الحروف الأخيرة من الكلمة سواء في حرف أو أكثر مثال ذلك قوله تعالى: " وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ "(٦)، وكقوله تعالى : " أَلَمْ نَشْرَحْ

---

(١) اثبات نبوة النبي ٩ ٤٢ - ٤٣ .
(٢) سورة النجم ، آية ٢٢.
(٣) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢٣.
(٤) سورة الضحى ، الآيات ١ - ٣ .
(٥) سورة العصر ، الآيات ١ - ٣ .
(٦) سورة الطور ، الآيات ١ - ٣ .

لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "(١)، وكقوله : " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ."(٢)

أما المتقاربة فهي ما تقاربت حروفها ولم تتماثل ، مثال ذلك قوله تعالى : " قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِّنْهُم فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ."(٣) وكقوله تعالى : " الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ "(٤) ، حيث تتقارب الحروف في المخارج مع اتحاد في النغم .

وللفاصلة دور كبير في إحكام النظم القرآني في المبنى والمعنى، فالآية القرآنية بناء أحكمت لبناته بحيث لا تحس بكلمة تضيق بمكانها أو تنفر منه ، وكذلك الفاصلة التي ختمت بها تأتي متمكنة في مكانها غير نافرة ولا قلقة ، منسجمة مع المعنى العام والنغم الموسيقي ، وصدق الله العظيم بقوله : " الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ".(٥)

يقول الاستاذ الرافعي : " وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن الا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وهما حرفان طبيعيان في الموسيقى."(٦)

فهي تساهم مساهمة كبيرة في احكام النظم بألحانها العذبة بحيث لو بدلت أو غيرت لحصل خلل ظاهر في النغم وهذا واضح ملموس في جميع آيات الكتاب العزيز ، وكذلك تعمل على احكام المعنى أيضا حيث يتعلق معناها بالمعنى العام للآية التي ختمت بها بحيث لو طرحت اختل المعنى

---

(١) سورة الشرح ، الآيات ١ - ٤ .
(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٣) سورة ق ، الآيتان ١ - ٢ .
(٤) سورة الفاتحة ، الآيتان ٣ - ٤ .
(٥) سورة هود ، آية ١ .
(٦) اعجاز القرآن للرافعي ص ٢١٦.

واضطرب ، مثال ذلك قوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ".(١) فالفاصلة في الآية الأولى تتعلق بها تعلقا شديدا وترتبط بها ارتباطا وثيقا لأن حاسة السمع هي التي تعمل في هذه الظلمة الحالكة المطبقة على الوجود فناسب الاستفهام بها بقوله " أفلا تسمعون " وكذلك فاصلة الآية الثانية ترتبط بآيتها ارتباطا وثيقا لأن حاسة البصر في يقظة تامة بسبب النور المنتشر في الكون فناسب الاستفهام بها بقوله " أفلا تبصرون " وهكذا استخدم كل حاسة في الحال التي تصلح لها وتناسبها .

ومثال آخر قوله تعالى : " مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا " .(٢)فالفاصلة "عَضُدًا" مرتبطة بالآية من حيث المعنى لأن الله سبحانه وتعالى مستغن عن المضلين جميعهم ، فهم من الهوان على الله حتى سوى بين جميعهم وواحدهم .

وقد تأتي الفاصلة تعقيبا على الآية أو تلخيصا لها أو توكيدا لمعناها ، مثال ذلك قوله تعالى : " قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ".(٣)وقال أيضا : " وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ".(٤) وقال : " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ".(٥) وقال : " وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ " .(٦)

---

(١) سورة القصص ، الآيتان ٧١ - ٧٢ .
(٢) سورة الكهف ، آية ٥١ .
(٣) سورة طه ، آية ٦١ .
(٤) سورة الأنعام ، آية ١٠ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ٣٣ .
(٦) سورة يس ، آية ٣٧ .

وقد تتماثل الآية وتختلف الفواصل لحكمة يريدها الباري عز وجل مثال ذلك ، قال تعالى في سورة ابراهيم : " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ."(١) وقوله في سورة النحل : " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ."(٢)

يجيب ابن منير المالكي فيقول : " كأنه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان كونك ظلوما وكونك كفارا ، ولي عند اعطائها وصفان وهما أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا أجازي جفاءك الا بالوفاء" .

أما الزركشي فيقول : " ولكن بقي سؤال آخر هو ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم وآية ابراهيم بوصف المنعم عليه ؟

والجواب : أن سياق الآية في سورة ابراهيم في وصف الانسان وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه " ان الانسان لظلوم كفار "،وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى واثبات آلوهيته وتحقيق صفاته فناسب ذكر وصفه سبحانه " ان الله لغفور رحيم "(٣).

وهكذا تتجلى روعة القرآن وآحكام نسجه وتلاحم بنائه بصورة تبهر العقول وتملك القلوب والمشاعر .

وبهذا يباين أسلوب القرآن الكريم كل ما عرف من أساليب العرب من شعر ونثر وسجع بل ويفوقها في الحسن والجمال ، لذا حارت فيه عقولهم فكان معجزا لهم رغم فصاحتهم وبلاغتهم .

يقول القاضي عياض : " الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب

---

(١) سورة ابراهيم ، آية ٣٤ .
(٢) سورة النحل ، آية ١٨ .
(٣) انظر النصين في اعجاز القرآن للخطيب ص ٢٢٤.

والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ولم يوجد قبله ولا بعده له نظير ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ."(١)

ويبين الرماني سر الاعجاز في القرآن الكريم بقوله : " فان العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة ، منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة .... ولولا أن الوزن يحسن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصانا عظيما ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف في الطباع الذي من شأنه أن يحسن الكلام بما يفوق الموزون فهو معجزة ."(٢)

ان المتأمل في القرآن الكريم لتبهره بلاغته المشرقة المهيمنة على جميع آياته ، بل كله في مستوى واحد دون تفاوت فليس فيه جزء أبلغ من جزء ولا أبين ، بل كله في مستوى واحد من البلاغة على الرغم من اختلاف ما يتعرض له من الموضوعات من وعد ووعيد وقصص وأحكام وغير ذلك كأنه قطعة واحدة ، خالية من التعارض أو التناقض أو الاختلاف على عكس ما يصدر عن البشر ، اذ الاختلاف والتفاوت واضح في أساليبهم مهما أوتوا من الفصاحة والبلاغة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ".(٣)

يقول الامام الباقلاني : " ان بديع نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام واعذار وانذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف وأوصاف ، وتعليم اخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ، ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور "...............

---

(١) الشفا ج ١ ص ١٧٦.

(٢) ثلاث رسائل في الاعجاز ص ١٠٢ .

(٣) سورة النساء ، آية ٨٢.

ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره حسب الأحوال التي يتصرف فيها فيأتي بالغاية في البراعة في المعنى ، فاذا جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ."(١)

فاطراد بلاغته على امتداده الطويل ، وعلى تنوع ما يتعرض له من الموضوعات آية من آيات اعجازه ، فمهما كان الموضوع الذي يتناوله ، والقضية التي يعالجها يبقى اسلوبه بليغا ومنهجه فريدا ، فكلامه في موضوع الالوهية أو التشريع أو القصص أو غيرها كله في الذروة من الفصاحة والبلاغة ، ونضرب مثالا على تناوله لموضوع الألوهية بقوله تعالى: " اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ "(٢)

ومثال آخر في وصف الجنة التي وعد بها المتقون بقوله تعالى :" فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ."(٣)

وفي وصف النار يقول تعالى : " وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ " .(٤)

ومثال من القرآن على بيان الاحكام الشرعية قوله تعالى : " وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ، حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ

---

(١) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

(٣) سورة الغاشية ، الآيات ١٠ - ١٦ .

(٤) سورة الملك ، الآيات ٦ - ٨ .

وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُم وَأَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ." (١)

هذه الآيات على اختلاف موضوعاتها بلغت أقصى درجات البلاغة في تآخي ألفاظها وتلاقي معانيها وعذوبة فواصلها ، ورقة ألفاظها الناجمة عن تآلف مخارج الحروف فيها ، فكل حرف في مكانه الذي وضع فيه لا ينفر منه ، وكل لفظ في حيزه لا يشذ عنه ، وكل معنى يرتبط بالذي يليه ولا ينفك عنه كأنه بناء أحكمت لبناته أتم الاحكام ، وهذا قمة البلاغة .

ومن أسباب بلاغة القرآن الكريم تضمنه الكثير من مختلف فنون البلاغة كالتشبيه والاستعارة ~~والمجاز~~ وغير ذلك من المحسنات البديعية التي تبدو فيه بصورة بارزة في أماكن كثيرة منه ، الا أن هناك بعض المواضع لم يوجد فيها مثل هذه المحسنات وهذا لا يخل في بلاغتها ولا ينقصها عن مستوى بلاغة تلك الأماكن التي وجدت فيها تلك المحسنات لأن بلاغة القرآن لا تتفاوت كما سبق أن أشرت ، بل هو على درجة واحدة من البيان والفصاحة .

ومن الأمثلة على المحسنات البديعية ، قوله تعالى : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ." (٢) فقد شبه الله سبحانه وتعالى أعمال الكفار المحبطة بالسراب الخادع الذي لا فائدة فيه ولا وجود له في الواقع .

ومن ذلك قوله تعالى : " مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ." (٣) فشبه ما ينفقه المسلم في سبيل الله ابتغاء مرضاته وعظم أجره وثوابه بمثل حبة أنبتت

---

(١) سورة النساء ، الآيات ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سورة النور ، آية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٦١ .

سبع سنابل حتى تصبح أضعاف ذلك مرات عدة .

ومنه قوله تعالى : " فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ " .(١)

فشبه حال المعرضين عن الهداية والتذكير بالحمير الهاربة من الأسد القوي الذي يطاردها وهي فزعة ، خائفة منه ، لا تدري أين تذهب وكذلك حال المعرضين عن الذكر .

ومنه أيضا : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ." (٢)

فشبه البارى عز وجل الحياة الدنيا وما فيها من متع ومسرات وزينة في عدم دوامها لأحد من البشر بالماء الذي ينزل من السماء فينبت النبات الغض النضر الذي تزدان به الأرض ، فاذا بلغ أقصى زخرفه وزينته جاءت نهايته بأن أصبح هشيما ، وهكذا حال الدنيا فانها لن تدوم لبشر مهما أوتي من أسبابها فمصيرها الى الزوال والفناء ، وكأن شيئا لم يكن .

ومن أمثلة الكناية قوله تعالى : " فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا." (٣) فقوله "يقلب كفيه" كناية عن الندم والحسرة لما أصابه .

ومن ذلك قوله تعالى : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا". (٤) كناية عن تقواهم وخوفهم من الله تعالى وتواضعهم المنبثق من التقوى .

ومنه أيضا قوله تعالى : " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا." (٥)

---

(١) سورة المدثر ، الآيات ٤٩ ـ ٥١ .

(٢) سورة يونس ، آية ٢٤ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٤٢ .

(٤) سورة الفرقان ، آية ٦٣ .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٠ .

فقد عبر الله عز وجل عن النفاق بالمرض وذلك للمشابهة بين مرض الجسد والنفاق الذي يفسد القلب والعقل ، كما يفسد المرض الجسد ويضعفه .

ومن أمثلة الاستعارة قوله تعالى : " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا "(١)،فقد استعار لفظ اشتعل الذي هو للنار بدل انتشر للدلالة على سرعة انتشار الشيب في الرأس كسرعة اشتعال النار وهذا غاية الجمال .

يقول الامام عبدالقاهر الجرجاني في هذا المثال : " فتقول اشتعل شيب الرأس والشيب في الرأس ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن ، وهل ترى الروعة التي كنت تراها ؟ فان قلت : فما السبب في أنه كان اشتعل اذا أستعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل ، ولم بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة ؟ فان السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول ، وأنه قد شاع فيه وأخذه من نواحيه وأنه قد استقر به وعم جملته حتى لم يبق من السواد شيء أو لم يبق منه الا ما لا يعتد به وهذا ما لا يكون اذا قيل اشتعل شيب الرأس أو الشيب في الرأس بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة ."(٢)

ومن أبرز سمات الأسلوب القرآني التصوير الفني الرائع الذي يشد السامعين ويملك عليهم مشاعرهم ، فهو يعبر عن المعاني المجردة بالصور المحسوسة الملموسة التي تنبض بكل معاني الحركة والحياة ، يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فاذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، واذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، واذا النموذج الانساني شاخص حي واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة فاذا

---

(١) سورة مريم ، آية ٤ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٧٩ .

أضاف اليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل ، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلا الى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض وحادث يقع ، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من الموقف المتساوقة مع الحوادث ، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتنم عن الأحاسيس المضمرة ، انها الحياة وليست حكاية الحياة ."(١)

وبهذا يكون للقرآن أثره السحري على النفوس ، وتنساب المعاني الى القلوب ، ويعيش فيها حيا نضرا ، يتذوقه القارئ والمستمع ويجد فيه المتعة الغامرة والبهجة الطيبة لأن المعنى لم يبق مجردا ، بل غدا صورا تتحرك ومشاهد تتقلب ، وهذا من احكام الله لكتابه ، وسر من أسرار اعجازه لا يقدر عليه بشر ، ولا عرف في كلام أحد من الناس مثله ، يقول رحمه الله مرة ثانية : " فاذا ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية وتشخص النموذج الانساني والحادث المروي انما هي ألفاظ جامدة لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر أدركنا بعض أسرار الاعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن ."(٢)

ان التصوير القرآني تصوير حي منتزع من عالم الأحياء ، تصوير باللون والحركة والتخييل ، كما أنه تصوير بالنغمة التي تقوم مقام الحركة في التمثيل حيث يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في ابراز صورة من الصور .

ومن الأمثلة البارزة على طريقة القرآن في التصوير :

١ - من المعاني الذهنية التي أخرجت في صورة حسية ، قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

---

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم ص ٣٢ .

(٢) التصوير الفني في القرآن الكريم ص ٣٢ - ٣٣ .

تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ." (١) والمعنى الذهني الذي تقرره هذه الآية أن الصدقة التي تبذل رياء والتي يتبعها المن والأذى لا تثمر شيئا ولا تبقى ، ولكن هذا المعنى المجرد يعرض بهذه الصورة المحسوسة المتخيلة فيدعهم يتأملون هيئة الحجر الصلب المستوي وقد غطته طبقة خفيفة من التراب فيظنون فيه الخصوبة فاذا نزل عليه المطر من السماء انكشفت الحقيقة بأن زالت تلك الطبقة الخفيفة التي كانت تستره وتركته صلدا لا خير فيه ولا خصوبة ".(٢)

٢ - وأما تصويره للحالة النفسية والمعنوية فمثاله قوله تعالى : قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ." (٣)

هذه الآية الكريمة تبرز الحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد ومن يتوزع قلبه بين الاله الواحد والآلهة المتعددة ويتفرق احساسه بين الهدى والضلال ، فهو انسان يعيش حيران قلقا لا يستطيع أن يستقر على أمر ما استهوته الشياطين في الأرض الى الضلال والانحراف وبالمقابل اخوان له يدعونه الى الهدى وهو متردد بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء فهو موزع القلب لا يدري أي الفريقين يجيب ولا أي الطريقين يسلك ، وهذا قمة التمزق والشتات ."(٤)

٣ - أما تصويره للنموذج الانساني فمثاله قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٦٤ .
(٢) التصوير الفني ص ٣٥ .
(٣) سورة الانعام ، آية ٧١.
(٤) التصوير الفني ص ٣٩.

الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ."(١)

تبين هذه الآية الكريمة أن المشرك لا يعرف ربه الا في ساعة الضيق فيسأله الفرج . فاذا فرج عنه وخرج من محنته تنكر لربه الذي نجاه ، وهكذا ترسم الآية نموذجا انسانيا كثير التكرار في بني آدم وتصوره التصوير الحي المتحرك وبهذا تؤدي المعنى المراد أبلغ أداء وأوفاه.(٢)

٤ - أما تصويره للحوادث الواقعة فمثاله قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا."(٣)

وهكذا ترسم الآيات المشهد كاملا بحيث تبرز فيه الحركات الظاهرة والانفعالات المضمرة وتلتقي فيه الصورة الحسية بالصورة المعنوية وكأنما الحادث معروض من جديد دون أن يغفل منه قليل أو كثير .(٤)

٥ - وأما تصويره لمشاهد يوم القيامة فمثاله قوله تعالى : " وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ."(٥)

فهذه صورة شاخصة لمشهد من مشاهد يوم القيامة ، صورة فريدة للفزع والخجل والرهبة والاستسلام يجللها ظل كئيب يكمد الأنفاس .(٦)

ان القاعدة الأساسية التي يقوم عليها التصوير الفني في القرآن الكريم هي قاعدة التخييل الحسي والتجسيم وهي اضفاء الحركة والحياة على الصورة التي يعرضها ، وتجسيم المعنويات المجردة وابرازها

---

(١) سورة يونس ، الآيتان ٢٢ - ٢٣ .
(٢) التصوير الفني ص ٤٢ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآيات ٩ - ١٢ .
(٤) التصوير الفني ص ٤٤ .
(٥) سورة ابراهيم ، الآيتان ٤٢ - ٤٣ .
(٦) التصوير الفني ص ٥١ .

أجساما أو محسوسات ولا يقتصر التجسيم على التشبيه بمحسوس ، بل يشمل تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيه والتمثيل بل على وجه التعبير والتحويل (١)، مثال ذلك قوله تعالى : " يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَت مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً." (٢). فيجعل كأن العمل المعنوي مادة محسوسة تحضر على وجه التجسيم أو تحضر على وجه التشخيص أو توجد عند الله كأنها وديعة تسلم هنا فتتسلم هناك ." (٣)

ومثال آخر على التخييل قوله تعالى : " والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ " (٤) ، فها هو الصبح يتنفس فيخيل اليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة . (٥)

ومثال اجتمع فيه التخييل والتجسيم ، قال تعالى : " بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ". (٦) ، وقال : " وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ " (٧)، فكأنما الحق قذيفة خاطفة تصيب الباطل فتزهقه ، وكأنما الرعب قذيفة سريعة تنفذ في القلوب لفورها . (٨)

ومن أبرز خصائص التصوير القرآني التناسق الفني بين أجزاء الصورة المعروضة من حيث ما يسمى بوحدة الرسم ، أي عدم التنافر بين أجزاء الصورة ثم توزيع تلك الأجزاء على الرقعة بنسب معينة لا يزحم بعضها

---

(١) التصوير الفني ص ٦٦ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٣٠ .

(٣) التصوير الفني ص ٦٧ .

(٤) سورة التكوير ، آية ١٨ .

(٥) التصوير الفني ص ٦٢ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية ١٨ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية ٢٦ .

(٨) التصوير الفني ص ٧٠ .

بعضا ولا تفقد تناسقها في مجموعها، وكذلك اللون الذي ترسم به والتدرج في الظلال ما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع [١]، مثال ذلك قوله تعالى : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ." [٢] انه جو التعويذه بما فيه من خفاء وغموض وابهام، والفلق : الفجر ، فانه يعوذ برب الفجر " من شر ما خلق " ، هكذا بالتنكير وبهذا يتحقق الغموض والظلام المعنوي في العموم ، " ومن شر غاسق اذا وقب " فهو الليل حين يلف ظلامه كل شيء فيصبح مرهوبا مخيفا ، ومن " شر النفاثات في العقد " وهي الساحرات اللواتي ينفثن في العقد وغالبا ما يكون في الظلام ، وهو جو كله رهبة وخفاء وظلام ، " ومن شر حاسد اذا حسد "والحسد انفعال باطني مطمور في ظلام النفس وهو غامض أيضا ومرهوب ، فالجو كله ظلام ورهبة وخفاء وغموض وهو يستعيذ من هذا الظلام بالله ، والله رب كل شيء ، فَلِمَ خصه هنا برب الفلق ؟ لينسجم مع جو الصورة كلها ويشترك فيها ، أما أجزاء الصورة فهي " الفلق والغاسق " وهما مشهدان من مشاهد الطبيعة ، " والنفاثات في العقد " "وحاسد اذا حسد " وهما مخلوقان آدميان ، فالفلق والغاسق مشهدان متقابلان في الزمان وكذلك النفاثات والحاسد جنسان متقابلان في الانسان ، وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعا متناسقا ، متقابلة في اللوحة ، وكلها ذات لون واحد فهي أشياء غامضة مرهوبة يلفها الغموض والظلام والجو العام قائم على أساس هذه الوحدة في الأجزاء والألوان . [٣]

ان التناسق سمة بارزة في القرآن الكريم على امتداده الطويل فهناك التناسق في تأليف عباراته واختيار ألفاظه ثم نظمها في نسق خاص يبلغ أرقى درجات البلاغة ، وهناك التناسق في الفواصل التي تقوم

---

(١) التصوير الفني ص ٩٤ - ٩٥ .
(٢) سورة الفلق .
(٣) التصوير الفني ص ٩٤ - ٩٥ .

باحكام المبنى والمعنى وهناك التناسق الموسيقي والتناسق في التصوير.

يقول الاستاذ سيد رحمه الله : " وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق ، فمن نظم فصيح الى سرد عذب الى معنى مترابط الى نسق متسلسل الى لفظ معبر الى تعبير مصور الى تصوير مشخص الى تخييل مجسم الى موسيقى منغمة الى اتساق في الأجزاء الى تناسق في الاطار الى توافق في الموسيقى الى افتنان في الأخراج ...... وبهذا كله يتم الابداع ويتحقق الأعجاز ".(١)

ومن خصائص الاسلوب القرآني القصد في اللفظ والوفاء في المعنى وهو ما لم يستطع أحد من البشر أن يجمع بينهما في أسلوبه والقرآن كله خير شاهد على ذلك .

يقول الاستاذ محمد دراز : " ضع يدك حيث شئت في المصحف وعد ما أحصته كفك من الكلمات عدا ثم احص عدتها من ابلغ كلام تختاره خارجا عن الدفتين وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعاني الى ذاك ثم انظر كم كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام دون اخلال بغرض قائله وأي كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها هناك ؟ فكتاب الله تعالى كما يقول ابن عطية لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد ، بل هو كما وصفه الله:"كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ."(٢)

ثم انه يخاطب العامة والخاصة (٣)على حد سواء بحيث يجد العقلاء والبلغاء ما يناسبهم ، ويجد العوام ما يطيقون فهمه ومعرفته دون ترجمان فهو متعة العامة والخاصة وصدق الله العظيم اذ يقول : " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" .(٤)

---

(١) التصوير الفني ص١١٦.

(٢) النبأ العظيم ص١١٢. والآية - ١ - من سورة هود .

(٣) النبأ العظيم ص١١٣.

(٤) سورة القمر ، آية ١٧.

ثم انه يقنع العقل ويمتع العاطفة [1] في آن واحد دون أن يطغى أحدهما على الآخر على عكس ما يصدر عن البشر ، فالله سبحانه وحده القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا لأنه لا يشغله شأن عن شأن مثال ذلك قوله تعالى : " وَمِن آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ" (٢) فهو من خلال عرضه لهذا الدليل العقلي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد .

وبعد هذا العرض الموجز لاسلوب القرآن الفريد ونظمه البديع تبين لنا أن القرآن معجز في موسيقاه الناشئة من تأليف حروفه واختيار ألفاظه وجمال فواصله ، وهو معجز في تصويره الملموس لجميع ما يتناول من المعاني ، كما أنه معجز في أسلوبه الفريد الذي هو في الذروة من الفصاحة والبلاغة في ألفاظه ومعانيه وعباراته المتناسقة المؤتلفة .

لذا أعجز جهابذة الفصاحة والبلاغة عن الاتيان ولو بسورة مثله ولا يزال معجزا للناس جميعا على مر العصور وتوالي الأجيال الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) النبأ العظيم ص ١١٣ .

(٢) سورة فصلت ، آية ٣٩ .

المبحث الثاني

الاعجاز التشريعي في القرآن الكريم

من وجوه اعجاز القرآن الكريم تلك الشريعة الربانية السامية التي تضمنها وأرسى قواعدها في كثير من آياته ، لقد كان اهتمام القرآن في مرحلته المدنية بالجانب التشريعي ملحوظا ، فكان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعالجة أوضاع الجماعة المسلمة وتنظيم أمورها .

وقد اشتمل القرآن على مجموعة من التشريعات تعد بحق من أعظم الأدلة وأوضحها على نبوته صلى الله عليه وسلم . اذ لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تكون من صنعه أو من تأثير البيئة عليه ، لأنه صلى الله عليه وسلم نشأ أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة بين قوم أميين لا يعرفون علما من العلوم ، وطبيعة الشريعة نفسها تشهد أنها ليست من صنع بشر ، لأنها تخالف كل ما عرفته البشرية من الشرائع والقونين ، وهي ليست ترديدا لما سبقها من الشرائع السماوية السابقة ونسخة مكررة منها ، بل فيها الاستقلال والمخالفة لكثير من الأمور في تلك الشرائع ، وهي ليست صدى وأثرا لتفكير البشرية في ذلك الوقت بل لها سماتها المتميزة التي لم تصل اليها عقول البشر وأعرافهم وقوانينهم .

وشريعة القرآن تقوم على تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، فهي تحفظ على الناس دينهم وعقولهم ونفوسهم وأموالهم ونسلهم [١] ،وهذا ما يسمى بالضروريات الخمس ، وكل ما شرعه الله في كتابه يقوم على حفظ هذه الضروريات ويدفع أي خلل أو نقص يمكن أن يلحق بها .

فقد شرع الله الايمان والعبادات كالنطق بالشهادتين والصلاة والصوم والحج والزكاة تحقيقا لمصلحة العباد في حفظ دينهم ، وأوجب قتل المرتد عن دينه والزنديق لمنع الاخلال بهذه المصلحة ، وشرع الجهاد في سبيل الله

---

(١) الموافقات ج ٢ ص ١٠ .

لنشر الدين والتمكين له في الأرض .

وشرع الاسلام المحافظة على العقول بتقويتها وتهذيبها وحرم كل ما يلحق الضرر بها كشرب الخمر والمخدرات ، يقول الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ."(١)

وشرع أيضا ما يحافظ على النفس ويصونها من الأذى ، فحرم الاعتداء وسفك الدماء وشرع القصاص لدفع العدوان ، يقول تعالى : " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ"(٢)، ويقول : " وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ " .(٣)

كما شرع المحافظة على الأموال ، فحرم السرقة والربا وأكل أموال الناس بالباطل ، وأمر بقطع يد السارق عقوبة له وزجرا لغيره ليطمئن الناس على ممتلكاتهم ، يقول تعالى : " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ."(٤)

كما شرع المحافظة على النوع البشري فشرع الزواج وحرم الزنا وأمر بالاكثار من النسل وتربيته والقيام عليه حتى يكون أفرادا صالحين في المجتمع الاسلامي .

وهذه الشريعة شاملة كاملة ، لم تترك جانبا من جوانب الحياة البشرية الا ووضعت له النظام الأكمل والدستور الأمثل ، بخلاف النصرانية مثلا ، حيث اقتصر اهتمامها بالجانب الروحي من حياة البشر ولم تلتفت الى جوانب الحياة الأخرى ، ولقد آمتن الله على هذه الآمة باكمال هذا الدين واتمام النعمة بقوله : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الاسْلَامَ دِينَاً ."(٥)

فشريعة القرآن نظمت صلة المخلوقين بالخالق وأقامتها على أسس فكرية سليمة بعيدة عن الخرافات والأباطيل ، فبينت أصول العقيدة السماوية وأنواع العبادات المختلفة وذلك لتربية الفرد واصلاحه واستقامة

---

(١) سورة المائدة ، آية ٩٠.
(٢) سورة الاسراء ، آية ٣٣.
(٣) سورة البقرة ، آية ١٧٩ .
(٤) سورة المائدة ، آية ٣٨ .
(٥) سورة المائدة ، آية ٣.

سلوكه ، ومن ثم اقامة المجتمع المسلم الصالح المتمسك بآهداب الفضيلة والأخلاق ، والبعيد عن الانحراف والضلال .

كما نظمت صلة الحاكم بالرعية وجعلت لكل حقا وعليه واجبا ، فأوجبت العدل والمساواة والشورى على الحاكم وأوجبت الطاعة والنصح على الرعية قال تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ "(١)، وقال : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ".(٢)، ويقول تعالى في حق الحاكم على الرعية : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ."(٣)

ونظمت أيضا صلة الدولة المسلمة بغيرها من الدول في حالة السلم والحرب وأقامت علاقاتها معها على أساس من الاستعلاء والقوة والسيادة وعدم السماح لأحد بالتدخل في شؤون الدولة الخاصة بها وشرعت الجهاد صيانة للأمة ولعقيدتها وأوجبت على الدولة المسلمة الأخذ بأسباب القوة والمنعة لحماية الدعوة الاسلامية وتبليغها ودفع الأذى اذا وقع عدوان على أرض المسلمين ، قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ." (٤)

ثم عنيت شريعة القرآن عناية تامة بالجانب الاجتماعي من حياة الأمة، فشرعت ما يوفر ويحقق علاقات الأخوة والمحبة بين الناس كالمساواة بين الناس ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ، وبهذا تكون قد حطمت قيم الجاهلية وموازينها المعوجة ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ."(٥)

وأوجبت العدل بين الناس في خصوماتهم قال تعالى : " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ".(٦)وقال تعالى: " إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ."(٧)

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩.
(٢) سورة النحل ، آية ٩٠.
(٣) سورة النساء ، آية ٥٩ .
(٤) سورة الانفال ، آية ٦٠.
(٥) سورة الحجرات ، آية ١٣ .
(٦) سورة المائدة ، آية ٨.
(٧) سورة الحجرات ، آية ١٠.

كما نظمت شؤون الأسرة وبينت حقوق الزوجين والآباء والأبناء حتى تسود المودة والمحبة والوئام بين أفرادها ، ومن ثم بناء المجتمع المتحاب المتماسك .

كما أنها عالجت الجوانب الاقتصادية فبينت سبل الكسب المباح من أنواع التجارة والبيوع والصناعة وغير ذلك وحرمت الربا وطرق الكسب الحرام ، ثم جعلت قيودا على التصرف بالأموال وبينت أن فيها حقا واجبا للفقراء والمحتاجين ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ "(١)، وقال : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "(٢)، ويقول سبحانه وتعالى في حل البيع وحرمة الربا : " وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا "(٣)، ويقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ "(٤).

وهذه الشريعة الربانية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ، لأنها تحتوي على قواعد وأسس كلية ثابتة تتسم بالمرونة والملاءمة لمختلف الأجواء والبيئات في مختلف العصور ، يقول تعالى : " لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ".(٥)

وهي شريعة عالمية جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للبشر كافة ، تصلح لأبيضهم وأسودهم ، وتلائم جميع المجتمعات وتحقق الخير والنفع لكل بني آدم على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم وحضاراتهم ، فهي رحمة مهداة من الله سبحانه وتعالى للناس كافة ، وليست حكرا على قوم دون آخرين أو لجماعة دون أخرى ، وانما هي للناس كافة عربهم وعجمهم يقول تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " .(٦)

وبهذه السمات الواضحة في هذه الشريعة الغراء يظهر تميزها على جميع النظم والقوانين الوضعية لأن هذه القوانين صادرة عن البشر

---

(١) سورة المعارج ، آية ٢٥ .
(٢) سورة التوبة ، آية ١٠٣ .
(٣) سورة البقرة ، آية ٢٧٥.
(٤) سورة النساء ، آية ٢٩ .
(٥) سورة يونس ، آية ٦٤ .
(٦) سورة الانبياء ، آية ١٠٧.

الضعفاء القاصرين وهي عاجزة عن توفير السعادة وتحقيق الخير للبشرية ، وما أصاب البشرية من الويلات والدمار والشقاء سببه اقصاء شرع الله والاحتكام لهذه القوانين .

وهذه الشريعة هي الشفاء المرتجى والدواء الناجع والأمل الكبير لما حل بالبشرية من علل وأسقام . لقد طبقت هذه الشريعة في حياة الأمة الاسلامية في عهدها الأول فأنتجت جيلا فريدا لم يشهد له التاريخ مثيلا ، فقد جعلت من الأعراب رعاة الشاة والأبل قادة وزعماء قادوا البشرية الى الخير والصلاح ، وعاشت الأمة بفضلها حياة السعادة والرخاء والكرامة ، وعندما تخلت عنها عاشت حياة الشقاء والعبودية ورحم الله عمر الفاروق القائل : " نحن قوم أعزنا الله بالاسلام فاذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله " .

وسأفصل القول في الشريعة الاسلامية بوضوح الدلائل الموضوعية على صدقه صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث

الاخبار بالغيب

ومن وجوه اعجاز القرآن الكريم اخباره عن الغيوب في كثير من آياته ، سواء الغيوب الماضية منها أو المستقبلية وما تخفي الصدور وتكن القلوب ، وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين وليس من كلام البشر ، لأن هذه الأخبار جاءت الأحداث تصدقها ، وليس هذا لأحد الا لعلام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى وما كان وما سيكون الى يوم القيامة .

والغيب علم استأثر به الله عز وجل دون سائر الخلق لا يطلع أحد منهم على شيء من ذلك الا اذا أطلعه الله سبحانه وتعالى حتى الأنبياء والرسل والملائكة .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الخلق ، الذي اصطفاه الله لحمل رسالة السماء الى الناس كافة يصرح أنه لا يحيط بشيء من علم الغيب الا اذا كشف الله له من ذلك شيئا لأنه مثل سائر البشر ، قال تعالى على لسان نبيه : " قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ والبصير أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ."(١) ويقول : " قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ".(٢)

فهذه الآيات تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم من الغيب شيئا الا ما أوحى الله به اليه وفي هذا دليل قاطع وبرهان ساطع على نبوته صلى الله عليه وسلم .

ومن الغيوب التي تضمنها القرآن الكريم وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٥٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٨٨.

أولا : اخباره عن الغيوب الماضية :

ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات تتضمن أخبارا عن القرون الماضية والأمم السابقة وقصص بعض أنبياء الله مع أقوامهم ومصير هؤلاء الأقوام المكذبين المعاندين كقصة هود وصالح ونوح وشعيب عليهم السلام، وأخبار قوم عاد وثمود وفرعون وغير ذلك من الأخبار الماضية التي لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قومه يعلمونها من قبل أن ينزل القرآن ، شهد بذلك الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث قال عقب ذكره لهذه القصص الماضية : "تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ".(١)

ويقول أيضا : "ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ" .(٢) وقال أيضا :"ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ".(٣)

هذه النصوص تؤكد أن أخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء السابقة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها من قبل أن يوحى اليه بها ، وأنَّى له ذلك وهو العربي الأمي الذي لا يعرف القراة ولا الكتابة ولم يؤت نصيبا من العلم قبل مبعثه ، فلم يؤثر عنه أنه تلقى علما من أحد من الناس ولا ارتحل عن قومه لتحصيل ذلك ، ثم ان قومه كانوا أميين ليس لديهم علم من العلوم الا نواحي اللغة والبيان الفطري ، فلم يكن فيهم علماء يتلقون عنهم ، وكانت صلتهم بأهل الكتاب محدودة ، واذا كان الأمر كذلك فمن أين لمحمد صلى الله عليه وسلم بهذه الأخبار ان لم يكن وحيا من الله سبحانه وتعالى ، فهذا دليل قاطع وآية بينة على أنه صلى الله عليه وسلم رسول مبعوث من رب العالمين ، يقول الامام الباقلاني: " انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أميا لا

---

(١) سورة هود ، آية ٤٩ .
(٢) سورة يوسف ، آية ١٠٢.
(٣) سورة آل عمران ، آية ٤٤ .

يكتب ولا يحسن أن يقرأ وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعثه .... ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لاسبيل اليه الا عن تعلم ، واذا كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الآثار وحملة الأخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه ، علم أنه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ."(١)

ويقول الامام ابن تيمية في ذلك أيضا : " ذكر سبحانه أن هذا الذي أوحاه الله اليه من أنباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا ، فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الا قومه ، وقومه يعلمون ذلك عنه ، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ، ويعلمون أيضا أنه هو لم يكن تعلم ذلك وأنه لم يكن يعاشر غيرهم وهم يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه."(٢)

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأمية محمد صلى الله عليه وسلم في آيات عدة منها قوله تعالى :"وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" .(٣) ويقول أيضا : "قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ."(٤) ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخبر عن هذه الغيوب الا بما يوحى اليه ، فقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عن بعض القصص والحوادث الماضية الواردة في كتبهم والتي لا يعرفها الا كبار أحبارهم ليختبروا بذلك صدقه فكان الوحي يأتيه بها كاملة مفصلة كقصة أهل الكهف وشأن ذي القرنين وخبر موس والعبد الصالح وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة ، ولم

---

(١) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٤.
(٢) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٢٣ .
(٣) سورة العنكبوت ، آية ٤٨.
(٤) سورة يونس ، آية ١٦.

يؤثر عن أحد من هؤلاء أن كَذَّبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وهم أشد الناس عداوة له ، وأحرصهم على تكذيبه وابطال دعوته ٠

ثانيا : الاخبار عن الغيوب المستقبلية :

أخبر القرآن الكريم بعدة أخبار لم تكن قد حصلت عندما أخبر بها ، ووقعت في المستقبل طبقا لما أخبر ، وكشف كذلك الكثير من الأسرار والخفايا التي تختلج في النفوس ولا يعلم بها أحد من الناس ، وهذا لا يصدر الا عن علام الغيوب الذي يعلم السرائر وما سيكون في المستقبل ، ولا يمكن أن يأتي من أحد من البشر الا أن يكون نبيا مرسلا فيطلعه الله على ذلك عن طريق الوحي ، وفي هذا ابطال لزعم القائلين أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ٠

ومن الغيوب التي أخبر عنها ووقعت وفقا لما أخبر :

١ - اخباره بغلبة الروم على الفرس :

قال تعالى : " الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِيْنَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ "٠(١)

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين بعد تلك الهزيمة البشعة التي حلت بهم اذ غزاهم الفرس في عقر دارهم وهزموهم وانتصروا عليهم ، وقد فرح لذلك مشركو قريش واستبشروا خيرا لأنهم على الوثنية مثلهم ، وأخذوا يهزأون ويسخرون من المسلمين قائلين غلب اخواننا الفرس اخوانكم الروم وسنغلبكم اذا ما وقع بيننا وبينكم حرب ، فساء ذلك المسلمين ورغبوا لو أن النصر كان حليف الروم لأنهم أهل كتاب مثلهم ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه بما نزل عليه من القرآن أن الروم ستغلب الفرس وتهزمهم خلال سنوات قليلة ، فلما سمع المشركون بهذا النبأ كذبوه حتى أن أُبَيَّ بن خلف تراهن مع أبي بكر رضي الله عنه على تكذيب ذلك ، ولكن قدر الله النافذ

---

(١) سورة الروم ، الآيات ١ - ٥٠

ووعده الصادق تحقق فقد تمكن الروم من هزيمة الفرس بأقل من عشر سنين وفرح بذلك المؤمنون .

يقول القرطبي : " وكان في هذا الاخبار دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الروم غلبتها فارس فأخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم أهل كتاب ، فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله عز وجل به مما لن يكن علموه ، وأمر أبو بكر أن يراهنهم على ذلك وأن يبالغ في الرهان ثم حرم الرهان بعد ونسخ بتحريم القمار."(١)

روى الامام أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : " غُلِبَتِ الرُّومُ " قال : غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ ، قال : كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أصحاب كتاب ، فذكر ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما أنهم سيغلبون " فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا ، فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا جعلته أراه قال دون العشر ، قال أبو سعيد ، والبضع ما دون العشر ، قال : ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله تعالى : "الم غلبت الروم " الى قوله " يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء " . قال سفيان الثوري : سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر ".(٢)

---

(١) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٥ .

(٢) مسند أحمد ٣٠٤/١ ، سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الروم ج ٥ ص ٣٤٣.

٢ - اخباره بهزيمة قريش قبل حدوثها :

قال تعالى : " سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ " [١] وقال : " جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ." [٢]

يخبر سبحانه وتعالى بهذه الآيات أن جمع المشركين سيهزم ويولي الدبر ، وأن الله سينتقم منهم بأيدي عباده المؤمنين ، وقد تحقق ذلك في وقعة بدر حيث هزم جمع المشركين شر هزيمة ورجعوا يجرون ذيول الخزي والعار من هذه المعركة ، يقول الشوكاني في تفسيره : " وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأدبار وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر فلله الحمد ". [٣]

روى عكرمة قال : نزلت " سيهزم الجمع يولون الدبر " قال : قال عمر : أي جمع يهزم أي جمع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول " سيهزم الجمع ويولون الدبر " فعرفت تأويلها يومئذ ." [٤]

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة : اللهم اني أنشدك عهدك ، اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ، فأخذ أبو بكر بيده ، فقال حسبك يا رسول الله قد ألححت على ربك ، وهو في الدرع فخرج وهو يقول: "سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ " .[٥] وكان ذلك يوم بدر.

ويقول القرطبي : " هذا تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد فعل بهم هذا في يوم بدر ، قال قتادة : وعد الله أنه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تأويلها يوم بدر ." [٦]

---

(١) سورة القمر ، آية ٤٥ .

(٢) سورة ص ، آية ١١.

(٣) فتح القدير ج ٤ ص ١٢٩.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٦٦.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب ما قيل في درع النبي ج ٣ ص ٢٣٠.

(٦) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٥٣.

ويقول أبو الحسن الزيدي : " فأخبر عز وجل في حال ضعف النبي صلى الله عليه وسلم وقلة أنصاره وقوة مشركي قريش أنهم جند مهزوم فكان الأمر على ما أخبر به عز وجل هزموا يوم بدر ."(١)

٣ - اخباره بدخول رسول الله وصحابته المسجد الحرام .

قال تعالى : " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا."(٢)

تدل هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته سيدخلون مكة معتمرين ، يطوفون بالبيت آمنين مطمئنين بعد أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في نومه ورؤيا الأنبياء حق وصدق ، وقد تحقق ذلك ليس في نفس السنة التي خرجوا بها لأداء العمرة ، وانما في العام الذي بعده وذلك لأن المشركين منعوهم من الدخول الى مكة وحصل بينهم الصلح على أن يأتوا في السنة القادمة للعمرة ، فسميت عمرة القضاء .

يقول ابن كثير : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي في ذلك ، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى : أفأخبرتك أنك آتيه عامك هذا ؟ قال : لا . قال النبي صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف فيه ."(٣)

---

(١) اثبات نبوة النبي ص ١٣٠ .
(٢) سورة الفتح ، آية ٢٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٠١.

٤ - اخباره بحفظ القرآن من التحريف :

قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ."(١)

تخبر هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ كتابه من التحريف والتغيير ، فلن يستطيع أحد من الناس أن يعبث فيه بتغيير أو تبديل ولو بكلمة واحدة منه ، على خلاف الكتب السابقة التي حرفها أحبار اليهود والنصارى بأيديهم ، وقد وقعت محاولات كثيرة لتحريف كتاب الله والزيادة فيه أو النقص منه ، ولكنها باءت بالفشل ورد الله كيد الحاقدين في نحورهم .

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى الأسباب الكثيرة لحفظ كتابه من التحريف منذ اللحظة الأولى لنزوله حيث مكن من حفظه في الصدور في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعندما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمعه وتدوينه في نسخة واحدة لحفظه نظرا لاستشهاد أعداد كبيرة من حفظته ، ثم قام الخليفة الثالث عثمان بن عفان بنسخه عدة نسخ ووزعها على الأمصار الاسلامية .

وهكذا فقد حفظه المسلمون جيلا بعد جيل في الصدور والسطور ، يتلقاه كل جيل عن سابقه ويعلمه لمن بعده ، وسيبقى محفوظا كما وعد الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولن يخلف الله وعده وهذا يؤكد بطلان قول من يدعي أن القرآن ناقص ولحقه التحريف لمصادمة ذلك للنص الصريح .

يقول القرطبي في قوله تعالى : " وانا له لحافظون " من أن يزاد فيه أو ينقص منه ، قال قتادة : حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا ."(٢)

٥ - اخباره بعودة الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة :

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ " .

تخبر هذه الآية الكريمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيعود الى مكة المكرمة في المستقبل بعد أن أخرجه أهلها منها وقد تحقق ذلك عندما فتح الله عليه مكة .

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٥ .

(٣) سورة القصص ، آية ٨٥.

يقول الشوكاني : " لرادك الى معاد " أي الى مكة ، قال بذلك جمهور المفسرين" .(١)

ويقول القاضي عبدالجبار الهمذاني : ومعاد الرجل بلده ، وسمى معادا لأنه ينصرف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعود اليه .... وهذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة يريد المدينة فكان خروجه منها محزونا لمفارقة وطنه فبشره الله بالظهور والغلبة وأعلمه أنه يعود الى مكة فكان كما قال وكما أخبر."(٢)

ويقول القرطبي : " ختم الله السورة ببشارة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برده الى مكة قاهرا لأعدائه وهو قول جابر بن عبدالله وابن عباس ومجاهد وغيرهم ، ويقول ابن عباس ان هذه الآية نزلت بالجحفة."(٣)

٦ - اخباره بظهور الاسلام على سائر الأديان :

قال تعالى : " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ."(٤)

يخبر الله تعالى في هذه الآيات أن أمر هذا الدين سيتم ويظهر على سائر الأديان في الأرض رغم كيد الأعداء له ، فهم لا يألون جهدا في محاربته والطعن فيه لاطفاء نوره ولكن الله حافظٌ لدينه مُعْلٍ لكلمته منجزٌ لوعده رغم أنف الكافرين ، فقد ظهر نور الاسلام وعم أرجاء الأرض شرقا وغربا .

يقول أبوالحسن الزيدي : " ثم أنجز الله عز وجل وعده لنبيه صلى الله عليه وسلم باظهار دين الاسلام ونشر دعوته في الآفاق فطبقت الشرق والغرب وعمت العرب والعجم وخلصت الى الروم والهند والترك..... .... فأما بلاد العرب والعجم فقد صارت بلاد الاسلام ، ولم يبق أهل ملة في الملل ولا أمة من الأمم الا نفذ فيهم الاسلام حتى صار هذا

---

(١) فتح القدير ج ٤ ص ١٨٨.
(٢) تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٧٢ .
(٣) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٣٤.
(٤) سورة التوبة ، الآيتان ٣٢ - ٣٣ .

الدين أعلى الأديان كلمة وأرفعها حكمة ولو كره المشركون ، كما قال الله عز وجل ."(١)

جاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : " ليظهره على الدين كله " أي على سائر الأديان كما في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :" ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ."(٢)

وروى الامام أحمد عن سليم بن عامر قال : سمعت تميم الداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك بيت مدر ولا دبر الا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام ، وذلا يذل الله به الكفر ".(٣)

ويقول عبدالجبار المعتزلي : " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين دعا الى الله وفي حال وحدته وضعفه أن الله أرسلني ووعدني أن يظهر ديني على الأديان كلها فيكون سلطاني أقهر من سلطان كسرى وقيصر فأغلب الملوك ويعلو ملكي وملك أنصاري وأتباعي كل ملك في الأرض ، ثم ما رضي بهذا القول حتى جعله كتابا يقرأ وقرآنا مخلدا يعرفه العدو والولي فقال :"هو الذي أرسل رسوله بالهدى ....فكان كما كان وكما أخبر ".(٤)

٧ - اخباره باستخلاف الأمة المسلمة والتمكين لها في الأرض :

قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ."(٥)

---

(١) اثبات نبوة النبي ص ١٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٩ ،والحديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ،باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ج٤ ص ٢٢١٥.

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ٤ .

(٤) تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٣١٤.

(٥) سورة النور آية ٥٥.

يخبر سبحانه وتعالى بانه سيجعل أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خلفاء الأرض وسيبدلهم الحالة البائسة التي كانوا عليها من الخوف وعدم الاستقرار نظرا لتكالب الأعداء عليهم من كل جانب الى الأمن والطمأنينة والتمكين في الأرض .

ولم تمض فترة طويلة على نزول هذه الآية حتى تحقق وعد الله فمكن للمسلمين في الأرض ورسول الله لا زال بينهم قبل أن يقبض اذ دانت له جزيرة العرب وبعده بقليل دانت غيرها من الأمصار بالطاعة والخضوع للمسلمين وأقر الله أعينهم بالأمن والطمأنينة وانطلقوا ينشرون النور الرباني الذي ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا امتد سلطانهم وقويت شوكتهم وعلت كلمتهم ودانت لهم العرب والعجم بالطاعة .

يقول ابن كثير : " هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله عليه وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة ، روى أبو العالية في قوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ...... " قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده والى عبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يوءمرون بالقتال حتى أمروا بعد الهجرة الى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح ، فصبروا على ذلك ما شاء الله ثم ان رجلا من الصحابة قال: يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا أما يأتي يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لن تصبروا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة " . وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح ، ثم أن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في امارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيه ".(١)

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

٨ - اخباره بفتح خيبر والحصول على الغنائم :

قال تعالى : " وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ." (١)

أخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية أن المسلمين سيحصلون على غنائم كثيرة ، ومن بينها غنائم خيبر وقد تحقق ذلك فقد توالت الغنائم على المسلمين من فتوحاتهم الكثيرة حيث أيدهم الله تعالى بالنصر على أعدائهم كما تحقق وعد الله للمسلمين بفتح خيبر والحصول على الغنائم الكثيرة منها .

يقول الشوكاني تعليقا على هذه الآية : " في هذا وعد منه سبحانه لعباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الغنائم الى يوم القيامة يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها ،"فعجل لكم هذه " أى غنائم خيبر ". (٢)

ويقول القرطبي : " قال ابن عباس ومجاهد انها المغانم التي تكون الى يوم القيامة ، وقوله " فعجل لكم هذه " أي خيبر قاله مجاهد ، وقال ابن عباس عجل لكم صلح الحديبية ." (٣)

ويقول الطبري : " وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية اليها من فتح خيبر وغنائمها ، أما قوله " وعدكم الله مغانم كثيرة " فهي سائر المغانم التي غنموها بعد خيبر كغنائم هوزان وغطفان وفارس والروم ". (٤)

---

(١) سورة الفتح ، آية ٢٠ .
(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٥١ .
(٣) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٧٨ .
(٤) تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٩٠ .

٩ - اخباره بموت أبي لهب والوليد بن المغيرة على الكفر :

قال تعالى في شأن الوليد : " ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ." (١)

في هذه الآيات اخبار من الله تعالى أن الوليد بن المغيرة - أحد صناديد الكفر وزعمائهم - سيهلك على الكفر وسيدخل العذاب الأليم في سقر جزاء اعراضه عن الحق بعدما تبين له،وقد تحقق ذلك حيث أهلكه الله مع من هلك من الكفار يوم بدر .

وقال في شأن أبي لهب : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ". (٢)

أخبر سبحانه وتعالى أن أبا لهب سيموت كافرا وسيصلى نارا ذات لهب جزاء كفره وايذائه المستمر للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وقد حصل ذلك ، فلم يشرح الله صدره للاسلام وأصر على الكفر حتى توفاه الله وهو كافر وكذلك امرأته أم جميل .

يقول القرطبي : " والحكم ببقاء أبي لهب وامرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر الى الموافاة فلما ماتا على الكفر صدق الاخبار عنهما ، ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامرأته خنقها الله بحبلها ، وأبو لهب أماته الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد أن شجته أم الفضل " . (٣)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية تعليقا على الاخبار عن أبي لهب والمغيرة : " فكان كما أخبر به مات الوليد كافرا ومات أبو لهب كافرا." (٤)

---

(١) سورة المدثر ، الآيات ١١ - ٢٧ .
(٢) سورة المسد .
(٣) تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٢٤٣ .
(٤) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٣١.

١٠ – اخباره بعصمة الرسول من الأعداء :

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " .(١)

تخبر هذه الآية الكريمة بأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ نبيه وكف الأعداء عنه فلم يتمكنوا منه ولم يصلوا اليه ، فكان كذلك اذ لم يتمكن أحد من قتله رغم كثرة المحاولات .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحرَس قبل نزول هذه الآية ، فلما نزلت ترك الحراسة ، قال بذلك جمهور المفسرين .

روى الطبري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية " والله يعصمك من الناس " قالت فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال أيها الناس انصرفوا فان الله قد عصمني ."(٢)

ويقول ابن كثير : " ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارا بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب وبعد موته قيض الله له الأنصار فبايعوه على الاسلام وكلما هَمَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، مثل ما فعله اليهود من السحر فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء " .(٣)

وقد تجلت عصمة الله لرسوله في مواطن عدة منها :

أ – ما جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله قال : " غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر الا والسيف صلتا في يده ، فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت الله ،

---

(١) سورة المائدة ، آية ٦٧.

(٢) تفسير الطبري ج ٦ ص ٣٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٨ – ٧٩ .

ثم قال في الثانية من يمنعك مني ؟ قال : قلت الله ، قال : فشام السيف فها هو ذا جالس ، ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم ."(١)

ب - ومن ذلك عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك ، قال : ما كان الله ليسلطك على ذاك ، قال أو قال علي ، قال : قالوا : ألانقتلها ؟ قال : لا ، قال : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ."(٢)

ج - ومنه أيضا عن سلمة بن الأكوع قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا .... فَوَلَّى صحابةُ النبي صلى الله عليه وسلم .... فلما غَشُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم ، فقال: شاهت الوجوه ، فما خلق الله منهم انسانا الا ملأعينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين ".(٣)

د - ومنه عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهه بين أظهركم ، قال : فقيل نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته أو لأُعفرنَّ وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، زَعَمَ لِيَطَأَ على رقبته ، قال: فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال : ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لأختطفته الملائكة عضوا

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب توكله على الله وعصمة الله تعالى له من الناس ج ٤ ص١٧٨٦.
والعضاء : كل شجرة ذات شوك ، صلتا : مسلولا ، فشام السيف : غمده.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب السم ج٤ ص١٧٢١، واللهوات : اللحمات اللواتي في سقف أقصى الفم ، فمازلت أعرفها : أي العلامة كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ج ٣ ص١٤٠٢، وقوله غشوا رسول الله : أتوه من كل جانب ، شاهت الوجوه : قبحت

عضوا ."(١)

والأمثلة على ذلك كثيرة .

ومن حفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قطع دابر المستهزئين الذي كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم كلما مر بهم ، قال تعالى: " إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ." (٢)

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : " انا كفيناك المستهزئين " ، قال : المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبديغوث الزهري والأسود بن عبدالمطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى والحارث بن عيطل السهمي والعاص بن وائل فأومأ جبريل الى أكحل الوليد بن المغيرة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعت ؟ قال : كفيته ، وأومأ الى الأسود بن عبدالمطلب الى عينيه ، فقال : ما صنعت ؟ فقال : كفيته ، وأومأ الى رأس الأسود بن عبديغوث ، فقال : ما صنعت ؟ فقال : كفيته ، وأومأ الى الحارث السهمي الى بطنه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، وأومأ الى أخمص العاص بن وائل ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته .

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يُريش نبله فأصاب أكحله فقطعها ، وأما الأسود بن عبدالمطلب فعمي ، فمنهم من يقول عمي هكذا ، ومنهم من يقول نزل تحت سمرة فجعل يقول يا بني الا تدفعون عني ؟ يقولون ما نرى شيئا ، فجعل يقول هلكت ، ها هو ذا طعن في عينيَّ بالشوك فجعلوا يقولون ما نرى شيئا ، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه ، وأما الأسود فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خروءه من فيه فمات ، أما العاص بن وائل فركب الى الطائف على حمار فربض به في شبرقة يعني شوكة فدخلت في أخمص قدمه فمات ." (٣)

---

(١) صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين واحكامهم ، باب قوله ان الانسان ليطغى ج ٤ ص ٢١٥٤ ، يعفر : يلصق وجهه بالتراب أي يسجد، فجئهم نعتهم ، ينكص على عقبيه : أي رجع يمشي الى الوراء .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩٥.

(٣) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٢١٤ - ٢١٥.

ثالثا : كشف خفايا النفوس :

ما يخالج النفوس ويخطر في القلوب أمر ليس بمقدور أحد من البشر معرفته الا اذا حَدَّثَ به صاحبه ، فاذا تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته في هذا الجانب ، فهو الكلام الصدق والقول الحق الصادر عن العليم الخبير ، وهو آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلو لم يكن القرآن وحي الله المعجز اليه لما كان له سبيل الى معرفة ما يدور في نفوس الناس ويمر بقلوبهم من خواطر وأفكار .

ومن الأمثلة التي وردت في القرآن تكشف عن خفايا النفوس :

١ - كشفه عن حقيقة المنافقين وموالاتهم لليهود :

قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ."(١)

تكشف هذه الآية الكريمة عن حقيقة المنافقين الموالين لليهود، ووعودهم الكاذبة لهم بالخروج معهم اذا ما أخرجوا ، وبالنصرة اذا ما قوتلوا ، ولكن الله علام الغيوب يُعلم نبيه بحال المنافقين واتصالاتهم السرية باليهود ، ويؤكد أن وعودهم بالخروج أو النصرة كاذبة ، ولن يفوا لهم بشيء منها ولقد أثبت الواقع صدق ذلك فلم يخرجوا مع بني النضير عندما أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة نتيجة غدرهم ولم يقاتلوا مع يهود خيبر وبني قريظة عندما حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن كثير : " يخبر الله تعالى عن المنافقين كعبدالله بن أُبَيّ وأضرابه حين بعثوا الى يهود بن النضير يَعِدُونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى : " ألم تر الى الذين نافقوا ..... حتى قال والله يشهد انهم لكاذبون " ، أي لكاذبون فيما وعدوهم، إمّا لأنهم قالوا لهم قولا وفي نيتهم أن لا يفوا لهم به وإمّا لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ."(٢)

---

(١) سورة الحشر ، الآيتان ١١ - ١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٠ .

ويقول الشوكاني في شرح الآية : " كذبهم سبحانه فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم ، ثم لما أجمل كذبهم فيما وعدوا به فصل ما كذبوا فيه ، فقال : " لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم " وقد كان الأمر كذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم ولم ينصروا من قوتل من اليهود وهم بنو قريظة وأهل خيبر ."(١)

ويقول القاضي عبدالجبار الهمذاني : " فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه على الناس وأخبرهم بما كان من المنافقين وبما أسروه الى اليهود ونادى بفضحهم ثم أخرج بني النضير من ديارهم وأجلاهم فلم يخرج معهم عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه كما ضمن لهم وقد قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم فما نصروهم ."(٢)

٢ ـ كشفه عما أراده المنافقون يوم الأحزاب :

قال تعالى : " وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ."(٣)

تكشف هذه الآية الكريمة عما يخفيه المنافقون في صدورهم من ارادة الفرار من مواجهة العدو في غزوة الأحزاب ، وتسترهم بحجة واهية كاذبة أن بيوتهم مكشوفة للعدو تحتاج الى حماية ، ولكن الله بعلمه المحيط الذي يعلم السر وأخفى يعري نواياهم الخبيثة ويفضحها للملأ حتى يكون الرسول والمؤمنون على بينة من أمرهم .

يقول أبو الحسن الزيدي : " فأخبر عما في ضمائرهم من ارادة الفرار تعللا بأن بيوتهم عورة وهذا لو لم يكن كذلك لظهر منهم انكاره ".(٤)

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٤ .
(٢) تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٩٠ .
(٣) سورة الأحزاب ، آية ١٣ .
(٤) اثبات نبوة النبي ص ١٣٠.

ويقول الشوكاني في قوله تعالى : " ان بيوتنا عورة " أي ضائعة سائبة ليست بحصينة ولا ممتنعة من العدو ، وقال : " وما هي بعورة " فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه ، ثم بين سبب استئذانهم وما يريدون به فقال : " ان يريدون الا فرارا " أي ما يريدون الا الهرب من القتال."(١)

٣ - كشفه عن موالاة بعض المسلمين لكفار قريش :

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ."(٢)

يطلع الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على موقف بعض الصحابة من مشركي قريش ومودتهم لهم ذلك هو حاطب بن أبي بلتعة الذي كتب كتابا وأرسله مع امرأة من قريش يخبرهم فيه بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم .

يقول ابن كثير : " كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن حاطب هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا ، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان ، فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال " اللهم عم علينا خبرنا " فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش الى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعائه."(٣)

روى الشيخان عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى

---

(١) فتح القدير ج ٤ ص٢٦٦ .
(٢) سورة الممتحنة ، آية ١ .
(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

الله عليه وسلم والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلنا فارس فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين ، قال فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قلنا أين الكتاب الذي معك ؟ قالت : ما معي كتاب فأنخنا بها فأبتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا ، قال صاحباي : ما نرى كتابا ،قال : قلت لقد علمت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي يحلف به لَتُخْرِجَنَّ الكتاب أو لأُجَرِّدَنَّكِ ، قال : فلما رأت الجِدَّ مني أهوت بيدها الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب ، قال : فانطلقنا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما حملك يا حاطب على ما صنعت ؟ قال : ما بي الا أن أكون موءمنا بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك هناك الا وله من يدفع الله به عن أهله وماله ، قال : صدق ، فلا تقولوا له الا خيرا . فقال عمر بن الخطاب : انه قد خان الله ورسوله والموءمنين فدعني فأضرب عنقه ، فقال يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، قال فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ."(١)

٤ - اخبار الله رسوله أن زوجته أفشت سره :

قال تعالى : " وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا ، قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ."(٢)

أفادت هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسرَّ بحديث الى احدى زوجاته وأمرها بكتمانه ، لكنها لم تحفظ السر وأخبرت به

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره ، ج ٧ ص ١٣٤.

(٢) سورة التحريم ، آية ٣ .

غيرها فأطلعه الله على ذلك .

يقول الشوكاني : " قال أكثر المفسرين هي حفصة ، وقوله " فلما نبأت به " أي أخبرت به غيرها ، وقوله " وأظهره الله عليه " أي أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الاخبار لغيرها ، وقوله : " فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير أي أخبرها بما أفشت من الحديث ، قالت من أخبرك به ، قال أخبرني الذي لا تخفى عليه خافية ."(١)

٥ - كشف نوايا المنافقين في بنائهم مسجد الضرار :

قال تعالى : "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الحُسْنَى وَاللَّه يَشْهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ ".(٢)

يطلع الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على نوايا المنافقين الخبيثة وأهدافهم الدنيئة في بناء مسجد لهم متعللين بارادة الخير للمسلمين الضعفاء وأصحاب الأعذار ، لكن الله علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية يؤكد كذبهم فيما يتعللون به ويكشف عن نواياهم السيئة الماكرة من ارادة الشر للمسلمين وحربهم وتفريق كلمتهم مما جعل المسلمين يسارعون الى هدمه واحراقه وتفريق أهله .

يقول الشوكاني : " فقد أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة : الأول : الضرار لغيرهم ، والثاني : الكفر بالله والمباهاة لأهل الاسلام لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق، والثالث : التفريق بين المؤمنين لأنهم أرادوا أن يحضروا مسجد قباء فتَقُلَّ جماعة المسلمين ، وفي ذلك اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى، والرابع : الارصاد لمن حارب الله ورسوله أى الاعداد لأجل من حارب الله

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢٥٠.

(٢) سورة التوبة ، آية ١٠٧ .

ورسوله ، والمراد بمن حارب الله ورسوله المنافقون ومنهم أبو عامر الراهب ، وقوله " ليحلفن ان أردنا الا الحسنى " أي ما أردنا الا الخصلة الحسنة وهي الرفق بالمسلمين ، فرد الله عليهم بقوله " والله يشهد انهم لكاذبون " فيما حلفوا عليه ".[١]

هذا قليل من كثير من الأمثلة الواردة في القرآن ، والتي تتضمن الاخبار عن الغيوب المستقبلية وخفايا النفوس مما يؤكد أن هذا الكتاب الالهي معجزة حية ناطقة أبد الدهر .

---

(١) فتح القدير ج ٢ ص ٤٠٣ .

المبحث الرابع

الاعجاز العلمي

القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة أبد الدهر ، تعددت وجوه اعجازه ، تكلم فيها العلماء قديما وحديثا ، وقد قدمت الكلام في الاعجاز اللغوي والتشريعي والاخبار عن الغيب .

الا آن اعجاز القرآن الكريم قضية متجددة لا تقف عند حد ، وفي كل عصر يجد الناس فيه اعجاز لهم .

ففي عصرنا هذا ، عصر العلم والاكتشافات والاختراعات ، حيث تمكن الانسان من الكشف عن كثير من سنن الله في الكون ، والوصول الى درجة كبيرة من المعرفة كان كثير منها يعد من المستحيلات أو ضربا من الخيال، ظهر في هذا العصر وجه جديد من وجوه اعجاز القرآن وهو الاعجاز العلمي.

لقد بهر العلماء بتلك الحقائق العلمية الثابتة التي أشار اليها هذا الكتاب السماوي قبل آن يتوصل اليها العلم بمئات السنين ، كما بهر فصحاء العرب قديما بفصاحة القرآن .

ان هذا الوجه الجديد من وجوه الاعجاز القرآني لأكبر دليل على صدق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف كتاب الله ويقول : " القرآن حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلَق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ".(١)

والقارئ لكتاب الله يجد فيه نصوصا صريحة تعالج موضوعات علمية دقيقة مجملة لم تصل البشرية الى معرفتها الا في القرنين الآخيرين ، نزل بها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا ، وما توصل

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن ، ج ٥ ص ١٧٢ ، سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قراء القرآن ، ج ٢ ص ٣١٣ . والحديث ضعيف ، وانما أوردته على رأي من يرى العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال .

اليه العلم من حقائق ثابته مطابق لتلك النصوص تمام المطابقة ، وفي هذا تأكيد على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

ولكن ، من الجدير بالذكر في هذا المقام التأكيد على أن القرآن ليس كتابا علميا بحتا ، غايته الأولى بيان الحقائق العلمية والنواميس الكونية ، بل هو في الدرجة الأولى كتاب هداية وارشاد وتشريع نزل به الروح الأمين على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم لتصحيح عقائد الناس المنحرفة ، ولبيان شريعة الاسلام الكفيلة بسعادتهم في الدنيا والآخرة، فهو كتاب عقيدة ومنهاج حياة للبشرية .

والقرآن الكريم وهو يؤدي مهمته هذه تعرض لذكر الكثير من الحقائق العلمية التي تخدم بدورها المهمة الأساسية للقرآن ، ومن ثم فليس لنا أن نتمحل تفسير الآيات القرآنية فنحملها من المعاني ما لا تطيق لنبين للناس أن كل جديد في دنيا العلم والاكتشافات موجود في كتاب الله، وفي النصوص الصريحة والواضحة القوية الدلالة غناء عن غيرها وهي كثيرة ولله الحمد ، وعلى هذا فلا داعي للاغراق في التفسير العلمي للقرآن الكريم .

لقد خرج عدد من العلماء في هذا العصر من حظيرة الالحاد الى حظيرة الايمان بسبب تطابق نتائج بحوثهم العلمية مع النصوص القرآنية ، وبذلك تحطمت سهام الحقد والجهل ، وظهر زيف الدعايات التي يطلقها أنصاف المتعلمين من تعارض العلم والدين ، لقد غدا الانسجام الكامل والتآلف التام بين العلم وبين ما جاء في القرآن الكريم حقيقة واضحة جلية ، تحدثت عنه الأبحاث العلمية الحديثة ، ومن هذه الأبحاث دراسة قام بها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي للقرآن والتوراة والانجيل في ضوء المعارف الحديثة .

بدأ الحديث في المقدمة بأنه بدأ دراسة القرآن دون فكر مسبق وبموضوعية تامة ، وقد خلص بعد دراسته هذه لحقيقتين هامتين :

الأولى : تطابق ما توصل اليه العلم مع ما ذكر في القرآن الكريم تماما، يقول في كتابه : " لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر

مسبق وبموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ".(١)

كيف لا ، والقرآن كتاب الله المسطور ، والكون كتاب الله المنظور فلا خلاف بينهما ، بل الانسجام والتطابق ، ويقول أيضا في موضع آخر: " وتناولت القرآن منتبها بشكل خاص الى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية ، لقد أذهلني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات ، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك الا في النص الأصلي ، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتي لم يكن ممكنا لأي انسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يُكَوِّنَ عنها أدنى فكرة ."(٢)

والحقيقة الثانية التي توصل اليها اختلاف القرآن الكريم عن التوراة والانجيل في أمرين أساسيين هما ، ثراء الموضوعات العلمية في القرآن وندرتها في التوراة والانجيل ، والتطابق التام بين القرآن والعلم بخلاف التوراة والانجيل اللذين يصطدمان كثيرا مع الحقائق العلمية.

وأخيرا يقرر أن هذا الكتاب السماوي لا يمكن أن يكون صادرا عن بشر نظرا لهذا التوافق العجيب بين معطيات العلم وما جاء في القرآن، يقول في كتابه : " إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة ، فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الانساني ، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا تكتشف في القرآن أي خطأ ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل لو كان كاتب

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٣.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٤٥.

القرآن انسانا كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف الحديثة ؟ ليس هناك أي مجال للشك فنص القرآن الذي نملك اليوم هو فعلا نفس النص الأول ، ما التعليل الانساني الذي يمكن أن نعطيه لتلك الملاحظة .... في رأيي ليس هناك أي تعليل اذ ليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية في العصر الذي كانت تخضع فيه فرنسا للملك داجوبير استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض الموضوعات ." (١)

وهكذا يخدم العلم قضية الايمان في عصرنا الحاضر ، اذ يدل بما لا يدع مجالا للشك بأن القرآن منزل من لدن حكيم خبير ، ونحن معشر المسلمين لا ننتظر العلم ليدلنا على الله ، بل نؤمن به وبرسوله وبكتابه قبل أن يكتشف العلم هذه المنجزات الجديدة التي لبعضها أصل في القرآن وانما العلم سلاح نخاطب به من لم يهتد الى هذا الكتاب العزيز ، لنفتح عينيه على هذا الكون الواسع ليتأمله ويتفحصه فيعترف بعد ذلك نور الايمان ، وبطلان قول من يرتكز على العلم في دعواه الالحاد وانكار الله ، اذ ما بين دعواه وما بين العلم نسب أوهى من بيت العنكبوت .

وسأعرض الآن لبعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الظواهر الكونية مبينة موافقة العلم بحقائقه الثابتة لمدلولات هذه الآيات .

١ - أطوار الجنين :

وردت آيات كثيرة في كتاب الله تتحدث عن خلق الانسان ، والمراحل التي يمر بها وهو في بطن أمه ، تارة بالاجمال وأخرى بالتفصيل ، ومن هذه الآيات :

قال تعالى : " مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" . (٢)

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٤٥ .

(٢) سورة نوح ، الآيتان ١٣ - ١٤ .

ومنها قوله تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِيْنَ " .(١)

ومنها قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ."(٢)

ومنها قوله تعالى : " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ."(٣)

تبين هذه الآيات الكريمات أصل الانسان الطيني ، والأطوار التي يمر بها في تخلقه من النطفة الى العلقة الى المضغة الى مرحلة تكون العظام واكتسائها باللحم ثم مرحلة الخلق الآخر من التسوية والتصوير والنفخ في الروح ، وهذا ما توصل اليه العلم موءخرا ، بعد أبحاث علمية طويلة حيث أثبت العلماء أن العناصر التي يتكون منها جسم الانسان موجودة في الطين الذي هو عبارة عن تراب وماء .

يقول التحليل المخبري : انه لو أرجعنا الانسان الى عناصره لوجدناه أشبه بمنجم صغير يشترك في تركيبه حوالي اثنان وعشرون عنصرا تتوزع بشكل رئيسي على النحو التالي :

١ - أكسجين وهيدروجين على شكل ماء بنسبة ٦٥ - ٧٠ ٪ من وزن الجسم.

٢ - كربون وهيدروجين وأكسجين وتشكل أساس المركبات العضوية من سكريات ودهون وبروتينات وفيتامينات وهرمونات .

---

(١) سورة الموءمنون ، الآيات ١٢ - ١٤.

(٢) سورة الحج ، آية ٥ .

(٣) سورة السجدة ، الآيات ٧ - ٩ .

٣ - مواد جافه يمكن تقسيمها الى :

أ - سبع مواد هي الكلور والكبريت والفسفور والمغنزيوم والكلس والبوتاسيوم والصوديوم ، وهي تشكل ٦٠ - ٨٠٪ من المواد الجافة .

ب - سبع مواد أخرى بنسبة أقل هي الحديد والنحاس واليود والمنغنيز والكوبالت والتوتياء والمولبيديوم .

جـ - ستة عناصر بشكل زهيد هي الفلور والسيلينيوم والكادميوم والكروم والألمونيوم والبور .

وهذه العناصر موجودة في تراب الأرض ، علما بأن التراب يتكون من أكثر من مائة عنصر ، والانسان من اثنين وعشرين عنصرا موجودة في التراب ، وصدق الله العظيم حين قال " من سلالة من طين " أي من خلاصة الطين وليس كله وهذا اعجاز علمي رائع .(١)

وأما بالنسبة لأطوار الجنين ، فقد أثبت علم الأجنة أن خلق الانسان يمر بعدة مراحل ، تطابق ما جاء في القرآن الكريم قبل مئات السنين، حتى أن العلم الحديث عجز عن استعمال ألفاظ مغايرة لألفاظ القرآن الكريم.

وأول مراحل تكون الجنين هي مرحلة النطفة ، حيث تجتمع نطفة الرجل (الحيوان المنوي) مع نطفة المرأة (البويضة) وتتكون منهما النطفة الأمشاج (المختلطة) والتي أشار اليها القرآن الكريم بقوله " من نطفة أمشاج نبتليه " ، يتم تلقيح البويضة بالحيوان المنوي في الثلث الأخير من قناة الرحم حيث تمكث فيه مدة خمسة أيام الى سبعة تقريبا ، ومن ثم تنتقل الى الرحم بعد قيامها بعدة انقسامات متلاحقة حيث يصبح شكلها كحبة التوت ، وهذه النطفة هي النواة الأولى لخلق الانسان .

يقول الدكتور محمد على البار : " حالما يتم التخصيب وتتكون النطفة الأمشاج من الحيوان المنوي والبويضة ، تصنع يد القدرة للبويضة

---

(١) الطب محراب الايمان جـ ٢ ص ٩٦ ،مع الطب في القرآن الكريم ص ٧٢ - ٧٣.

الملقحة جدارا سميكا مصمتا لا يمكن لأي حيوان منوي آخر اختراقه ، كما أنها تخلع عنها تاجها المشع الذي كان يغري الحيوانات المنوية بالاقتراب منها ، ومنذ تلك اللحظة تبدأ بالعمل الجاد وتبدأ بالانشطار، الخلية تصبح خليتين ، والخليتان أربعا وهكذا دواليك حتى تتكون مئات الخلايا على هيئة ثمرة التوت وعندئذ تسمى التوتة ، فاذا ما كبرت الكرة قليلا صار ما بداخلها مجوفا وبه سائل رقيق ، وعندئذ تدعى بالتكور الجرثومي أو البلاستولا ، وفي هذه الأثناء لا تكف البويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج عن الحركة ، وان كانت حركة بطيئة ، فهي تنتقل من الثلث الوحشي لقناة الرحم (قناة فالوب) حيث يتم التلقيح وتتجه عبر القناة الرحمية حتى تقترب من الرحم ، وفي خلال خمسة أيام أو أسبوع على الأكثر تكون قد وصلت الى الرحم وهناك تنظر أين تتوسد وتنغرز." (١)

والمرحلة الثانية : مرحلة العلقة ، وتأتي بعد تكون النطفة الأمشاج وانتقالها الى الرحم حيث تقوم بالانغراز والتعلق بجدار الرحم لذا سميت بالعلقة ، وهذا ما قرره الأطباء مؤخرا ، اذ اتفقوا على أن العلقة هي المرحلة التي تعلق فيها النطفة الأمشاج بجدار الرحم وتنشب فيه خلافا لأقوال المفسرين الذين قالوا بأن العلقة هي دم غليظ متجمد .

وتكون العلقة محاطة بالدم المتخثر من كل الجهات نتيجة لقيام الخلايا الآكلة في الطبقة الخارجية التي تتكون منها البويضة الملقحة بقضم خلايا الرحم والانغراز فيه وذلك لتغذية الخلايا الداخلية التي سيتكون منها الجنين .

وتبدأ هذه المرحلة من اليوم السادس أو السابع من بداية التلقيح وتستمر حتى اليوم العشرين ، وان أهم ما يميز هذه المرحلة هو العلوق حيث تتعلق النطفة الأمشاج بالرحم عن طريق الخلايا الآكلة والغشاء المشيمي والحبل السري الذي هو بمثابة خلقة الوصل بين الجنين وبين الغشاء المشيمي .

يقول الدكتور محمد علي البار : " ان وصف العلقة هو أهم ما يميز

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ١٩٨ ، ٢٠٠ .

هذه المرحلة من مراحل خلق الجنين ونموه وقد وصفها علماء الأجنة بأنها مرحلة الالتصاق والانغراز وذلك حينما تقترب البلاستولا من الغشاء المخاطي المبطن للرحم والذي استعد أيما استعداد لاستقبال النطفة الأمشاج ، فاذا اقتربت الكرة الجرثومية من الرحم التصقت في الجزء العلوي منه وفي جداره الخلفي في أغلب الحالات ، ثم تقوم الخلايا الآكلة للكرة الجرثومية بالتعلق بواسطة خملات دقيقة بينها وبين الخلايا الطلائية لغشاء الرحم." (١)

ويقول أيضا : " وهكذا نرى أن أهم ما يميز هذه المرحلة من نمو الجنين هو هذه التعلقات فهناك تعلق أولي عند الانغراز وبعده تعلق ثان عند تكون الغشاء المشيمي (الكوريون) وبعده تعلق ثالث للجنين عند المعلاق أو الساق الموصلة ".(٢)

وهكذا تطابقت المعارف الحديثة مع وصف القرآن الكريم لهذه المرحلة .

المرحلة الثالثة : مرحلة المضغة ، حيث تبدأ الكتل البدنية في الظهور على كل جانب من محور الجنين من الرأس الى موءخرة الجنين ، ويبلغ عددها عند اكتمالها اثنتين وأربعين الى خمس وأربعين كتلة على كل جانب ، وهذه الكتل البدنية تجعل الجنين يبدو وكأنه قطعة لحم مضغتها الأسنان ثم قذفتها ، وأثر الأسنان بارز فيها ، وهكذا يكون شكل الجنين وبهذا انطبق الوصف القرآني على هذه المرحلة تمام الانطباق .

وتبدأ هذه المرحلة من اليوم العشرين أو الحادي والعشرين من بداية التلقيح حتى اليوم الخامس والثلاثين حيث ينمو في هذه الفترة الجهاز العصبي للجنين وكذلك انحناءات الرأس وتظهر فتحة الفم البدائية كما تظهر حويصلة العين وحويصلة السمع ولوح قرص الشم والحبل السري وكذلك الأوعية الدموية وبداية الجهاز التنفسي(٣) وغير ذلك من الأجهزة حتى بداية تكون العظام ، وصدق الله العظيم حين قال : " من مضغة مخلقة وغير مخلقة " . فالاسبوع الرابع تكون المضغة غير مخلقة اذ لا يظهر أي جهاز في هذا الاسبوع ، اذ تظهر الكتل البدنية فقط ، أما

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢١١ .

(٢) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢٢٢- ٢٢٣.

(٣) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢٤٧ - ٢٥٥.

الاسبوع الخامس فتكون المضغة قد بدأت بالتخلق لظهور الأجهزة •

المرحلة الرابعة : مرحلة تكوين العظام وكسوتها باللحم ، تبدأ الكتل البدنية بالتحول الى عظام وعضلات ويكون تكون العظام سابقا لتكون العضلات ، وتبدأ هذه المرحلة من الاسبوع الخامس من بداية التلقيح حتى الاسبوع السابع •

يقول الدكتور محمد علي البار : " وتتحول الكتل البدنية الى جزأين :

١ - جزأ أمامي وأنسي ويسمى القطعة الهيكلية ، وهي تُكَوِّن عظام الفقرات ، كما أن انسياب خلاياه في المنطقة العنقية يشكل عظام الأطراف العليا ، وانسياب خلاياه في المنطقة القطنية والعجزية يشكل عظام الأطراف السفلى ، كما تشكل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس الجزء المؤخري القاعدي من الجمجمة ، وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية ، وبذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتل البدنية ، أما عظام الوجه والكفين وعظام الأذن الوسطى فانها جميعا تشكل من القوس البلعومي الأول ، ويتكون العظم اللامي من القوس البلعومي الثاني ولا يبقى الا قحفة الجمجمة التي تتكون من الخلايا الميزودرمية (المتوسطة) المتكثفة في قمة الرأس والتي تتحول مباشرة من غشاء الى عظم دون أن تتحول الى غضاريف كما هو معهود في أغلب عظام الجسم •

٢ - وجزأ خلفي وظهري ويسمى المقطع العضلي الأدمي الذي سرعان ما ينقسم بدوره الى قسمين :

أ - آدمي : وهو يشكل آدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة •

ب - عضلي ، وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع ، ويكون تكون العظام سابقا ولو ببضعة أيام لتكون العضلات وتأتي العضلات بعد ذلك لتكسو العظام". (١)

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٣٧٠ - ٣٧١ •

وهكذا بعد أن يكتمل الهيكل العظمي تبدأ العضلات في الظهور لكسوة العظام وصدق الله العظيم حين قال : " فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ".

المرحلة الخامسة : الخلق الآخر ، وهي مرحلة التمام والكمال ، حيث تسعى الأجهزة التي تكونت نحو التكامل حتى أن بعضها يبدأ بالعمل كالقلب وجهاز الهضم ، ويزداد حجم الجنين يوما بعد يوم في هذه المرحلة ويتكامل شكله الخارجي فيصبح لون الجلد أحمر ، وتنبسط تجعداته وتسقط عنه الأوبار ، وتنفتح الجفون وتتكامل الأظافر ، وتظهر الأعضاء التناسلية التي تحدد جنس الجنين ويتكامل جهاز السمع حتى انه يبدأ عمله في وقت مبكر ، ويتحرك الجنين في بطن أمه في هذه المرحلة حركة ظاهرة تشعر بها الأم .(١) وصدق الله العظيم حين قال " ثم أنشأناه خلقا آخر " وبعد هذا العرض لمراحل تكوين الجنين ، نرى أن القرآن الكريم سبق علم الأجنة بمئات السنين في بيانه لهذه المراحل الدقيقة ، وهذا اعجاز علمي بليغ بهر العلماء .

٢ - فائدة العسل :

يقول تعالى : " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ."(٢)

تقرر هذه الآية الكريمة حقيقة علمية ثابته ، وهي أن شراب العسل فيه شفاء للناس ، يعالج به كثير من الأسقام والأمراض ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتداوي به ، حتى في حالات الاسهال التي ينصح فيها عادة بعدم تناول المواد الحلوة ، وهذا بسبب ما للعسل من خواص علاجية فعّالة كشف العلم الحديث عنها .

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) سورة النحل ، الآيتان ٦٨ - ٦٩ .

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :" ان أخي استطلق بطنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسقه عسلا ، فسقاه عسلا ، ثم جاء ، فقال: يا رسول الله ما زاده ذلك الا استطلاقا ، قال : اذهب فاسقه عسلا ، فذهب فسقاه عسلا ثم جاء ، فقال : يا رسول الله ما زاده ذلك الا استطلاقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلا ، فذهب فسقاه عسلا فبريء ."(١)

هكذا وبكل يقين أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على فائدة العسل الفعالة في شفاء الأمراض تصديقا منه عليه السلام لهذه الحقيقة الواردة في هذه الآية ، وفي هذا درس للمسلمين في كل زمان ومكان لتحديد موقفهم تجاه حقائق القرآن . تصديق وتسليم دون تردد .

لقد أجرى العلماء في العصر الحاضر كثيرا من التجارب على هذه المادة التي ينتجها هذا المخلوق الصغير بالهام من الله جلت قدرته ، فتبين لهم أن العسل مخزن كامل لمجموعة من العقاقير العلاجية والوقائية ، لذا لجأوا اليه في كثير من الحالات المرضية المستعصية المحيرة عندما أخفقت أحدث الأدوية والعلاجات الكيماوية .

يستعمل العسل في شفاء الجروح والقرحات المستعصية على العلاج الكيماوي ، وتبين أن استعمال العسل كمرهم لهذه الجروح يساعد على شفائها بسرعة فائقة ، ولهذا فان الجراح العالمي البرت شويتزر الحائز على شهادة نوبل عدل عن استعمال كافة المطهرات في مستشفاه بالغابون، واعتمد في شفاء الجروح السريع على شاش معقم مغمس بالعسل.

كما استعمل العسل علاجا ناجعا في أمراض العيون ، فقد عالج به العالم اوسادلكو التهابات القرنية وتقرحاتها المعندة على العلاجات الأخرى ، والعالم ماكسيمنكو أنقذ بالعسل العيون التي تصاب بحروق مختلفة من العمى المطلق .

واستعمل العسل أيضا علاجا للاضطرابات الهضمية المزمنة من امساك

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل ج ٧ ص ١٢.

وفرط أو نقص في الحموضة المعدية حيث أثبتت البروفسوره خوتكينا بعد دراسة قامت بها على أكثر من ستمائة مريض أن نسبة شفاء القرحة المعدية بالعسل ضعف نسبة الشفاء بأي من العلاجات الأخرى علاوة على أن العسل يعجل في شفاء المرض .

والعسل من أفضل العلاجات في أمراض الجهاز التنفسي وأمراض القلب والكلية ، وهو من أفضل المهدئات للجهاز العصبي وغير ذلك من الأمراض

كما اعتمد عليه العلماء فاستعملوه مادة مضادة للعفونة ومبيدة للجراثيم في أحدث مجالات الطب الحديث لحفظ الأنسجة . (١)

هذا غيض من فيض ، فالعسل له أهمية بالغة في شفاء الكثير من الأمراض المختلفة مما يؤكد ربانية هذا الكتاب الكريم ، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، وبهذا كان هذا الكتاب معجزة الله الخالدة المتجددة في الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٣ - اللبن الذي نشربه :

يقول تعالى : " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ "(٢) .

تشير هذه الآية الكريمة الى كيفية تكون اللبن في ضروع الأنعام ، حيث يتم استخلاصه من بين الفرث - وهو الطعام المهضوم في الأمعاء - والدم ، الذي يقوم بدور امتصاص المواد الغذائية النافعة من الطعام المهضوم الموجود في الأمعاء ، ومن ثم يعذي الدم الغدد التي تفرز الحليب، وهذا ما توصل اليه العلم في العصر الحديث ، يقول موريس بوكاي مستندا على معلومات علم وظائف الأعضاء : " تأتي المواد الأساسية التي تتكفل بتغذية الجسم عامة من تفاعلات كيماوية تحدث في القناة الهضمية ، وتأتي هذه المواد من عناصر موجودة في محتوى الأمعاء ، وعندما تصل هذه المواد الموجودة بالأمعاء الى المرحلة المطلوبة في التفاعل الكيميائي، فانها تمر عبر جدار الأمعاء نحو الدورة العامة ، ويتم هذا الانتقال بطريقتين اما مباشرة بواسطة ما يسمى بالأوعية اللمفاوية ، واما بشكل غير مباشر بواسطة الدورة البابية التي تقود هذه المواد الى الكبد

---

(١) انظر كتاب العسل فيه شفاء للناس ص ٥ ، ٨ ، ٩ .
(٢) سورة النحل ، آية ٦٦.

حيث تقع عليها بعض التعديلات ثم تخرج من الكبد لتذهب أخيرا الى الدورة الدموية ، بهذا الشكل اذن يمر كل شيء بالدورة الدموية ، والغدد الثديية هي التي تفرز مكونات اللبن ، وتتغذى هذه الغدد اذا جاز القول بمنتجات هضم الأغذية التي تأتي اليها بواسطة الدم الدائر ، الدم اذن يلعب دور المحصل والناقل للمواد المستخرجة من الأغذية ، ومغذي الغدد الثديية منتجة اللبن مثلما يغذي أي عضو آخر . كل شيء يحدث هنا اذن ابتداء من مواجهة محتوى الأمعاء مع الدم في الجدار الأمعائي نفسه ، هذه المعلومة المحددة تعد اليوم من مكتسبات الكيمياء وفسيولوجيا الهضم وكانت غير معروفة مطلقا في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ان معرفتها ترجع الى العصر الحديث " .(١)

وهذا دليل على اعجاز القرآن الكريم الذي يشهد بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في كل زمان ومكان ، والا فمن أين له بهذه المعلومات وهو النبي الأمي .

٤ - انفصال الأرض عن السماء ، وكون الماء أساس الحياة :

يقول تعالى : " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ".(٢)

تقرر هذه الآية الكريمة حقيقتين علميتين توصل اليهما العلماء مؤخرا ، الأولى أن السموات والأرض كانتا كتلة واحدة ، متصلة الأجزاء ملتحمة مع بعضها البعض ، الا أن الأرض انفصلت عن السموات بمشيئة الله وقدرته واستقر بها الحال على ما هي عليه الآن لتصبح صالحة للعيش عليها.

والحقيقة الثانية : أن الماء أساس الحياة لجميع الكائنات الحية ، وأن ما توصل اليه العلماء في هذا المجال يتفق تمام الاتفاق مع ما جاء في القرآن مما يؤكد سبقه العلمي لكثير من الحقائق العلمية الثابتة التي لم يكشف العلم عن أسرارها الا في العصر الحاضر .

لقد أثبت العلماء حقيقة أن الكون كان شيئا واحدا ، متصل الأجزاء ، ثم انقسم الى مجرات ونجوم وكواكب وأن الأرض انفصلت عن الشمس ابتعدت عنها ، وبابتعادها بدأت تبرد حتى تجمد السطح الخارجي ويستدل العلماء

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٢٣.

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٣٠

على صحة ما توصلوا اليه بوجود المواد الملتهبة الموجودة في باطن الأرض والتي تسبب حدوث البراكين بين الحين والآخر .

واكتشفوا أيضا أن العناصر التي تتكون منها الأرض هي نفس العناصر الموجودة في الشمس وفي سائر النجوم .

وقد أثبت العلماء أيضا أن الماء هو أصل الحياة لجميع الكائنات الحية ، فلا حياة بدون ماء ، واكتشفوا أن العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو لا بد لها من الماء وأن نسبة الماء تتراوح ما بين ٨٠ - ٩٠٪ من وزن الكائنات الحية المختلفة .(١)

يقول الدكتور خالص جبلي : " أما الماء فهذا يحتاج لحديث كامل لوحده ذلك لأنه يمثل أساس الحياة ، فهو يدخل في تركيب جميع الكائنات الحية وطالما وجدت الحياة فحتما سيوجد الماء ، يقول استاذ علم الأنسجة في كلية الطب : " يتخلل الماء جميع الأنسجة ولا حياة للخلايا بدون الماء وهو يوجد في الخلية بثلاثة أشكال وليس بشكل واحد عادي كما نعرفه نحن في الحياة الطبيعية ، فهو يوجد بشكل متحد اتحادا كيماويا في هيولي الخلية أو متشرب في جزئياتها " .(٢)

٥ - نقص الأكسجين في طبقات الجو العليا :

يقول تعالى : " فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ."(٣)

تقرر هذه الآية الكريمة أن الارتفاع في طبقات الجو العليا يسبب ضيقا في الصدر وشعوراً بالاختناق يزداد ذلك كلما ازداد الارتفاع.

وهذا ما كشف عنه العلم في الوقت الحاضر بعد أن تمكن الانسان من التحليق في الجو وذلك بعد اختراع الطائرات .

ويبين العلماء أن سبب هذه الظاهرة يرجع الى أمرين اثنين :

الأول : ان نسبة الأوكسجين في طبقات الجو العليا قليلة جدا .

الثاني : أن الضغط الجوي منخفض جدا ، مما يؤدي الى زيادة الضغط

---

(١) وجوه من الاعجاز ص ٩٣ .
(٢) الطب محراب الأيمان ج ١ ص ٤٨ .
(٣) سورة الأنعام ، آية ١٢٥.

الداخلي للجسم فيسبب الضيق والحرج لهذا الانسان المحلق في الفضاء[(١)]

٦ - انتشار الزوجية في كل شيء :

يقول تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ."(٢)

ويقول أيضا : " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " .(٣)

تكشف هاتان الآيتان عن سنة ربانية جارية في هذا الكون ، وهي أن كل شيء في هذا الوجود قائم على نظام الزوجية في الانسان وفي الحيوان وفي النبات وفي الجماد ، في المتحرك وفي الساكن .

وهذا الأمر لم يتم الكشف عنه الا موءخرا ، حيث توصل العلماء في أبحاثهم العلمية أن الزوجية منبثة في كل شيء في هذا الوجود ، وليست مقصورة على الجنس البشري والحيواني ، بل انها موجودة في النباتات والجمادات .

فالذرة مثلا أثبت العلماء أن فيها شحنتين احداهما موجبه ، والاخرى سالبة ، وهو ما يشبه الذكر والانثى ، يقول الدكتور البار : " ان الزوجية هي نظام هذا الكون ، السالب يقابل الموجب ، الالكترون يقابل البروتون ، الصبغيات تتقابل على هيئة أزواج ، شارة الذكورة Y تقابل شارة الأنوثة X ، الحيوان المنوي المذكر يقابله الحيوان المنوي الموءنث في كل ثمرة ، وفي كل شجرة وفي كل ذرة ، وفي كل خلية ، ترى الزوجية منبثة في هذا الكون حتى في الكهارب ، حتى في الموجات ".(٤)

فما من شيء في هذا الوجود الا ويحمل اشارة الذكورة والانوثة ، اما متصلة أو منفصلة ، وهذا انما يدل على عظمة القرآن الكريم واعجازه الواضح في كل زمان ومكان ، فقد سبق العلم بمئات السنين في اقرار كثير من الحقائق العلمية .

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم ص ٢١ .
(٢) سورة يس ، آية ٣٦ .
(٣) سورة الذاريات ، آية ٤٩ .
(٤) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ١٤١ - ١٤٢ .

٧ - عملية تكون السحب :

يقول تعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ." (١)

ويقول أيضا : " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ." (٢)

تبين هاتان الآيتان طريقة تكون السحب ، وتراكمها بعضها فوق بعض ودور الرياح في ذلك ، فالرياح تسوق السحاب وفق مشيئة الله من مكان الى مكان وتجمع بين قطعه المتفرقة حتى تتراكم بعضها فوق بعض ، ومن ثم يبدأ نزول المطر من خلال هذه السحب المتراكمة وفق ناموس الهي ثابت .

وقد بينت الآية الكريمة أيضا أن شكل السحب المتراكمة يشبه الجبال في ضخامتها وارتفاعاتها ، وهذا لا يظهر للانسان المقيم على الأرض ، حتى ولو صعد الى قمم الجبال الشامخة ، وانما يبدو ذلك جليا لمن ركب الطائرة وحلق فوق السحاب ، وهذا دليل على اعجاز القرآن الكريم ، فهذا الوصف لا يمكن أن يكون من رجل أمي لم يحلق في الجو فوق السحاب حتى يصف هذا الوصف الدقيق ، فلا بد اذن أن يكون هذا الكلام صادرا عن الله المحيط بكل شيء علما .

واضافة الى دور الرياح في تجميع السحب ، تقوم بتلقيحها ببخار الماء الذي تحمله فينتج عن ذلك نزول المطر ، وهذا ما كشف عنه القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، وان ما توصل اليه العلم الحديث يتفق تمام الاتفاق مع ما جاء في القرآن الكريم . فقد أثبت العلماء أن الرياح تقوم بتلقيح السحب ببخار الماء وبنوى التكاثف أيضا مما يسبب تكون السحب الممطرة ، وتحمل الرياح شحنة كهربائية موجبه تتحد مع الشحنة الكهربائية السالبة الموجودة في الفضاء ويتكون مجال كهربائي يحول

---

(١) سورة النور ، آية ٤٣ .
(٢) سورة الحجر ، آية ٢٢.

بخار الماء الى قطرات دقيقة من الماء تكبر شيئا فشيئا الى أن تسقط مطرا وبهذا يظهر لنا دور الرياح الأساسي في عملية تكون السحب ونزول المطر على الأرض ٠

وأوضح العلماء كيفية تكون السحب الركامية ، فقالوا ان السحابة الركامية الممطرة تتألف في الأصل من وحدات أساسية صغيرة يتم تجميع كل اثنين أو أكثر منها لِتُكَوِّنَ السحابة الركامية التي تنمو رأسيا وتصير كالجبال كما وصفها القرآن الكريم ٠

كما بين العلماء أن هذه السحب الركامية تحتوي على البرد الذي يعتبر القاعدة الأساسية لهذا النوع من السحب ، وأن عملية تكون البرد تتم في داخل السحابة نفسها ، وهذا ما ذكر في الآية ٠(١)

٨ - حفظ توازن الأرض بالجبال الراسية :

يقول تعالى : " وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ٠"(٢)

ويقول في آية أخرى : " وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا " ٠(٣)

تبين هاتان الآيتان أن الجبال أرسيت في الأرض حفاظا على توازنها فهي كالأوتاد تثبت الأرض وتحافظ عليها من الاضطراب ولولاها لاختل توازن الأرض أثناء دورانها ٠

وهذه الحقيقة لم يتوصل اليها العلم الا موءخرا حيث أن الجبال الراسية والبحار العميقة تعمل على حفظ توازن الأرض وتحميها من الاضطراب ٠

يقول أنجلسن : " من المفهوم الآن أن المادة الأقل وزنا ارتفعت على سطح الأرض ، على حين أصبحت أمكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية وهي التي نراها الآن في شكل البحار ، وهكذا استطاع الارتفاع والانخفاض أن يحافظ على توازن الأرض ٠"(٤)

---

(١) وجوه من الاعجاز ص ٩٧ - ٩٨ ٠
(٢) سورة الأنبياء آية ٣١ ٠
(٣) سورة النبأ ، آية ٧ ٠
(٤) الاسلام يتحدى ص ١٤٨ ٠

ثم ان العلم الحديث أثبت أن لهذه الجبال التي نراها جذورا ضخمة أضعاف حجمها الظاهر للعيان تغوص في أعماق الأرض تمسك بها وتحافظ على توازنها .(١)

وصدق الله العظيم القائل " والجبال أوتادا " .

٩ - اثبات حركة الشمس :

قال تعالى : " والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ."(٢)

تدل هذه الآية على أن الشمس متحركة وليست ثابته ، وهي تجري لمستقر لها وفق ناموس الهي ثابت ، وهذا ما انتهى اليه البحث العلمي موءخرا ، مع العلم بأن العلماء الى وقت قريب كانوا يعتقدون أنها ثابتة ، وأن الكواكب السيارة التابعة لها تدور حولها .

وقد أثبت علم الأرصاد الحديث بطلان هذا الاعتقاد ، ودل على أنها تسبح في الفضاء متنقلة بين النجوم والشموس بسرعة قدرها ثلاثون كيلو مترا في الثانية ، وهي متجة نحو أحد النجوم المعروف باسم الجاثي على ركبتيه مصحوبة بسياراتها ، والشمس في حركتها هذه تمر بالبروج الممتدة على جانبيها حيث تمر في كل شهر ببرج منها .(٣)

ويوءكد موريس بوكاي حركة الشمس بحركة المجرة التي تدور حول نفسها ، ومن ثم يبين تطابق ما توصل اليه العلم مع ما ذكر في القرآن قبل مئات السنين ، ومن هنا فالقرآن الذي تضمن هذه الحقائق لا يمكن أن يكون من عند محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول بوكاي : " وبما أن المجرة تدور حول نفسها وكان محورها مركزها فان ناتج ذلك هو أن الشمس تدور حول نفس هذا المركز على حسب مدار دائري ، تلك هي الحركة المدارية للشمس التي صرح بها القرآن

---

(١) الانسان بين العلم والدين ص ١٠٢.

(٢) سورة يس ، آية ٣٨.

(٣) الانسان بين العلم والدين ص ٦٥ - ٦٧ .

منذ أربعة عشر قرنا تقريبا ." ويقول أيضا : " لا يمكن تصور أن رجلا في القرن السابع من عصرنا قد استطاع تخيل هذا مهما يكن عالما في عصره وليس ذلك حال محمد صلى الله عليه وسلم ."(١)

وهكذا يبدو اعجاز القرآن ظاهرا جليا ، وهو من أعظم الأدلة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

١٠ - حركة الأرض وشكلها :

يقول تعالى : " يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ".(٢) ويقول: " يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ."(٣)

ويقول في آية أخرى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ " .(٤)

ويقول أيضا : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ".(٥)

تبين هذه الآيات الكريمات شكل الأرض وحركتها قبل مئات السنين من معرفة العلماء لذلك ، فالآية الرابعة تحدد شكل الأرض بدقة فائقة اذ تبين أن شكلها بيضاوي وليست كالكرة الهندسية تماما لكونها مفلطحة من جانبيها كالدحية التي هي بيضة النعام ، وهذا ما ثبت موءخرا بعد التقدم العلمي الذي وصلت اليه البشرية في العصر الحديث ، فقد أثبتت الأقمار الصناعية التي علت في الفضاء ، وقامت بتصوير الأرض من مسافات بعيدة أن الأرض بيضاوية الشكل . وهذه الأرض التي نقيم عليها ليست ثابتة ، بل تدور كباقي الكواكب السيارة وهذا ما دلت عليه الآيات السابقة .

ان تعاقب الليل والنهار السريع والمستمر الذي أشارت اليه الآية الأولى يوءكد أن الأرض متحركة وليست ثابتة ، وهو ما توصل اليه العلماء في العصر الحديث حيث أثبتوا أن للأرض دورتين : الأولى يومية تدور بها الأرض حول نفسها وينتج عن هذه الدورة تعاقب الليل والنهار

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٨٦ - ١٨٧.
(٢) سورة الأعراف ، آية ٥٤ .
(٣) سورة الزمر ، آية ٥ .
(٤) سورة لقمان ، آية ٢٩ .
(٥) سورة النازعات ، آية ٣٠ .

واختلاف الزمن من مكان لآخر ، والثانية : سنوية تدور بها حول الشمس وينتج عن هذه الحركة الفصول الأربعة .(١)

يقول عالم الفضاء الروسي جاجارين : أنه شاهد تعاقبا سريعا للظلام والنور على سطح الأرض وذلك بسبب دورانها المحوري .(٢)

وبهذا يتطابق ما توصل اليه العلم الحديث مع الآيات القرآنية التي أشارت الى شكل الأرض وحركتها وهذا ما يؤكد اعجاز القرآن العلمي الذي بهر العلماء بالحقائق الكثيرة التي أشار اليها.

يقول موريس بوكاي : " ان الشمس تضيء بشكل دائم نصف الكرة الأرضية التي تقع أمامها على حين يظل النصف الآخر مظلما ، وقد رآى رواد الفضاء الأمريكيون هذا وصوروه من مركباتهم الفضائية وخاصة على بعد بعيد عن الأرض من على القمر مثلا ، وبدوران الأرض حول نفسها على حين تظل الاضاءة ثابتة ، فان المنطقة المضادة منها تؤدي في أربع وعشرين ساعة دورتها حول الأرض ، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة ، والقرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التي لا تكف أبدا للنهار والليل ....

هذه العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع في آخر يعبر القرآن عنها وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزيل القرآن وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد ." (٣)

---

(١) الانسان بين العلم والدين ص ٨٩ - ٩١ .

(٢) الاسلام يتحدى ص ١٤٤.

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٨٩.

الفصل الثاني

المعجزات الحسيـــــة

أجمعت الأمة الأسلامية على أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبـرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ تحدى به العرب خاصة والناس عامة، فعجزوا عن الاتيان بمثله أو بسورة من مثله ، وهم أهل الفصاحة وأربـاب البيان •

الا أن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تقتصر على هذا الكتاب الرباني ، بل أيده بمعجزات حسية كثيرة ومتنوعة رحمة بـــه وتسرية عنه واكراما له ولأمته وتصديقا لدعوته ودحضا لمفتريات أعدائه وتثبيتا لأتباعه •

من هذه المعجزات ما ثبت بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة كالاسراء والمعراج ، ومنها ما ثبت بالسنة الصحيحة المتواترة كحنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ، حيث حدثت على مرآى ومسمـــع العدد الكثير من صحابته رضي الله عنهم ، ونقلها عنهم الجم الغفيـــر والعدد الكثير من الرواة في عهد التابعين ومن بعدهم •

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما ثبت بطريق الآحاد ولكنهـــا بمجموعها تبلغ درجة التواتر المعنوي وهو يفيد القطع •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وهذه الأخبار منها مـا هو في القرآن ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع المـــاء من أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك ، فإن كلا من ذلـــك تواترت به الأخبار واستعاضت وَنَقَلَتْهُ الأمة جيلا بعد جيل وخلفا عن سلـــف فما من طبقة من طبقات الأمة الا وهذه الآيات منقولة مشهورة فيها ، وقـد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيرا من آيات القـــرآن وأكثر ممن سمع ونقل أنه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو وممن سمـــع ونقل نصب الزكاة وفرائضها ، بل مواقيت الصلاة وأعدادها انما شـــاع

نقلها للعمل الدائم بها ، وأما هذه الآيات فنقلها أكثر ممن نقل مواقيت الصلاة من جهة الأخبار المعينة وذلك أن آيات الرسول كان كثيرا منهـا يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه ."(١)

ويقول القاضي عياض في كتابه الشفا :" قال القاضي أبو الفضل: وأنا أقول صدعا بالحق أن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع ."(٢)

وهذه المعجزات الخارقة لمألوف العادات التي أجراها الله سبحانه على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يحصل بها التحدي كالقرآن الكريم الا أنها من أعظم الادلة وأصدق البراهين على نبوته صلى الله عليه وسلم ، وسميت بهذا الاسم لعجز البشر عن الاتيان بمثلها ."

وما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الحسية لم يجتمع لنبي قبله ، فما من نبي الا وأوتي نبينا من المعجزات ما هو أكثر منه عددا ، وأشد تنوعا ، وأبلغ أثرا .

يقول القاضي عياض رحمه الله : " معجزات نبينا أظهر من سائر معجزات الرسل وانه لم يوءت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها ."(٣)

فاذا كان موسى عليه السلام قد أيده الله بقلب العصا الى حية فقد أوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك أو ما هو أعجب منه كبكاء الجذع اليابس وحنينه لرسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت في الأحاديث الصحيحة .

واذا كان عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص باذن الله فقد وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم شفاء المرضى مرات عدة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

واذا كان يوسف وعيسى عليهما السلام قد أخبرا بما أطلعهم الله عليه من الغيب فان رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأمور

---

(١) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(٢) الشفا ج ١ ص ١٩٥ .
(٣) الشفا ج ١ ص ٧٣ .

مغيبة كثيرة •

واذا كانت الجبال تسبح مع داود عليه السلام ، فان الحجر سبح بين يدي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الطعام •

الى غير ذلك من المعجزات الباهرة والآيات الدالة بجلاء ووضوح على صدق نبوته وصحة دعوته •

وأشرع الآن في توضيح هذه المعجزات وبيان وقائعها ، مرتبة لها على شكل مجموعات يندرج تحت كل مجموعة من الأخبار والوقائع المتماثلة •

أولا : الاسراء والمعراج :

بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ، الزوجة التي آزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي طالب العم الذي حماه ودفع عنه أذى قومه ، حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى عرف ذاك العام بعام الحزن ، ونال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى سفهاء قريش فيه ما لم ينله في عام قبله ، فأسرى الله سبحانه وتعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، ومن ثم عرج به الى السموات العلى ليريه الله تعالى من آياته العظيمة اكراما منه لخاتم رسله وتسلية له لما نزل به من الضيق والشدة والأذى بفقدان ناصِرَيْهِ زوجته وعمه •

وقد أشار القرآن الكريم لحادثة الاسراء بقوله تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البصير • "(١)

وأشار لحادثة المعراج في قوله : " أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى • "(٢)

تؤكد الآية الأولى اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجمهور على أنه أسرى به بجسده وروحه ، من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

---

(١) سورة الاسراء ، آية ١ •

(٢) سورة النجم ، آية ١٢ - ١٨ •

ومن هناك صعد الى السموات العلى ورآى من الآيات الكبرى ما رأى في هذه الرحلة العظيمة كما تشير آيات سورة النجم .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بروئية الأنبياء وصلاته بهم ، وبروئية الملائكة ومنهم جبريل ، رآه على صورته الحقيقية التى خلق عليها ، ورآى الجنة والنار وسدرة المنتهى الى غير ذلك من الآيات الكبرى التي أكرمه الله بروئيتها دون غيره من البشر .

وبهذه الرحلة العظيمة رفع الله درجة نبيه صلى الله عليه وسلم وأعلى شأنه فكلمه من وراء حجاب (كما قالت عائشة رضي الله عنها وهو الاصح الارجح) وفرض على أمته الصلاة وهذه درجة لم يصل اليها أحد من الأنبياء قبله .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، وذكر يعني رجلا بين الرجلين ، فَأُتِيتُ بطست من ذهب مليء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مَرَاقِّ البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم مليء حكمة وايمانا ، وأوتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار ، البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل :ومن معك ؟ قيل محمد. قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على آدم فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من ابن ونبي فأتينا السماء الثانية ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : أرسل اليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على عيسى ويحيى فقالا مرحبا بك من أخ ونبي . فأتينا السماء الثالثة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال: نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت يوسف فسلمت عليه ، قال : مرحبا بك من أخ ونبي . فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا؟ قيل : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد صلى الله عليه وسلم، قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجي جاء . فأتيت على ادريس فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبي ، فأتينا

السماء الخامسة ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء . فأتينا على هارون فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبي . فأتينا على السماء السادسة ، قيل من هذا ؟ قيل جبريل، قيل : من معك ؟ قيل : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : وقد أرسل اليه مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبي ، فلما جاوزت بكى فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي ، فأتينا السماء السابعة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل ، قيل ، من معك ؟ قيل : محمد ، قيل : وقد أرسل اليه مرحبا به ونعم المجيء جاء ، فأتيت على ابراهيم فسلمت فقال: مرحبا بك من ابن ونبي ، فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ،اذا خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم ورفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها كأنه قلال هُجَر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، في أصلها أربعة أنهار ، نهران باطنان ونهران ظاهران ، فسألت جبريل ، فقال : أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات ، ثم فرضت على خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى ، فقال : ما صنعت ؟ قلت : فرضت على خمسون صلاة ، قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، وان أمتك لا تطيق فارجع الى ربك فسله ، فرجعت فسألته فجعلها أربعين ، ثم مثله ثم ثلاثين ، ثم مثله فجعل عشرين ، ثم مثله فجعل عشرا فأتيت موسى فقال: ما صنعت ؟ قلت : جعلها خمسا ، فقال مثله ، قلت : فسلمت فنودي اني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا ."(١)

فلما سمعت قريش نبأ الاسراء ~~والمعراج~~ طار صوابها ، واستعظمت هذا الأمر لأن قطع المسافات الطويلة في زمن يسير ذهابا وايابا مع عدم توفر

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ج ٤ ص ٧٧ - ٧٨.

المواصلات السريعة في ذلك الوقت أمر يستدعي العجب حقا ، ولكن هذا العجب يزول اذا علم أن الله بقدرته المطلقة هو الذي مكن لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من القيام بهذه الرحلة العظيمة خرقا للعادة وتطمينا لقلب المصطفى صلى الله عليه وسلم وتصديقا لنبوته ، ولكن قريشا بكفرها وعنادها لم تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرها به فطلبت منه الدليل على صدق ما يقول وذلك بأن يصف بيت المقدس فوصفه لهم بدقة فائقة حتى شهد بصدقه كل من له معرفة به .

وبهذا قام الدليل المادي القطعي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم به من الاسراء والمعراج في جزء يسير من الليل مما دفع بعض المشركين للدخول في الاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انشقاق القمر :

من المعجزات الخارقة للعادة التي أيد الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذي حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة ، حين سألته قريش أن يريهم آية تدل على صدقه فأراهم انشقاق القمر ، فلما رأوا ذلك قالوا هذا سحر منه صلى الله عليه وسلم لأعينهم ، الا أن بعضهم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فلما سألوا من قدم عليهم من المسافرين أجابوهم برؤية القمر وقد انشق الى نصفين .

وقد ثبت في السنة الصحيحة وقوع هذه الآية الخارقة على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، تصديقا له واثباتا لنبوته ، ومن الأخبار التي تحدثت عن الواقعة :

١ - روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر ."(١)

٢ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر ج ٤ ص١٨٦ .
صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر ، ج ٤ ص ٢١٥٩ .

اشهدوا ." (١)

٣ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا ." (٢)

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ". (٣)

وبهذه الأخبار يتبين لنا ثبوت هذه المعجزة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : بركة الطعام وكثرته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومن المعجزات الحسية أيضا تكثير الطعام وبركته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ان القليل منه كان يكفي العدد الكبير من الناس ، وقد حدث هذا مرات عدة على مرآى ومسمع العدد الكبير من الناس ، ونقلت لنا هذه الأخبار جيلا بعد جيل مما يؤكد ثبوت هذه المعجزة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الأخبار الثابتة الصحيحة :

١ - روى البخاري عن عبدالواحد بن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابرا رضي الله عنه ، فقال : إنَّا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْيَةٌ شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم ، فقلت يا رسول الله أئذن لي الى البيت ، فقلت لأمرأتي رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعَناق ، فَذَبَحْتُ العَناق وَطَحَنَت الشعير

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ،باب سؤال المشركين ج ٤ ص ١٨٦، صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ج ٤ ص ٢١٥٨.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر ج ٤ ص ٢١٥٨.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب سؤال المشركين ج ٤ ص ١٨٦. صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر ج ٤ ص ٢١٥٩.

حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج فقلت : طُعَيِّمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : كم هو ؟ فذكرت له ، قال: كثير طيب ، قال : قل لها لا تنزع البُرمة ولا الخبزَ من التنور حتى آتي، فقال : قوموا ، فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته ، قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم وَيُخَمِّرُ البُرمة والتَّنّور اذا أخذ منه ويقرِّبُ الى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية ، قال : كلي هذا وأهدي فانّ الناس أصابتهم مجاعة " .(١)

٢ - وروى مسلم عن مالك بن أنس عن اسحق بن عبدالله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سُلَيم : قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك شيء؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخذت خمارا لها فَلَفَّت الخبز ببعضه ،ثم دسَّته تحت ثوبي وَرَدَّتْنِي ببعضه ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ قال : فقلت : نعم . فقال: ألِطعام ؟ فقلت : نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه : قوموا . قال : فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم . قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمي ما عندك يا أم سليم ؟ فأتت بذلك الخبز،فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فَفُتَّ ، وعصرت عليه أم سليم عُكَّةً لها فَأَدَمَتْهُ ، ثم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ،باب غزوة الخندق ج ٥ ص ٤٥ - ٤٦ .

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ٠ ثم قال أئذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال أئذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال أئذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون ٠"(١)

٣ - روى البخاري عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد منكم طعام ؟ فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌ طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيعا أم عطية أو قال أم هبة ؟ قال : لا بل بيع ، فاشترى منه شاة فضنعت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى ، وأيم الله ما في الثلاثين والمائة الا وقد حز النبي صلى الله عليه وسلم له حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا اعطاها اياه، وان كان غائبا خبأ له ، فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قال ٠"(٢)

٤ - وروى مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد (شك الأعمش) قال : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ٠ قالوا :يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا ناضحنا فأكلنا وأدهنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعلوا ، قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ٠ قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، قال : ويجيء الآخر بكف تمر ٠ قال : ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بالبركة ، ثم قال خذوا في

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه الى دار من يثق برضاه ج ٣ ص ١٦١٢٠

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين ج٣ ص ١٤١ - ١٤٢٠

أوعيتكم ، قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة ."(١)

٥ - روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فقالت لي أم سليم لو أهدينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها : افعلي ، فعمدت الى تمر وسمن وَأَقِطٍ فاتخذت حيسة في بُرمة فأرسَلَت بها معي اليه ، فانطلقتُ بها اليه فقال لي : ضعها ، ثم أمرني فقال : ادع لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت قال ففعلت الذي أمرني فرجعت فاذا البيت غاص بأهله ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يديه على تلك الحَيْسَةِ وتكلم بها ما شاء الله ، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول بهم : اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال حتى تصدعوا كلهم عنها فخرج منهم من خرج ، وبقي نفر يتحدثون ، قال وجعلت أغتم ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات وخرجت في اثره ، فقلت : انهم قد ذهبوا، فرجع فدخل البيت وأرخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ."(٢)

٦ - روى مسلم عن أبي الزبير عن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عُكَّةٍ لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الأيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ج ١ ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٥٣ ، والحديث في صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب الهدية للعروس ج ٦ ص ١٤٠ - ١٤١.

فتجد فيه سمنا ، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : عصرتيها ؟ قالت : نعم . قال : لو تركتيها ما زال قائما ."(١)

٧ - روى البخاري عن جابر رضي الله عنه ، قال : توفي عبدالله بن عمرو بن حرام وعليه دين فاستعنت النبي صلى الله عليه وسلم على غرمائه أن يضعوا من دينه ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فلم يفعلوا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اذهب فصنف تمرك أصنافا ، العجوة على حدة ، وَعَذَقَ زيد على حدة ، ثم أرسل الى ففعلتُ ثُمَّ أرسلتُ الى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس على أعلاه أو في وسطه ، ثم قال : كِل للقوم فَكِلْتُهم حتى أوفيتهم الذي لهم وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء ."(٢)

٨ - وروى البخاري أيضا عن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول : آلله الذي لا اله الا هو ان كنت لأغتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وان كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليشبعني فمر ولم يفعل ، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليشبعني فمر فلم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله على وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : أبا هر . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق ومضى فتبعته فدخل فاستاذن فَأَذِنَ لي فدخل فوجد لبنا في قدح ، فقال : من أين هذا اللبن قالوا اهداه لك فلان أو فلانه ، قال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق الى أهل الصفة فادعهم لي ، قال : وأهل الصفة أضياف الأسلام لا يأوون الى أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك ، فقلت وما هذا اللبن في أهل

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ١٧٨٤.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب البيع ،باب الكيل على البائع والمعطي ج ٣ ص ٢١ - ٢٢ .

الصفة ، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : خذ فأعطهم ، قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح حتى انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الى فتبسم فقال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : بقيت أنا وأنت ، قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : أقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ، قال : فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ."(١)

هذا غيض من فيض من الأخبار المشهورة المتواترة الدالة على بركة الطعام وكثرته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر خارق للعادة أيد الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وأقام الدليل على صدق دعوته وثبوت نبوته .

رابعا : كثرة الماء ونبعه من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم.

تواترت الأخبار واشتهرت في نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وفي كثرته وبركته ، حتى أن اليسير منه كان يكفي الجماعة الكبيرة من الناس ، وهذا أمر خارق للعادة يعجز البشر عن الاتيان بمثله ، أجراه الله على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اثباتا لنبوته وتصديقا له فيما جاء به من عند ربه سبحانه وتعالى .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم ج ٧ ص ١٧٩ - ١٨٠.

ومن الأخبار الثابتة في هذا الأمر :

١ - روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحانت صلاة العصر ، فالتمس الوَضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ."(١)

٢ - روى مسلم عن عمران بن الحصين قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له ، فأدلجنا ليلتنا حتى اذا كان في وجه الصبح عَرَّسنا ، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس قال: فكان أول من استيقظ منا أبو بكر، وكنا لا نوقظ نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نام حتى يستيقظ ، ثم استيقظ عمر فقام عند نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال : ارتحلوا ، فسار بنا حتى اذا ابيضت الشمس نزل فصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا ، فلما انصرف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فلان ما منعك أن تصلي معنا ؟ قال : يا نبي الله أصابتني جنابة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فتيمم بالصعيد فصلى ، ثم عَجَّلَني في ركب بين يديه ، نطلب الماء وقد عطشنا عطشا شديدا ، فبينما نحن نسير اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء ؟ فقالت : أَيْهاه أَيْهاه لا ماء لكم . قلنا ، فكم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : مسيرة يوم وليلة . قلنا : انطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت: وما رسول الله ؟ فلم نُمَلِّكْهَا من أمرها شيئا حتى انطلقنا بها فاستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا وأخبرته أنها موتمة لها صبيان أيتام فأمر براويتها فأنيخت فمَجَّ في العزلاوين العُلْياوَين ثم بعث براويتها فشربنا ونحن أربعون رجلا عطاش حتى روينا وملأنا كل قربة معنا وأداوة وَغَسَّلْنَا صاحبنا غير أَنَّا لم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، ج ٤ ص ١٦٩ - ١٧٠.

لم نُسْقِ بعيرا وهي تكاد تنضرج من الماء (يعني المزادتين) ثم قال : هاتوا ما كان عندكم ، فجمعنا لها من كِسَرٍ وتمر وَصَرّ لها صُرَّة ، فقال لها : اذهبي فأطعمي هذا عيالك واعلمي أنَّا لم نرزأ من مائك ، فلما أتت أهلها قالت : لقد لقيت أسحر الناس ، أو انه لنبي كما زعم كان من أمره ذيت وذيت ، فهدى الله ذاك الصِّرم بتلك المرأة ، فأسلمت وأسلموا ."(١)

٣ - وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، ألفا وأربعمائة أو أكثر فنزلوا على بئر فنزحوها فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأتى البئر وقعد على شفيرها ثم قال : أئتوني بدلو من مائها فأتي به فبصق فدعا ثم قال : دعوها ساعة فَأَرْوَوْا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا."(٢)

٤ - وروى أيضا عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدية ركوة فتوضأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لكم ؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب الا ما في ركوتك ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا وتوضأنا . قلت لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة ."(٣)

٥ - وروى مسلم عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالزوراء وما بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل ينبع من بين أصابعه فتوضأ جميع أصحابه ، قال : قلت كم كانوا يا أبا حمزه ؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة ."(٤)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة الفائتة ج١ ص ٤٧٤ - ٤٧٦.
(٢) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ج ٥ ص ٦٢ - ٦٣.
(٣) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ج ٥ ص ٦٣.
(٤) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ج٤ ص ٨٧٣

٦ - وروى أيضا عن معاذ بن جبل قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة ، فصلى الظهر والعصر جمعيا ،والمغرب والعشاء جميعا ، حتى اذا كان يوما أخر الصلاة ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعا ، ثم قال : انكم ستأتون غدا ان شاء الله عين تبوك ، وانكم لن تأتوها حتى يضحي النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمسَّ من مائها شيئا حتى آتي ، فجئناها وقد سبقنا اليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء ، قال : فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل مستما من مائها شيئا ؟ قالا : نعم . فسبهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما ماشاء الله أن يقول ، قال ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ، قال : وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر ، أو قال غزير حتى استقى الناس ،ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مليء جنانا ."(١)

٧ - وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مخارجه ومعه ناس من أصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة ولم يجدوا ماء يتوضوءون فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم مد أصابعه الأربع على القدح ثم قال : قوموا فتوضوءا ، فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء وكانوا سبعين أو نحوه ."(٢)

٨ - وروى البخاري عن أنس أيضا قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ وبقي قوم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بمخضب من حجارة فيه ماء فوضع كفه ، فَصَغُرَ المخضب أن يبسط فيه كفه فضم أصابعه فوضعها في المخضب فتوضأ القوم كلهم جميعا ، قلت : كم كانوا ؟ قال :

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب معجزات النبي ج ٤ ص ١٨٧٤ - ١٨٧٥.
(٢) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة ج ٤ ص ١٧٠.

ثمانون رجلا ."(١)

٩ – وروى مسلم عن عبادة بن الصامت في حديث طويل قوله : قال – أي جابر بن عبدالله – : فأتينا العسكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ناد بوضوء . فقلت : آلا وضوء ؟ آلا وضوء ؟ آلا وضوء ؟ قال : قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل في الأنصار يُبَرِّدُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في أشجاب له على حِمَارَةٍ من جريد، قال : فقال لي انطلق الى فلان بن فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء ، قال : فانطلقت اليه فنظرت بها فلم أجد فيها الا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله اني لم أجد فيها الا قطرة في عزلاء شجب منها ، لو أني أفرغه لشربه يابسه ، قال : اذهب فأتني به ، فأخذه بيده ، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ، يغمزه بيديه ، ثم أعطانيه فقال : يا جابر ناد بجفنة ،فقلت : يا جفنة الركب ! فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت ، قال جابر : ناد من كان له حاجة بماء . قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا ، قال : فقلت : هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملآى ."(٢)

نكتفي بهذا القدر من الأخبار الصحيحة المنقولة عن طريق ثقات الرواة ، الدالة على ثبوت هذه المعجزة لرسولنا صلى الله عليه وسلم اكراما من الله له ، ودليلا على نبوته الحقة .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ج ٤ ص ١٧٠.
(٢) صحيح مسلم ،كتاب الزهد ،باب حديث جابر الطويل ج ٤ ص ٢٣٠٧ – ٢٣٠٨، والأشجاب: جمع شجب وهو السقاء البالي ، حمارة : اعواد تعلق عليها أسقية الماء ، عزلاء : فم القربة . يغمزه بيديه : أي يعصره .

خامسا : شفاؤه للمرضى وذوي العاهات :

شفاء الناس من الأمراض أمر يحصل بارادة الله وقدره ، ولا يمكن لبشر شفاء أي مريض الا باذن الله ومشيئته ، وقد يتوصل الطبيب الى معرفة أسباب المرض ، فيصف للمريض العلاج المناسب ولكن الشفاء لا يحصل لعدم ارادته سبحانه وتعالى .

وما أثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من شفائه للمرضى وذوي العاهات بغير الأسباب المعهودة وطرق العلاج المعروفة ، ما هو الا أمر خارق للعادة أجراه الله على يده ليكون شاهدا على نبوته وعلى اختيار الله له لتبليغ رسالته وحمل الأمانة للناس كافة .

والأخبار في هذا المجال كثيرة ومستفيضة نذكر منها :

١ - روى البخاري عن البراء بن عازب قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار ، فَأَمَّرَ عليهم عبدالله بن عتيك ، وكان أبو رافع يوءذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم ، فقال عبدالله لأصحابه : اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ، وكان أبو رافع يُسْمَرُ عنده وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل . قلت : إن القومُ نَذِروا بي لم يخلصوا الي حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت ، فقلت أبا رافع ، فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دَهِش فما أغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت اليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ، فقال لأمك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ،

ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا ، حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت الى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلتُهُ ، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال لي : ابسط رجلك ، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتيكها قط ."(١)

٢ - وروى أيضا عن يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر ، فقال الناس أصيب سلمة ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات لما أشتكيتها حتى الساعة ."(٢)

٣ - وروى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطينَّ هذه الرايةَ غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطَاها فلما أصبح الناس غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال: فأرسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم."(٣)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ج ٥ ص ٢٦ - ٢٧ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ج ٥ ص ٧٥ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ج ٥ ص ٧٦ - ٧٧ .

٤ - وروى الامام أحمد عن يعلى بن مرة الثقفي قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جِنَّة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره ثم قال : اخرج فاني محمد رسول الله ، ثم سرنا ، فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء .... فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك."(١)

٥ - وروى أبو نعيم في الدلائل عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان أنه سقطت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدهما ."(٢)

٦ - وروي أن طفيلا العامري جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها وأمره أن يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا ."(٣)

وهكذا مكن الله نبيه من شفاء المرضى وازالة ما أَلَمَّ بهم من الآلام ، حتى أن الواحد منهم يعود الى حالته السليمة كأن لم يكن به شيء ، وهذا اكرام من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم،واثباتٍ لنبوته وتصديقٍ لدعوته .

سادسا : استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم :

ومن المعجزات الحسية التي أيد الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم استجابة دعائه على الدوام ، فكان لا يدعو دعاء ولا يطلب من الله أمرا الا ويستجاب له فيه ، سواء كان دعاء بالخير أو دعاء بالهلاك وهذا لم يكن لأحد من البشر الا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ،

---

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ١٧٣ .
(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الاصبهاني ص ٤١٨.
(٣) اعلام النبوة للماوردي ص ٨٩.

اذ يتوجه الانسان الى الله بالدعاء فقد يستجاب له ، وقد لا يستجاب له لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى ٠

وقد أثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مواقف عدة دعا فيها لأقوام بالخير ، وعلى أقوام بالهلاك ، وقد تحقق ما دعا به ، كيف لا وهو خير خلق الله ، الحبيب الى ربه ، القريب منه ، وهذا اكرام من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام للدلالة على نبوته وصدق دعوته ٠

ومن الأخبار المتواترة في استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم :

١ - روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال ، فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة ، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره ، فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يده فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسار الوادي قناة شهرا ، ولم يجيء أحد من ناحية الا حدث بالجود ٠"(١)

٢ - وروى البخاري عن جرير رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ فقلت : بلى ، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على صدري ، حتى رأيت يده في صدري فقال : اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا ، قال : فما

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء في الخطبة ج ١ ص ٢٢٤، والقزعة : القطعة من السحاب ، والجوبة : الفرجة المستديرة في السحاب ، وقوله : قناة مرفوع على البدل من الوادي ، غير منصرف لأنه اسم لواد معين من أودية المدينة ، والجود : بفتح الجيم المطر الغزير ٠

وقعت عن فرس بعده ، قال : وكان ذو الخَلَصةِ بيتا باليمن لِخَثْعَم وَبَجيلة فيه نُصُب يُعبد يقال له الكعبة ، قال : فأتاها فَحَرَّقها بالنَّار وكسرها.(١)

٣ - وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش ، على شيبة وعتبه بن ربيعة والوليد بن عتبه وأبي جهل بن هشام ، فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوما حارا ."(٢)

٤ - وروى مسلم عن جابر بن عبدالله قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيا ولا يكاد يسير ، قال : فقال لي : ما لبعيرك ؟ قال : قلت عليل ، قال : فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره ودعا له ، فما زال بين يدي الأبل قدامها يسير ، قال : فقال لي كيف ترى بعيرك ؟ قال : قلت بخير ، قد أصابته بركتك ، قال : أَفَتَبِيعُنِيه ؟ فاستحييت ولم يكن لنا ناضح غيره ، قال : فقلت نعم ، فبعته اياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة .... قال ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت اليه بالبعير فأعطاني ثمنه وَرَدَّهُ عَلَيَّ ."(٣)

٥ - وروى مسلم عن اياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : كل بيمينك ، قال لا أستطيع ، قال : لا استطعت ، ما منعه الا الكِبْر قال : فما رفعها الى فيه ."(٤)

٦ - وروى مسلم عن أبي كثير يزيد بن عبدالرحمن قال حدثني أبو هريرة قال : كنت أدعو أمي الى الاسلام وهي مشركة ، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي . قلت : يا رسول الله اني كنت أدعو أمي الى

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ،باب غزوة ذي الخلصة ج ٥ ص ١١٢ ، وأحمس : أخو بجيله رهط جرير .
(٢) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ،باب دعاء النبي على كفار قريش ج ٥ ص ٥ - ٦.
(٣) صحيح مسلم ،كتاب المساقاة ،باب بيع البعير واستثناء ركوبه ج ٣ ص ١٢٢١ - ١٢٢٢ ،وقوله فقار ظهره : أي ركوبه .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب ج ٣ ص ١٥٩٩.

الاسلام فتأبى علي ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أهد ام أبي هريره فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فَصِرتُ الى الباب فاذا هو مُجافٌ ، فسمعت أمي خشف قَدَمَيَّ ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خَضْخَضَةَ الماء ، قال : فاغتَسَلَت ولبست درعها وَعَجِلَت عن خمارها فَفَتَحتِ الباب ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قال : قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا ، قال : قلت يا رسول الله ادع الله أن يُحَبِّبَني أنا وأمي الى عباده المؤمنين وَيُحَبِّبَهُم الينا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حَبِّب عُبَيْدَك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه الى عبادك المؤمنين وَحَبِّب اليهم المؤمنين ، فما خلق مؤمن يسمع ولا يراني الا أحبني ."(١)

٧ - وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك قال : جاءت بي أمي ، أم أنس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أَزَّرَتْني بنصف خمارها وَرَدَّتْني بنصفه ، فقالت : يا رسول الله هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له ، فقال : اللهم أكثر ماله وولده ، قال أنس فوالله ان مالي لكثير ، وان ولدي وولد ولدي ليتعادون نحو المائة اليوم ."(٢)

٨ - وروى البخاري عن شَبِيب بن غَرقَدَة قال : سمعت الحيَّ يحدثون عن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه دينارا يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين فباع احداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه وكان لو اشترى التراب لربح منه ."(٣)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ، باب فضائل أبي هريرة ج ٤ ص ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وقوله مجاف : أي مغلق ، خشف قدمي ، أي صوتهما في الارض ، خضخضة الماء: صوت تحريكه .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل أنس ج ٤ ص ١٩٢٩.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ، الباب الثامن والعشرون ج ٤ ص ١٨٧.

٩ - وروى أبو نعيم الأصبهاني عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هبار بن الأسود قال : كان أبو لهب وابنه عتيبة قد تجهز الى الشام وتجهزت معهما فقال ابنه عتيبه : والله لأنطلقن اليه فلأوذينه في ربه فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد هو يكفر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك ، ثم انصرف عنه فرجع اليه فقال : أي بني ما قلت له ؟ قال : كفرت بالهه الذي يعبده• قال : فماذا قال لك ؟ قال قال : اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك ، فقال : أي بني والله ما آمن عليك دعوة محمد • قال فسرنا حتى نزلنا الشراة وهي موءسدة فنزلنا الى صومعة راهب ، فقال : يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد وانها مسرح الضيغم ، فقال لنا أبو لهب : انكم قد عرفتم حقي ، قلنا : أجل يا أبا لهب ، فقال : ان محمدا قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لأبني عتيبة ثم افرشوا حوله ، قال : ففعلنا جمعنا المتاع حتى ارتفع ثم فرشنا له عليه وفرشنا حوله ، فبينا نحن حوله وأبو لهب معنا أسفل ، وبات هو فوق المتاع فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض ، ثم وثب فاذا هو فوق المتاع فجاء الأسد فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففضخ رأسه ، فقال : سيفي يا كلب لم يقدر على غير ذلك ووثبنا فانطلق الأسد وقد فضخ رأسه فقال له أبو لهب : قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد •"(١)

والأمثلة على استجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه كثيرة ومستفيضة ، مما يدل على صدقه وعلى تأييد الله له ، وتصديقه لنبوته وتأييده لدعوته •

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٣٩٠ ، موءسدة : فيها الأسود ، والضيغم : من أسماء الأسد ، القاموس المحيط ١٤٤/٤•

سابعا : نطق الشجر والحجر وانقيادهما لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم:

جرت سنة الله في الشجر والحجر أن لا يصدر عنهما كلام ، وهذا معروف لدى الناس جميعا ، ولكن الله بقدرته المطلقة وحكمته البالغة أنطقهما خرقا للعادة اكراما لنبيه الذي اصطفاه وأيده بهذه المعجزة الباهرة لتدل على نبوته وصدق دعوته ، فقد جاء في السنة الصحيحة أن الحجر تكلم وسبح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يسلم عليه قبل البعثة وبعدها وكذلك الشجر شهد بنبوته وانقاد لأمره . وأن جذع النخلة التي كان يقوم عليه خطيبا بكى وحنّ للنبي صلى الله عليه وسلم عندما تركه لما بنى له المنبر .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، نورد منها :

١ - روى البخاري عن معن بن عبدالرحمن قال : سمعت أبي قال سألت مسروقا مَن آذَنَ النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال حدثني أبوك يعني عبدالله أنه آذَنَت بهم شجرة ."(١)

٢ - وروى البخاري عن جابر بن عبدالله قال : كان جذع يقوم اليه النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب ، فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العِشار حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه .

وفي رواية أخرى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله الا نجعل لك منبرا ؟ قال : ان شئتم ، فجعلوا له منبرا ، فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه اليه ، تئن أنين الصبي الذي يسكن ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها ."(٢)

٣ - وروى مسلم من حديث جابر الطويل قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء ،فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب مناقب الأنصار ،باب ذكر الجن ،ج ٤ ص ٢٤٠،
وآذن : أعلم ، وعبدالله ها ابن مسعود .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة ،ج ٤ ص ١٧٣.

فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان بشاطيء الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي، علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي ،علي باذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى اذا كان بالمنصف مما بينهما لأمَ بينهما (يعني جمعهما) فقال التئما علي باذن الله فالتأمتا . قال جابر : فخرجت أحضِرُ مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد ،فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة فقال برأسه هكذا (وأشار أبو اسماعيل برأسه يمينا وشمالا) ثم أقبل ، فلما انتهى الى قال : يا جابر هل رأيت مقامي ؟ قلت : نعم يا رسول الله ."(١)

٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأقبل أعرابي ، فلما دنا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ،وأن محمدا عبده ورسوله ، قال : ومن يشهد على ما تقول ؟ قال : هذه السلمة ،فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت ثلاثا أنه كما قال ثم رجعت الى منبتها ."(٢)

٥ - وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بم أعرف أنك نبي ؟ قال : ان دعوت هذا العِذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: ارجع فعاد فأسلم الأعرابي ."(٣)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ،باب حديث جابر الطويل ج ٤ ص ٢٣٠٦ - ٢٣٠٧. قوله ، داويا أفيح : أي واسعا ، والبعير المخشوش ، هو الذي يجعل في أنفه عود اذا كان صعبا ليذل وينقاد .

(٢) سنن الدارمي ١٨/١ .

(٣) سنن الترمذي ،كتاب المناقب ،باب في ايات اثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ج ٥ ص ٥٩٤ وقال الترمذي حسن صحيح غريب .

٦ - وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث واني لأعرفه الآن ."(١)

٧ - وعن أسامة بن زيد بن حارثة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حجها ، فلما هبط بطن الروحاء قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أسيم هل ترى خمرا لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فخرجت حتى مشيت حتى حسرت فلم أقطع الناس ولم أر شيئا يواري أحدا فرجعت اليه فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد مشيت حتى حسرت فما رأيت شيئا يواري أحدا ولقد ملأالناس ما بين السدين . قال : هل رأيت شجرا أو أحجارا ؟ قال : قلت قد رأيت نخلات صغار والى جانبهن رخما من حجارة قال : فأت النخلات فقل : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تلتصقن بعضكن ببعض حتى تكن سترة لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقل ذلك للحجارة ، فأتيت النخلات فقلت لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تلتصقن بعضكن ببعض حتى تكن سترة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهن يتقافزن بعروقهن وترابهن حتى لصق بعضهن ببعض فكأنهن نخلة واحدة ، وقلت ذلك للحجارة ، فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهن يتقافزن حجرا حجرا حتى صرن كأنها جدار ، فأتيته عليه السلام فأخبرته فقال : يا أسيم خذ هذه الأداوة ، فأخذتها ثم انطلقنا ، فلما قربنا من ذلك المكان أخذ الأداوة ثم مضى فقضى حاجته ، ثم أتاني يحمل الأداوة فمضينا حتى دخل الخباء ، فقال لي : يا أسيم أئت النخلات فقل لهن يأمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترجع كل نخلة منكن الى مكانها ، وقل ذلك للحجارة ، فأتيت النخلات فقلت لهن ما أمرني ، فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهن يتقافزن كل نخلة الى مكانها ، وقلت ذلك للحجارة ، فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهن يتقافزن حجرا حجرا حتى رجع كل حجر الى مكانه فأتيته فأخبرته صلى الله عليه وسلم ."(٢)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، ج ٤ ص ١٧٨٢.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ،وقوله : خمرا لمخرج رسول الله: أي ما يتوارى به من شجر وغيره عند خروجه لقضاء الحاجة .

٨ - وروى البيهقي عن عباد بن عبدالله قال : سمعت عليا يقول : لقد رأيتني أدخل معه يعني النبي صلى الله عليه وسلم الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمعه ."(١)

٩ - وروى أبو نعيم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : اني لشاهد عند النبي صلى الله عليه وسلم في حلقة وفي يده حصيات فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، يسمع تسبيحهن من في الحلقة ،ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر ، فسبحن مع أبي بكر ، يسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم الى عمر ، فسبحن في يده ، يسمع تسبيحهن من في الحلقة ،ثم دفعهن الى عثمان فسبحن في يده ، ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع أحد منا ."(٢)

ثامنا : نطق الحيوان وشكواه وسجوده لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

من الحوادث التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم نطق الحيوان وشكواه وسجوده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا خلاف المألوف والمعروف من عادة الحيوان وطبعه ، وليس من عادة البشر ولا في مقدورهم التخاطب مع البهائم والتفاهم معها الا ما جرى لأنبياء الله أمثال سليمان ونبينا عليهم الصلاة والسلام ، وفي هذا البينة الواضحة والحجة الدامغة على نبوته صلى الله عليه وسلم .

ومن الأخبار الواردة في ذلك :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ذئب الى راعي الغنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه ، قال ، فصعد الذئب على تل فأقعى واستذمر ، فقال : عمدت الى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٠٩ .

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

مني ؟ فقال الرجل : تالله ان رأيت كاليوم ذئبا يتكلم ، قال الذئب: أعجب من هذا ، رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم ، كان الرجل يهوديا ، فجاء الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وخبره فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم انها أمارة من أمارات بين يدي الساعة فقد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده." (١)

٢ - وعن عبدالله بن جعفر قال : أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسر الى حديثا لا أحدث به أحدا من الناس ، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حائش نخل ، قال : فدخل حائطا لرجل من الأنصار فاذا جمل ، فلما رآى النبي صلى الله عليه وسلم صنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذِفراه فسكت ، فقال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله ، فقال : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الى أنك تجيعه وتدئبه." (٢)

٣ - وروى الأصبهاني في الدلائل عن جابر بن عبدالله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، ثم سرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا كأنما على رؤسنا الطير فاذا جمل نادّ حتى اذا كان بين السماطين خرّ ساجدا ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال على الناس : من صاحب هذا الجمل ؟ فاذا فتية من الأنصار فقالوا: هو لنا يا رسول الله . قال : فما شأنه ؟ قالوا : آسنيناه منذ عشرين سنة فكانت به شحيمة ، فأردنا أن ننحره فنقسمه بين غلماننا فانفلت عنا . قال : بيعونه ؟ قالوا : بل هو لك يا رسول الله . قال : أما لا فأحسنوا اليه حتى يأتيه أجله ." (٣)

---

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٢) سنن أبي داود كتاب الجهاد ،باب ما يؤمر به القيام على الدواب والبهائم ج ٣ ص ٢٣ ، مسند أحمد ٣٠٤/١ ،والذفرى بالكسر : العظم الشاخص خلف الأذن . القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦.

(٣) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

٤ - وروى أبو نعيم أيضا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الأنصار ، وفي الحائط غنم فسجدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال : انه لا ينبغي من أمتي أن يسجد أحد لأحد ولو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ."(١)

٥ - وعن يعلى بن مرة قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما فجاء بعير يرغو حتى سجد له ، فقال المسلمون نحن أحق أن نسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، تدرون ما يقول هذا ؟ يزعم أنه خدم مواليه أربعين سنة حتى اذا كبر نقصوا من علفه وزادوا في عمله حتى اذا كان لهم عرس أخذوا الشفار لينحروه ، فأرسل الى مواليه فقص عليهم قالوا : صدق والله يا رسول الله ، قال : اني أحب أن تدعوه لي فتركوه ."(٢)

تاسعا : تأييد الله رسوله بالملائكة :

من المعجزات التي أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم امداده بالملائكة في حروبه وغزواته وهذا ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

فقد جاء في القرآن الكريم أن الملائكة اشتركت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في قتال المشركين يوم بدر ، قال تعالى: " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ". (٣)

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٢٤ - ٣٢٥.
(٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٢٨.
(٣) سورة الأنفال ، آية ٩ .

وقال تعالى : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ، بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ." (١)

وقد جاء في السنة الصحيحة أخبار كثيرة توكد تأييد الله سبحانه وتعالى لرسوله بالملائكة في غزوة بدر وأحد والأحزاب ، ومن الأخبار في ذلك :

١ - روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب" (٢)

٢ - وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر الى المشرك أمامه فخر مستلقيا ، فنظر اليه فاذا هو قد خُطم أنفُهُ وشُقَّ وجهُهُ كضربة السَوط فاخضَرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ." (٣)

٣ - وروى البخاري عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة ." (٤)

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٢٣ - ١٢٥.
(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدر ج ٥ ص ١٤.
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر ج ٣ ص ١٣٨٤ - ١٣٨٥ . وحَيزوم : اسم فرس الملك ، والخَطم : الأثر على الأنف .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدر ج ٥ ص ١٤.

٤ - وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد ."(١)

٥ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج اليهم ، قال : الى أين ؟ قال: ههنا وأشار الى بني قريظة فخرج النبي اليهم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كأني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة .(٢)"

٦ - وروى الأصبهاني في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت رجل فوثب وثبة شديدة وخرج اليه ، قالت : فاتبعته انظر فاذا معتم مرخ عمامته بين كتفيه ، فلما دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : لقد وثبت وثبة شديدة ، ثم خرجت أنظره فاذا هو دحية الكلبي قال : أو رأيتيه ؟ قلت نعم ، قال : ذاك جبريل عليه السلام أمرني أن آخرج الى بني قريظة ."(٣)

٧ - وعن ابن عباس قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو ، وكان أبو اليسر رجلا مجموعا ، وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا اليسر كيف أسرت العباس ؟ قال : يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، وهيئته كذا كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم ."(٤)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ،باب اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ج ٥ ص ٣٢.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ،باب مرجع النبي من الأحزاب ج ٥ ص ٤٩ - ٥٠.

(٣) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٤٣٧.

(٤) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

٨ - وعن ابن عباس أيضا قال : حدثني رجل من بني غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينهب ، قال : فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم . قال : فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أن أهلك فتماسكت ."(١)

وهكذا فقد أيد الله رسوله الكريم بالملائكة في حروبه وغزواته وجميع أحواله ، وفي هذا دليل قاطع وبرهان ساطع على نبوته صلى الله عليه وسلم .

عاشرا : خوارق متفرقة :

ثم ان هناك طائفة من الخوارق الباهرة جرت على يديه صلى الله عليه وسلم تؤكد نبوته وصدق دعوته منها :

أولا : رؤيته من خلفه في الصلاة :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أقيموا الصفوف فاني أراكم خلف ظهري ."(٢)

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، ثم انصرف فقال : يا فلان ألا تحسن صلاتك ؟ الا ينظر المصلي اذا صلى كيف يصلي ؟ فانما يصلي لنفسه ، اني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي ."(٣)

ثانيا : بركة الضرع عندما مسح رسول الله عليه :

١ - عن حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة خرج منها مهاجرا هو

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص٤٠٦ .
(٢) صحيح البخاري ،كتاب الاذان ، باب تسوية الصفوف عند الاقامة ج ١ ص١٧٦.
(٣) صحيح مسلم ،كتاب الصلاة ،باب الأمر بتحسين الصلاة واتمامها والخشوع فيها ج ١ ص٣١٩.

وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهم الليثي عبدالله بن أريقط ، فمروا على خيمتي أم معبد الخزاعية .... فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال: بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : أفتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت : بأبي أنت وأمي نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها ، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ضرعها بيده وسمى الله عز وجل ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليه ودرت واجترت ، فدعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم صلى الله عليه وسلم ثم أراضوا ، ثم حلب ثانيا بعد بدء حتى ملأالاناء ثم غادره عندها وبايعها." (١)

٢ - وعن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد فرا من المشركين فقالا : يا غلام عندك غنم تسقينا ؟ فقلت : اني موءتمن ولست بساقيكما . قالا : هل عندك من جدعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت : نعم . فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فمسحه ودعا فحفل الضرع وأتى أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع : اقلص فقلص ، فلما كان الغد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني من هذا القول الطيب ، يعني القرآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك غلام معلم ، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد ." (٢)

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٨٢ ، وكسر الخيمة : الشقة السفلى منها أو ما تكسر وتثنى على الأرض منها ، القاموس المحيط ٢/١٣١ ، وتفاجت: فتحت ما بين رجليها ، القاموس المحيط ١/٢٠٩ ، ويربض الرهط : يكفيهم. القاموس المحيط ٢/٣٤٢، ثم أراضوا : شربوا مرة ثانية حتى ارتووا - القاموس المحيط ٢ / ٣٤٥ .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

٣ - وعن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مروا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن ، فقال : ما عندي شاة تحلب ،غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء ، وقد أخرجت وما بقي لها لبن ، فقال : ادع بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، قال : وجاء أبو بكر بمجن ، فحلب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب،فقال الراعي : بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط ؟ قال : أو تراك تكتم على حين أخبرك : قال : نعم . قال : فاني محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت الذي تزعم قريش انه صابئ ؟ قال : انهم ليقولون ذلك. قال : أشهد أنك نبي وأشهد أن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك ، قال : انك لن تستطيع ذلك يومك ، فاذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا." (١)

ثالثا : انقلاب العصى سيفا ، والعود سهما :

١ - عن ابن سحق في تسمية من شهد بدرا قال : وعكاشة بن محصن ، وهو الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب ، وقال : قاتل بها يا عكاشة ، فلما أخذه من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل بها حتى فتح الله تعالى على رسوله ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، يعني في قتال أهل الردة وهو عنده ، وكان ذلك السيف يسمى القوي ." (٢)

٢ - قال الواقدي : كان أبو طلحة يوم أحد قد نثر كنانته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكان راميا ، وكان ميتا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوت أبي طلحة خير من أربعين رجلا ، وكان في كنانته خمسون سهما فنثرها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل يصيح يا رسول الله نفسي دون نفسك ، فلم يزل يرمي بها سهما

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٦٩.

سهما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع رأسه خلف أبي طلحة ، بين رأسه ومنكبيه ينظر الى مواقع النبل ،حتى فنيت نبله ، وهو يقول : نحري دون نحرك جعلني الله فداك ، فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ العود من الأرض فيقول : ارم يا أبا طلحة فيرمي به سهما جيدا ."(١)

رابعا : حمايته من الأعداء :

١ - عن ابن شهاب الزهري - وهذا لفظ حديث اسماعيل - قال : ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، ثم ان مشركي قريش اجتمعوا يقتلوه أو يخرجوه حين ظنوا أنه خارج وعلموا أن الله عز وجل قد جعل له مأوى ومنعة ولأصحابه ، وبلغهم اسلام من أسلم ورأوا من يخرج اليهم من المهاجرين فأجمعوا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يثبتوه فقال الله عز وجل : " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَو يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ."(٢) وبلغه صلى الله عليه وسلم في ذلك الذي أتى فيه أبا بكر أنهم مبيتوه اذا أمسى على فراشه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في جوف الليل قِبَل الغار ، غار ثور وهو الغار الذي ذكر الله عز وجل في الكتاب ، وعمد علي بن أبي طالب فرقد على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يوارى عنه ، وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يجثم على صاحب الفراش فيوثقه فكان ذلك أمرهم حتى أصبحوا ، فاذا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فسألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أنه لا علم له به ، فعلموا عند ذلك أنه قد خرج فارا منهم فركبوا في كل وجه يطلبونه ."(٣)

٢ - وعن عكرمة قال : قال شيبة بن عثمان لما غزا النبي صلى الله

---

(١) المعجزات المحمدية ص ٦٣ - ٦٤ نقلا عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧.
(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٠ .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٢.

عليه وسلم حنينا تذكرت أبي وعمي قتلهما علي وحمزة فقلت اليوم أدرك ثأري في محمد فجئت من خلفه فدنوت منه ، ودنوت حتى لم يبق الا أن اسورة بالسيف ، اذ رفع لي شواظ من نار كأنه البرق فخفت أن يخمشني فنكصت القهقري ، فالتفت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا شيبة ، قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت اليه بصري وهو أحب اليَّ من سمعي ومن بصري ومن كذا ."(١)

٣ - وعن سعيد بن جبير قال : لما نزلت " تبت يدا أبي لهب وتب " جاءت امرأة أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فقال أبو بكر : يا رسول الله لو تنحيت عنها لا تسمعك شيئا يوءذي فانها امرأة بذيئة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحال بيني وبينها ، فلم تره ، فقالت لأبي بكر : هجانا صاحبك ، فقال أبو بكر : والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله ، قال : قالت انك لمصدق ، فاندفعت راجعة ،فقال أبو بكر ، ما رأتك يا رسول الله . قال : كان بيني وبينها ملك يسترني حتى ذهبت ."(٢)

٤ - وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ، فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم ينظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما."(٣)

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٥٠.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢١٣.

الفصل الثالث

اخباره بالمغيبات

من الدلائل الواضحة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم اخباره بالعديد من الأمور الغيبية التي أثبتت الأيام والوقائع مصداقيتها، حيث وقعت بدقة على الوجه الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهو الرسول المبعوث من رب العالمين، الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى.

ان علم الغيب أمر اختص به الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن لأحد من الخلق معرفة شيء من علم الغيب، ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، الا باذن الله عز وجل، يقول تعالى: " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ." (١)

ولكن جرت سنة الله في عباده المرسلين أن يطلعهم على بعض ما عنده سبحانه وتعالى من أخبار الغيب تأييدا لهم وتمكينا لدعواتهم وتثبيتا لأتباعهم واقامة للحجة على أقوامهم ودحضا لمفتريات أعدائهم، يقول تعالى: " عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا." (٢)

وقد أوحى الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بكثير من أخبار الغيب، كما أوحى من قبل بمثل ذلك لسائر الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد نقل الينا كثير من الأخبار المغيبة التي حدث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الأئمة الثقات، وشهد بها الرسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام الذين رووها لمن بعدهم من التابعين فتناقلتها الأمة جيلا عن جيل الى يومنا هذا.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الأنعام، آية ٥٩.

(٢) سورة الجن، الايتان ٢٦ - ٢٧.

خطبة ما ترك فيها شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، عَلِمَهُ من عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ ، ان كنت لأرى الشيء قد نُسيتُ فأعرفُ ما يعرفُ الرَّجُلُ اذا غاب عنه فرآه فَعَرَفَهُ ."(١)

وعن أبي زيد ـ عمرو بن أخطب ـ قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا ."(٢)

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، فأخبرنا بما يكون في أمته الى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه ."(٣)

دلت هذه الأحاديث على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير من أخبار الغيب ، وكان صلى الله عليه وسلم يخبر بها أصحابه ، وقد تحقق كثيرا منها في زمانه ، وبعد وفاته ، ولا تزال الأيام تكشف عن صدق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي أخبر به ، مما يؤكد صدق نبوته وصدق ما جاء به عن ربه عز وجل ، ولو لم يكن يوحى اليه من علام الغيوب لخالف خبره الوقائع ولو مرة واحدة ، ولكن هذا لم يحدث قط لأنه لا يقول من عند نفسه بل يخبر عن الحق سبحانه وتعالى.

ومن الأخبار التي ثبت الاخبار بها :

<u>أولا</u> : <u>اخباره بأمور غيبية حدثت في زمانه</u> ، من ذلك :

١ - عن أبي سفيان عن جابر قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب ، فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعثت هذه

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب القدر ،باب وكان أمر الله قدرا مقدورا ،ج ٧ ص ٢١١.
(٢) صحيح مسلم ،كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اخبار النبي فيما يكون الى قيام الساعة . ج ٤ ص ٢٢١٧.
(٣) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٥٤.

هذه الريح لموت منافق ، فلما قدم المدينة فاذا عظيم من المنافقين قد مات ."(١)

٢ - عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد ؟ يا رسول الله ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب آكبادها الى بَرْكِ الغَماد لفعلنا ، قال : فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ، ووردت عليهم روايا قريش ، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ؟ فيقول: مالي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل وعتبه وشيبة وأمية بن خلف فاذا قال ذلك ضربوه ، فقال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فاذا تركوه فسألوه فقال : ما لي بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبه وشيبة وأمية بن خلف في الناس ، فاذا قال هذا أيضا ضربوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فلما رآى ذلك انصرف ، قال : والذي نفسي بيده لتضربوه اذا صدقكم وتتركوه اذا كذبكم ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان ، قال : ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال : فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

٣ - عن سليمان بن صرد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين أُجلى الأحزابُ عنه : الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير"(٣)، فكان الأمر

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ج ٤ ص ٢١٤٦ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر ج ٣ ص ١٤٠٣ - ١٤٠٤ لأخضناها : أي لو أمرتنا بادخال خيولنا البحر لفعلنا ، برك الغماد: موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل ، وروايا قريش : ابلها انصرف : سلم من صلاته ، فما ماط : أي تباعد .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ج ٥ ص ٤٨ .

كذلك بعد الأحزاب .

٤ - عن أبي سعيد الخدري قال : خرجنا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمنا عسفان فأقام بها ليالي فقال الناس : والله ما نحن ههنا في شيء وان عيالنا لخُلوف ما نأمن عليهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا الذي بلغني من حديثكم ، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب الا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا اليها ،ثم قال للناس : ارتحلوا ، فارتحلنا فأقبلنا الى المدينة فوالذي يحلف به ما وضعنا رحالنا حين دخلنا المدينة حتى أغار علينا بنو عبدالله بن غطفان وما يهيجهم قبل ذلك شيء ."(١)

٥ - وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ان الأرض لم تقبله ، وقال أنس : فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذا ، فقال أبو طلحة : ما شأن هذا الرجل ؟ قالوا دفناه مرارا فلم تقبله الأرض ."(٢)

٦ - عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر يوصي الحافر : " أوسع من قبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه ، فلما رجع استقبله راعي امرأة فجاء وجيء بالطعام فوضع يده ، ثم وضع القوم فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوك لقمة في فمه ، ثم قال : أجد لحم شاة أخذت بغير اذن أهلها " فارسلت المرأة قالت : يا رسول الله ، اني أرسلت الى البقيع يشترى لي شاة ، فلم أجد ، فأرسلت الى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل الي بها بثمنها فلم يوجد ، فأرسلت الى امرأته فأرسلت الي بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطعميه الأسارى " .(٣)

---

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ،باب الترغيب في سكن المدينة ج ٢ ص ١٠٠١، وقوله : لخلوف : أي ليس عندهم رجال ولا من يحميهم ، الشعب : الفرجة النافذة بين جبلين ، انقاب المدينة : طرقها وفجاجها ، يهيجهم :يحركهم

(٢) مسند أحمد ١٢١/٣.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب البيوع ،باب في اجتناب الشبهات ج ٣ ص ٢٤٤.

٧ - عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ".(١)

فأعطاها علي بن أبي طالب ، وكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ، اذ فتح الله على يديه وانتصر المسلمون وفتحت خيبر .

٨ - وروى السدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ، فأتاه الحطم بن هند البكري وحده ، وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الى ما تدعو ؟ فاخبره فقال : انظرني فلي من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر ، فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق.(٢)

٩ - وروى ابن اسحق أن أبا خيثمة رجع - بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما - الى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف ، ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لي زادا ففعلتا ، ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك ...... حتى اذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ،باب غزوة خيبر ج ٥ ص ٠٧٦

(٢) اعلام النبوة للماوردي ص ١٠٢-١٠٣ والعتب : الفساد ،القاموس المحيط/١

الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك أبا خيثمة ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ."(١)

ثانيا : اخباره صلى الله عليه وسلم بأمور غيبية في نفس الوقت الذي حدثت فيه .

أخبر الرسول الكريم ببعض الغيوب التي وقعت في نفس الوقت الذي حدثت فيه رغم بعده عن مكان الحادث ، وهذا لايمكن أن يصدر الا عن نبي يوحى اليه ، ومن هذه الأخبار :

١ - اخباره بموت النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج بهم الى المصلى وكبر أربع تكبيرات ".(٢)

٢ - أخباره باستشهاد امراء الجيش في معركة موءته :

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبدالله بن رواحه فأصيب ، وان عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير امرة ففتح له ."(٣)

٣ - اخباره بمقتل كسرى في اليوم الذي قتل فيه .

يقول الماوردي : ومن اعلامه انه كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى

---

(١) سيرة ابن هشام ١٢١/٤ ، والضح : الشمس ، الناضح : الجمل الذي يسقى عليه الماء ، ارتحله : وضع الرحل عليه ، الحائط : البستان ، أولى لك : كلمة تهديد بمعنى الويل لك .

(٢) صحيح البخاري ، كتوب الجنائز ، باب الرجل ينعى الى أهل الميت بنفسه ج ٢ ص ٧١ ، صحيح مسلم كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة ج ٢ ص ٦٥٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الرجل ينعى الى أهل الميت بنفسه ج ٢ ص ٧٢ .

الاسلام وبدأ باسمه قبل اسمه ، فلما قرأه أنف لنفسه من ابتدائه باسمه فمزق كتابه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تمزق ملكه ، ثم كتب كسرى في الوقت الى عامله باليمن باذان ويكنى أبا مهران أن احمل اليّ هذا الذي يذكر أنه نبي وبدأ باسمه قبل اسمي ودعاني الى غير ديني ، فبعث اليه فيروز بن الديلمي مع جماعة من أصحابه وكتب معهم كتابا يذكر فيه ما كتب به كسرى فأتاه فيروز بمن معه وقال له : ان ربي - يعني كسرى - أمرني أن أحملك اليه فاستنظره ليلة ، فلما كان من الغد حضر فيروز ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة ، سلط عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل ، فأمسك ريثما يأتيك الخبر ، فراع ذلك فيروز وهاله ، وعاد فيروز الى باذان فأخبره ، فقال له باذان ، كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه ؟ فقال : والله ما هبت أحدا قط كهيبة هذا الرجل ، فقال باذان: ان كان ما قاله حقا ، فهو نبي ، فلم يرعه الا ورود الخبر عليه بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة ، فأسلم باذان وفيروز ومن معهم من الأبناء ".(١)

ثالثا : كشفه للأسرار وخفايا النفوس :

وقد حصل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات عدة حيث كان يخبر بعض الأفراد عما يختلج في صدورهم من خفايا ومكنونات لا يعلم بها الا الله ، كما كان يخبر بما يدور بين بعض الأفراد من أحاديث وأسرار ، كل هذا يؤكد ويقطع بنبوته صلى الله عليه وسلم .

ومن الأخبار في ذلك :

١ - ما رواه أبو نعيم الأصبهاني عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في اساري أصحاب بدر ، قال : فذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما في العيش خير

---

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ٩٦ - ٩٧ .

بعدهم ، فقال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاء له ، وعيال أخش عليهم الضيعة بعدي ، لركبت الى محمد حتى أقتله ، فان لي قبلهم عذرا ان ابني أسير في أيديهم ، فاغتنمها صفوان بن أمية وقال : على دينك ، أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أمونهم ما بقوا ، لا يسعني شيء فاعجز عنهم ، قال عمير : اكتم علي شأني ، قال : أفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عز وجل به وما أراهم من عدوهم اذ نظر الى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا بشر وهو الذي حرش بيننا وحذرنا يوم بدر ، ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه ، قال: فأدخله . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه به ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا هذا الخبيث فانه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ، فدنا ثم قال : انعموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله عز وجل بتحية الاسلام خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد ان كنت لحديث عهد بها ، فقال : فما ذاك يا عمير ، قال : جئتك لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ، قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت الا لذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا ، فتحمل لك صفوان بدينك

وعيالك على أن تقتلني ، والله حائل بيني وبين ذلك ، قال عمير : أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، قد كنا نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان ، فوالله اني لأعلم أنه ما أتاك به الا الله ، فالحمدلله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم تشهد بشهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه و اقروءوهالقرآن واطلقوا له أسيره قال : ففعلوا."(١)

٢ - عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن جحدم ، قال : فأبى وقال : اني قد كنت مسلما قبل ذلك وانما استكرهوني ، قال : الله أعلم بشأنك ان يك ما تدعيه حقا فالله يجزيك بذلك ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية ذهب ، فقال يا رسول الله واحسبها لي من فداي ، قال : لا ذاك شيء أعطاناه الله منك ، قال : فانه ليس لي مال ، قال : فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت عند أم الفضل ، وليس معكما أحد غيركما فقلت ان أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبدالله كذا ، قال ، فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها واني لأعلم أنك رسول الله ."(٢)

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة قال : فخليت عنه فأصبحت ، فقال

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٤١٣ - ٤١٥ .
(٢) مسند أحمد ٣٥٣/١ .

النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ، قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال :أما انه قد كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيعود ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال دعني فاني محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات انك تزعم لا تعود ثم تعود ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟ قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي:"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك شيطان ."(١)

٥ - ومن ذلك أيضا ما رواه البيهقي عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة ، فاما أن تكون هجر ، واما أن تكون يثرب ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكيا ، فناموا فخرجت فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريدا ليردوني فقلت لهم هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوثقون الى الله ففعلوا فسقتهم الى مكة فقلت : احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الأواقي واذهبوا الى فلانة فخذوا

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الوكالة ،باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل ج ٣ ص ٦٣ - ٦٤.

الحليتين وخرجت حتى قدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال : يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا ، فقلت : يا رسول الله ما سبقني اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام."(١)

٦ - ومن ذلك ما روى ابن هشام قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث وكان بذات جيش ، دفع جويرية الى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث ابن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر الى الابل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك الا الله ، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ."(٢)

٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار أنا ، فانطلق به الى امرأته ، فقال : أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ما عندنا الا قوت صبياني ، فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل الله: "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم وَلَو

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦ - ١٨٧.

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ."(١)

رابعا : اخباره بسوء خاتمة بعض الأفراد وأنهم من أهل النار وتحقق ذلك .

أخبر صلى الله عليه وسلم بسوء خاتمة بعض الأفراد الذين تخالف ظواهرهم بواطنهم ، فهم فيما يبدو للناس مسلمون يعملون من أجل نصرة الاسلام ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، تماما وهذا مما أطلع الله سبحانه وتعالى رسوله عليه فأخبر بسوء عاقبتهم وأنهم من اهل النار رغم الأعمال العظيمة التي عملوها ، ومن الأخبار الواردة في ذلك :

١ - عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه ، فقيل ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار ، فقال رجل من القوم أنا صاحبه ، قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه ، قال فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذُبابَهُ بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال: وما ذاك ، قال : الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك أن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ."(٢)

---

(١) صحيح البخاري ،مناقب الأنصار ، باب ويوءثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ج ٤ ص٢٢٦.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ج ٥ ص ٧٤.

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعي بالاسلام : هذا من أهل النار ،فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل : يا رسول الله : الرجل الذي قلت له آنفا انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الى النار، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك اذ قيل : انه لم يمت ، ولكن به جراحا شديدا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : الله أكبر أشهد أني عبدالله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى في الناس : انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ، وان الله يوءيد هذا الدين بالرجل الفاجر."(١)

٣ - عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ، فلم نغنم ذهبا ولا فضة الا الأموال والثياب والمتاع فأهدى رجل يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما يقال له مِدعَم ، فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادي القرى حتى اذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سهم عائر فقتله ، فقال الناس هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا."(٢)

٤ - عن زيد بن خالد أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي يوم خيبر ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صلوا على صاحبكم ، فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال : ان صاحبكم غل في سبيل الله، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين ."(٣)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الايمان ،باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه ج ١ ص١٠٥.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الايمان والنذور ،باب هل يدخل في الايمان والنذور الارض والغنم ج ٧ ص ٢٣٥، صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب غلظ تحريم الغلول وانه لا يدخل الجنة الا الموءمنون ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ،باب في تعظيم الغلول ج ٣ ص ٦٨ ،موطأ مالك ، كتاب الجهاد ،باب ما جاء في الغلول ج ٢ ص ٤٥٨.

٥ - عن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم من جلسائه : ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد ، قال أبو هريرة : فذهب القوم وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة.(١) والرجل هو الرحال بن عفوة اسلم فلما ادعى مسيلمة النبوءة ارتد وشهد له بذلك .

٦ - روى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل لا يدري ممن هو ، يقال له قزمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر له انه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فاثبتته الجراحة ، فاحتمل الى دار بني ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر ، قال : بماذا أبشر ، فوالله ان قاتلت الا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه.(٢)

خامسا : اخباره بحسن خاتمة بعض الأفراد وأنهم من أهل الجنة .

١ - اخباره صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر وعمر وعثمان من أهل الجنة ، وان عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين سيكرمهم الله بالشهادة في سبيله .

عن أنس رضي الله عنه قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم الى أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله قال : اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ."(٣)

وعن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا هو

---

(١) الشفا للقاضي عياض ج ١ ص ٦٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٣٤.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب عمر ج ٤ ص ١٩٧.

أبو بكر فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، ثم استفتح رجل فقال لي افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فاذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال : الله المستعان ."(١)

٢ - اخباره باستشهاد أم حرام .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت ام حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته وجعلت تَفْلي رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت : فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة شك اسحق قالت : فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك ، فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ، قال : ناس من امتي عرضوا على غزاة في سبيل الله ، كما قال في الأول ، قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : أنت من الأولين ، فركبت البحر زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت ."(٢)

وهكذا فقد نالت الشهادة بعد أن ركبت البحر ، وتحقق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب عمر ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان ج ٤ ص ١٨٦٧.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الجهاد والسير ،باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ج ٤ ص ٢٠١ ،صحيح مسلم ،كتاب الأمارة ،باب فضل الغزو في البحر ج ٣ ص ١٥١٨.

٣ - اخباره أن ثابت بن قيس من أهل الجنة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله : أنا أعْلَمُ لكَ عِلْمَهُ ، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه ، فقال ما شأنك ؟ فقال : شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من أهل النار ، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى بن أنس فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة ." (١)

وقد تحقق ذلك بأن استشهد في قتال المرتدين في معركة اليمامة.

٤ - اخباره استشهاد عامر بن الأكوع .

عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فتسيرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع : ألا تُسمعنا من هُنَيَّاتِكَ ؟ وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم .... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السائق ؟ قالوا : عامر. قال : يرحمه الله ، فقال رجل من القوم وَجَبَت يا رسول الله ، لولا أمتعتنا به ، قال فأتينا خيبر فحاصرناهم .... قال : فلما تَصَافَّ القوم كان سيف عامر فيه قصر فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فأصاب ركبة عامر فمات منه ، قال : فلما قفلوا قال سلمة وهو آخذ بيدي ، قال : فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا قال : مالك ؟ قلت له : فداك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله ، قال : من قاله ؟ قلت : : فلان وفلان واسيد بن خضير الأنصاري فقال : كذب من قاله ، ان له لأجران ، وجمع بين اصبعيه ، وانه لجاهد مجاهد ، قل عربي مش بها مثله ".(٢)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ج٤ص ١٨٠.
(٢) صحيح مسلم ،كتاب الجهاد واسير ،باب غزوة خيبر ج ٣ ص ١٤٢٧،قوله فتسيرنا : أي سرنا ،هنياتك : أراجيزك ،وجبت يا رسول الله لولا متعتنا به : أي ثبتت له الشهادة وستقع قريبا ،وكان هذا معلوما عندهم أن من دعا له النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد فقالوا هلا امتعتنا به : أي وددنا أنك لو أخرت الدعاء له لنتمتع بصحبته ،ان له لاجران : هكذا في معظم النسخ فهو صحيح ،لجاهد مجاهد: جاد في طاعة الله ، مجاهد في سبيله .

٥ - اخبارة باستشهاد علي رضي الله عنه :

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها رأينا ناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل ، فقال لي علي : يا أبا اليقظان هل لك أن نأتي هوءلاء فننظر كيف يعملون ؟ فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فنمنا ، فوالله ما أهبنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ، قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ، يعني قرنه حتى تبل منه هذه يعني لحيته ." (١)

٦ - اخباره باستشهاد أم ورقه بنت عبدالله بن عويم الأنصاري .

روى البيهقي في السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها ويسميها الشهيدة ، وكانت حين غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قالت له ائذن لي أن أخرج معكم ، أداوي جرحاكم لعل الله يهدي الى الشهادة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله يهديك الشهادةوقري في بيتك فانك شهيدة ." (٢)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أن توءم أهل دارها ، وكان لها موءذن فكانت توءم أهل دارها حتى غمها غلام لها وجارية وقد كانت دبرتها فقتلاها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبلغ ذلك عمر فقام في الناس فقال : ان أم ورقة غمها غلامها وجاريتها فقتلاها وانهما هربا وأمر يطلبهما فأدركا فأتى بهما فصلبا فكانا أول مصلوبين في المدينة وقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان

---

(١) مسند أحمد ٢٦٣/٤.والدقعاء من الأرض : التي لا نبات فيها ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢.

(٢) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٣.

يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة ".(١)

سادسا : اخباره بظهور الاسلام وعزة المسلمين واقبال الدنيا عليهم.

وردت طائفة من الأخبار الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم تتضمن البشارة بظهور الاسلام وقوة شوكته في الأرض، وتدل على أن الأمة الاسلامية ستكون عزيزة مهيمنة قاهرة لأعدائها وتفيد أن أبواب المتع الدنيوية ستفتح عليهم ، وقد تحقق كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في آخر حياته ، وبعد وفاته في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

ومن الأخبار الواردة في ذلك :

١ - عن خباب بن الأرت قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ."(٢)

وما هي الا سنوات قليلة حتى دانت جزيرة العرب بكاملها بالاسلام، وانتشر فيها الأمن وحل فيها السلام والأمان ، واختفت الغارات وذهب السلب والنهب ، وصدق الرسول الكريم ، وتحقق قوله : " لا يخاف الا الله والذئب على غنمه " .

٢ - عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض."(٣)

---

(١) المعجزات المحمدية ص١١٧ - ١١٨ .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ج ٤ ص١٨٠.

(٣) صحيح مسلم ،كتاب الفتن ،باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض ج ٤ ص٢٢١٥.

المراد بالكنزين الأحمر والأبيض : الذهب والفضة ، وهما اشارة الى كنزي كسرى وقيصر ، وملك العراق والشام ، وقد ملك المسلمون كنوزهما ، وفتحوا العراق والشام في عهد أبي بكر وعمر ، وفي الحديث بشارة أخرى لم تقع بعد وهي ملك أمة محمد صلى الله عليه وسلم لمشارق الأرض ومغاربها ، وهي لا بد حاصلة ان شاء الله يوم يعود المسلمون لربهم ويعملون بدينهم.

٣ - عن جابر رضي الله عنه قال : لما تزوجت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتَّخَذْتَ أَنمَاطَاً ؟ قلت : وأَنَّى لنا أنماط ؟ قال : أما انها ستكون . قال جابر : وعند امرأتي نمط ، فأنا أقول نحيه عني ، وتقول : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون ." (١)

٤ - عن عبدالله بن حوالة قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فشكونا اليه الفقر والعري وقلة الشيء فقال : أبشروا ، فوالله لأنا بكثرة الشيء أخوف عليكم من قلته ، ووالله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح لكم فارس والروم وأرض حمير حتى تكونوا أجنادا ثلاثة : جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن ، حتى يعطى الرجل المائة دينار فيتسخطها فقال ابن حواله : فقلت يا رسول الله ومن يستطيع الشام وبها الروم ذات القرون ؟ فقال والله ليستخلفنكم الله فيها حتى تكون العصابة منهم ، البيض قمصهم ، المحلقة أقفاءهم ، قياما على الرجل الأسود منكم المحلوق ما يأمرهم فعلوا ، وان بها اليوم رجالا لأنتم أحقر في أعينهم من القردان في أعجاز الأبل ، فقال ابن حوالة : فاختر لي يا رسول الله ، قال : أختر لك الشام فانها صفوة الله من بلاده اليها يجتبي صفوته من عباده ." (٢)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب اللباس والزينة ، باب جواز اتخاذ الأنماط ج ٣ص ١٦٥٠ والأنماط : بفتح الهمزة جمع نمط بفتح النون والميم وهو ظهارة الفراش وقيل ظهر الفراش ، ويطلق أيضا على بساط لطيف له خمل يجعل على الهودج وقد يجعل سترا . شرح النووي على صحيح مسلم ج ٤ ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٤٧٨.

٥ - وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجوع في وجوه أصحابه فقال : أبشروا فانه سيأتي عليكم زمان يغدى على أحدكم بالقصعة من الثريد ويراح عليه بمثلها ، قالوا : يا رسول الله نحن يومئذ خير ؟ قال : بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ ."(١)

وقد تحقق هذا بعد أن فتح الله على المسلمين ودانت لهم الأمم.

٦ - وعن عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنتم اليوم خير أم اذا غدت على أحدكم صحفة وراحت أخرى وغدا في حلة وراح في أخرى ، وتكسون بيوتكم كما تكسى الكعبة ، فقال رجل : نحن يومئذ خير قال : بل أنتم اليوم خير ".(٢)

وهذا اشارة الى تعدد وكثرة أنواع الطعام والشراب ، وكثرة الألبسة عند الرجل الواحد وفيه اشارة الى ما انتشر في عصرنا الحاضر من كساء للجدران ووضع الستائر عليها وصدق الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .

٧ - عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل . فقال يا عدي : هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها ، قال : فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله ، قلت فيما بيني وبين نفسي دُعَّارُ طيء الذين سعروا البلاد ؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه .... قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى

---

(١) اتحاف الجماعة ٢٨٥/١ ، رواه البزار باسناد جيد .
(٢) اتحاف الجماعة ٢٨٥/١ ، رواه الطبراني .

تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : يخرج ملء كفه ."(١)

وهكذا يجزم عدي بن حاتم رضي الله عنه بتحقق الخبر الأول والثاني مما أخبر به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وأما ما أخبر به من اخراج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحدا ،يجزم شيخ الاسلام ابن تيمية والامام البيهقي بتحقق هذا أيضا في عهد الخليفة عمر ابن عبدالعزيز .

يقول ابن تيمية رحمه الله : " وهذا الذي أخبر به من اخراج الرجل ملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبدالعزيز ."(٢)

وروى البيهقي عن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب أنه قال : انما ولي عمر بن عبدالعزيز ثلاثين شهرا ، آلا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه منه فلا يجده قد أغنى عمر الناس"(٣)

سابعا : اخباره بفتح الأمصار وزوال ملك كسرى وقيصر .

أخبر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بفتح العديد من الأمصار قبل أن تفتح ، كما أخبر بزوال ملك كسرى وقيصر ووراثة المسلمين لأرضهم وأموالهم ، ودخول كثير من الفرس في الاسلام ، وقد وقع جميع ما أخبر به على الوجه الذي أخبر .

ومن الأخبار الواردة في هذا :

١ - عن نافع بن عقبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ج ٤ ص ١٧٦.
(٢) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٣٤.
(٣) سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٦٢.

الدجال فيفتحه الله ."(١)

٢ - عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين كنز آل كسرى الذي في الأبيض ."(٢)

وقد فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٣ - عن عبدالله بن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليفتحن لكم الشام والروم وفارس حتى يكون لأحدكم من الأبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا ، ومن الغنم ، حتى يعطى أحدكم مائة دينار فيسخطها ثم وضع يده على رأسي أو هامتي فقال ابن حوالة اذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب الى الناس من يدي هذه من رأسك ."(٣)

٤ - عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله ."( )

٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ " وَآخَرِينَ مِنْهُم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِم " قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه ، قال : وسلمان الفارسي فينا ، قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال : والذي نفسي بيده لو كان الأيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء "( ) قال الترمذي حديث حسن .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ج ٤ ص ٢٢٣٧ وقوله الذي في الأبيض : أي الذي في قصره الأبيض .

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٨٨

(٣) صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ج ٧ ص ٢١٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ،باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه ج ٤ ص ٢٢٣٧.

(٥) سنن الترمذي ،كتاب المناقب ،باب فضل العجم ج ٥ ص ٧٢٥.

وقد تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم بأن فتح الله على أيدي المسلمين فارس وانتشرت في ربوعها دعوة الحق ودخل الكثير من أبنائها في الاسلام وكان منهم العلماء الأجلاء .

يقول الامام ابن تيمية : " وكان كما أخبر فانه حصل في التابعين وتابعيهم وهلم جرا من أبناء فارس مثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر وأضعاف هؤلاء ممن نالوا ذلك ."(١)

٦ - عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستفتح أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه ."(٢)

وقد فتح الله على المسلمين جزيرة العرب والشام والعراق وغيرها من الأمصار ، وفاض المال واستغنى الناس .

٧ - عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .(٣)

٨ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا ، فاذا رأيت رجلين يختصمان بها في موضع لبنة فاخرج منها ." قال : فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنه وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت

---

(١) الجواب الصحيح ج ١ ص ١٤١

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الامارة ،باب فضل الرمي والحث عليه ج ٣ ص ١٥٢٢ ، وقوله :"فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه " المراد به التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب فضائل المدينة ،باب من رغب عن المدينة ج ٢ ص ٢٢٢ ،وقوله : يبسون : أي يسوقون دوابهم الى المدينة سوقا لينا .

منهـا ."(١)

وقد تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله رسوله ، ففتح المسلمون الشام والعراق ومصر وفارس ودانت شعوبها بالاسلام وأنفقت كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله .

ثامنا : اخباره بفساد أحوال المسلمين من بعده :

أخبر الرسول الكريم بما سيكون عليه حال المسلمين من الفساد والانحراف والاعراض عن أحكام الله عز وجل واتباع الهوى وحب الدنيا وتكالبهم عليها ، وتقليد اليهود والنصارى في عاداتهم وأساليب حياتهم مما يستوجب غضب الله تعالى عليهم بأن ينزع من قلوب أعدائهم المهابة منهم ويسلطهم عليهم .

ونظرة سريعة الى واقع المسلمين في العصر الحاضر يتبين لنا مدى مصداقية اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومطابقتها لواقعهم ، لقد استشرى الفساد في جسم الأمة الاسلامية في شتى مجالات الحياة واستبيح كثير من المحرمات ، وانقلبت الموازين والقيم ، وأقبلوا على الدنيا بقلوبهم وعقولهم يتنافسونها ، وسلط عليهم شرارهم وتداعت عليهم أمم الشرق والغرب وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أخبر به ، انه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

ومن هذه الأخبار :

١ - عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزِعَنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ."(٢)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ،باب وصية النبي بأهل مصر ج ٤ ص ١٩٧٠ ، والقيراط : جزء من أجزاء الدينار والدرهم ،والذمة : الحرمة والحق ، ورحما : الرحم لكون هاجر أم اسماعيل منهم ، وصهرا : الصهر لكون مارية أم ابراهيم منهم .

(٢) سنن أبي داود ،كتاب الملاحم ،باب في تداعي الأمم على الاسلام ج ٤ ص ١١١ .

ما أصدق هذا الخبر على واقعنا المعاصر ، حيث تكالبت قوى الشرق والغرب على الأمة الاسلامية رغم الكثرة الكاثرة ، فالمسلمون اليوم يعدون بمئات الملايين ولكنهم غثاء لا وزن لهم ولا اعتبار وذلك لاعراضهم عن الله وحبهم للدنيا وتكالبهم عليها وقعودهم عن الجهاد في سبيل الله .

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ."(١)

وتقليد الأمة الاسلامية لغيرها من الأمم بلاء عم في زمننا هذا ، فالمسلمون اليوم تغلغل في نفوسهم التقليد الأعمى لأعدائهم ، حتى ولو كان على حساب دينهم وعقيدتهم ، وان كل ما يصدر عن هؤلاء الأعداء يقف من يتسمون بالمسلمين اليوم حياله مبهورين مشدوهين لضعف الأيمان في النفوس واصابتها بداء حب التقليد الناجم عن الشعور بالنقص ، وبهذا يظهر لنا مدى صدق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطباقه على الواقع الحالي .

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ."(٢)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء ،باب ما ذكر عن بني اسرائيل ج ٤ ص ١٤٤.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب اللباس والزينة ،باب النساء الكاسيات العاريات ج ٣ ص ١٦٨٠ ،وقوله " كاسيات عاريات " أي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه اظهارا لجمالها ، وقيل : تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها ، مائلات :يمشين متبخترات أو يمشين المشية المائلة وهي مشية البغايا ،مميلات : يعلمن غيرهن الميل أو مميلات لأكتافهن ، كأسنمة البخت : البخت : هي الأبل الخراسانية ، والمعنى رؤسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة .

وقد رأينا هذين الصنفين بأعيننا في الوقت الحاضر ، فقد سمعنا الكثير من ظلم الحكام الذين يأمرون أتباعهم فيلهبون ظهور الناس بسياطهم ظلما وعدوانا ، ورأينا الكاسيات العاريات اللاتي ينتسبن للاسلام بالاسم .

٤ - عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنين أو ثلاثة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن ."(١)

وهكذا وبعد القرون الثلاثة المفضلة ، ظهرت الخيانة وارتفعت الأمانة ، وأقدم الناس على شهادة الزور وظهر عدم الوفاء بالنذر ، وظهرت السمنة لانفتاح الدنيا على الناس وكثرة وتعدد أنواع الأطعمة والأشربة .

٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : سيأتي على الناس سنون يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن وينطق فيها الرويبضة . قال: قيل يا رسول الله وما الرويبضة ؟ قال : السفيه يتكلم في أمر العامة".(٢)

٦ - عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا يدركني زمان ولا تدركوا زمانا لا يتبع فيه العليم ولا يستحى فيه من الحليم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب ."(٣)

٧ - عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الشهادات ،باب لا يشهد على شهادة جور اذا أشهد ج ٣ ص ١٥١ .

(٢) المستدرك ،كتاب الفتن والملاحم ،ج ٤ ص ٥١٢ ، قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٠ .

وسلم قال : لينقضنّ عرا الاسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها أولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة ."(١)

وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، فالحكم في زماننا بغير ما أنزل الله ، واستبدلت بكتاب الله الدساتير والقوانين الوضعية .

٨ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان أول ما يكفأ قال زيد يعني الاسلام كما يكفأ الاناء يعني الخمر ، فقيل : كيف يا رسول الله وقد بين الله فيها ما بين ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يسمونها بغير اسمها فيستحلونها."(٢)

صدقت يا رسول الله ، فقد سموها بالمشروبات الروحية وشربوها واستحلوا ما حرم الله تعالى .

٩ - عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ."(٣)

١٠ - عن ابي عامر الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليكوننّ من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف."(٤)

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٥١ .
(٢) سنن الدارمي ، كتاب الأشربة ، باب ما قيل في المسكر ج ٢ ص ٣٩.
(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الأشربة ، باب الخمر يسمونها بغير اسمها ج ٢ ص ١١٢٣.
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ج ٦ ص ٢٤٣.
وهذا الحديث من تعليقات البخاري وقد وصله الطبراني والبيهقي وابن عساكر وغيرهم . انظر فتح الباري ج ١٠ ص ٥٣ .
والحر : الفرج والمعنى يتسحلون الزنا ، المعازف : آلات اللهو .

وقد ظهر جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث ، فقد استباح بعض من يتسمون بالاسلام الخمور والزنا والمعازف وكثيرا مما حرم الله جريا وراء شهواتهم ونزواتهم .

١١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ليأتِيَنَّ على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم حرام."(١)

١٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يأتي على الناس زمان يأكلون الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره."(٢)

وقد ظهر ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في الحديثين السابقين، فقد أكب الناس على تحصيل المال بشتى الطرق لا يبالون هل هي طريق حرام أم حلال ، والربا فقد عم أمره وانتشر بلاوءه فتعامل به أكثر الناس ، وقد أقيمت المصارف في زماننا هذا على أساس ربوي ، وقل من الناس من سلم من أكل الربا ، ومن لم يتعامل به فقد أصابه غباره .

١٣ - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله إنّا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن . قلت وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة الى أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها، قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، فقال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت : فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم، قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ."(٣)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب البيوع ،باب قوله تعالى يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا الربا ج ٣ ص ١١.

(٢) سنن النسائي ،كتاب البيوع ، باب اكتناب الشبهات في الكسب ج ٧ ص ٢٤٣ ، سنن ابن ماجه ، كتاب التجارات ،باب التغليظ في الربا ج٢ ص ٧٦٥.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ج ٤ ص ١٧٨ صحيح مسلم ،كتاب الامارة ،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن ج ٣ ص ١٤٧٥.

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ما تكون عليه أمته من حال بعده ، وما يتعاقبهم من خير وشر ، وقد جاء الأمر كما ذكر صلى الله عليه وسلم . يقول القاضي عياض : " المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان ، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو الى البدعة ويعمل بالجور ."(١)

وما أكثر الدعاة الى أبواب جهنم في أيامنا هذه ، الذين يدعون الى الشر والذين يزينون المعصية في أعين الناس كدعاة الحكم بغير ما أنزل الله ودعاة التغريب والقومية والعلمانية ، ودعاة السفور والتحلل وغير هؤلاء ممن يتهافتون الى النار تهافت الفراش .

١٦ - عن عبدالله بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها ، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم ."(٢)

١٧ - عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة قال : سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله ."(٣)

---

(١) نقلا عن فتح الباري ج ١٣ ص ٣٦ . والمراد بالدخن : أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا يزول خبثها ، ولا ترجع الى ما كانت عليه من الصفا . شرح النووي على مسلم ج ١٢ ص ٢٣٧.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب سترون بعدي امورا تنكرونها ج ٨ ص ٨٧ ، والأثرة : الاختصاص بحظ دنيوي ، وامورا تنكرونها : يعني من أمور الدين . فتح الباري ج ١٣ ص ٦.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ج ٤ ص ٢١٩٣.

١٨ - عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فقلت يا رسول الله ان أدركتهم كيف أفعل ؟ قال : تسألني يابن أم عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عصى الله ."(١)

١٩ - عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انما أخاف على امتي الأئمة المضلين ."(٢)

٢٠ - عن حذيفة بن اليمان قال قال صلى الله عليه وسلم : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس ."(٣)

وقد تحقق جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في هذه الأخبار حيث ظهر الأمراء الظلمة ، المعتدون على حقوق الله وحقوق العباد ، العاملون بغير كتاب الله وبغير سنة نبيه ، المقربون لشرار الناس وبطانة السوء ، المتبعون للبدع ، المبتعدون عن السنن ، الذين لا يعرفون الصلاة ولا يبالون بها .

تاسعا : اخباره بجملة من علامات الساعة التي تحقق حدوثها .

وردت طائفة من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تتضمن اخباره بعلامات الساعة رحمة منه بأمته ليستعدوا لها ويتزودوا بالعمل الصالح ويسارعوا بالتوبة قبل وقوعها ، وتنقسم علامات الساعة الى علامات كبرى وعلامات صغرى ، وقد تحقق معظم العلامات الصغرى .

ومن الأحاديث الواردة في علامات الساعة التي وقعت :

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب لا طاعة في معصية ج ٢ ص ٩٥٦ ، مسند أحمد ج ١ ص ٤٠٠ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأئمة المضلين ج ٤ ص ٥٠٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ج ٣ ص ١٤٧٦ .

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها ".(١)

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن أحدى عشرة علامة من أشراط الساعة وهي كما يقول ابن حجر على ثلاثة أقسام : " أحدها ما وقع على وفق ما قال ، والثاني ما وقعت مباديه ولم يستحكم والثالث ما لم يقع منه شيء ولكنه سيقع .... والمذكور منه (الأول) هنا اقتتال الفئتين العظيمتين وظهور الفتن وكثرة الهرج وتطاول الناس في البنيان وتمني بعض الناس الموت ، ومن النمط الثاني تقارب المزمان وكثرة الزلازل وخروج الدجالين الكذابين."(٢)

ولا شك أن النمط الثاني الذي يذكر ابن حجر أنه ظهرت مباديه ولم يستحكم، أشد ظهورا وأكثر استحكاما في زماننا .

والفئتان العظيمتان : المراد بهما علي ومن معه ومعاوية ومن معه . وكان سبب القتال بينهما على ما يذكر ابن حجر نقلا عن يحيى بن سعيد الجعفي أحد شيوخ البخاري في " كتاب صفين " في تأليفه بسند جيد عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية : أنت تنازع عليا في الخلافة أوأنت مثله ؟ قال : لا ، واني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما ، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه ؟ فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان ،فأتوه فكلموه فقال : يدخل في البيعة ويحاكمهم اليّ ، فامتنع معاوية ، فسار علي في

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب ٢٥ ، ج ٨ ص١٠١.

(٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٨٥ - ٨٦.

الجيوش من العراق حتى نزل بصفين وسار معاوية حتى نزل هناك وذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين فتراسلوا فلم يتم لهم أمر ، فوقع القتال الى أن قتل من الفريقين فيما ذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه نحو سبعين ألفا ، وقيل كانوا أكثر من ذلك ، ويقال كان بينهم أكثر من سبعين زحفا.(١)

ويقول النووي في شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان " : " هذا من المعجزات وقد جرى هذا في العصر الأول ".(٢)

وتصديقا لحديث رسول الله فقد ظهر دجالون كذابون ادعوا النبوة أمثال مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح بنت الحارث وغلام أحمد القادياني وغيرهم ، وكثرت الزلازل ، وظهرت الفتن وانتشرت وكثرت أنواعها وألوانها ، واستحر القتل في الناس قديما وحديثا ونزعت البركة من الوقت حتى أصبحت السنة شهرا والشهر اسبوعا والاسبوع يوما ، واليوم ساعة ، وتطاول الناس في البنيان ، وأكثروا منه وتباهوا فيه ، ورفعوا جدرانه وفاض المال بين أيدي الناس من زمن الصحابة عندما فتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر وتحقق في زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز أن الرجل كان يخرج صدقته فلا يجد من يأخذها . ولعظم البلاء وشدة الفتن ، فقد غُبِطَ أهلُ القبور وتمنى أهل الخير الموت خوف ذهاب الدين .

٢ - عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أَدَم فقال : أعدد ستا بين يدي الساعة ، موتي ثم فتح بيت المقدس ثم مُوتانٌ يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فَيَغدِرُون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا."(٣)

---

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) شرح النووي على ملسم ج ١٨ ص ١٣.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجزية ،باب ما يحذر من الغدر ،ج ٤ ص ٦٨ ، والأدم : الجلد ، والموتان : الموت الكثير الوقوع ، كقعاص الغنم: داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة . فتح الباري ج ٦ ص ٢٧٨.

وقد تحقق بعض هذه العلامات التي ذكرت في الحديث منها موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح بيت المقدس حيث دخله المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم الموت الكثير الذي حدث في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس . ثم كثرة المال بعد الفتوحات الكثيرة ، وأما الفتنة فهي اشارة الى ما حدث في عهد عثمان وبين علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين .

وأما قصة الروم فلم تجتمع الى الآن كما يقول ابن حجر رحمه الله ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد " (١) ولا وقعت بعد ابن حجر الى الآن والله أعلم ، ولكن لا بد أن تكون لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل قال للنبي متى تقوم الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ." (٢)

وقد ظهرت هاتان العلامتان أولهما بعد الفتوحات الكثيرة ، قال الأكثرون من العلماء هو اخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فان ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الانسان صائر الى ولده ، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين ." (٣)

وثانيهما ظهرت في زماننا حيث ترك سكان البادية مواطنهم وأقبلوا على سكنى المدن ، وبناء البيوت الكبيرة ، المرتفعة ، ذوات الادوار المتعددة ، وقد حصل التفاخر بينهم ، وهم في الأصل الفقراء الحفاة العراة رعاة الغنم كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٢٧٨ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الأيمان والاسلام والاحسان ج ١ ص ٤٠ .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، ج ١ ص ١٥٨ .

٤ - عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم ."(١)

وقد حدث هذا فقتل من الخلفاء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، واقتتل المسلمون ورفعوا السيوف في وجوه بعضهم البعض، وتسلط شرار الناس على المال والحكم .

٥ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها موءمنا ويمسي كافرا ، ويمسي موءمنا ويصبح كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُم ، وَقَطِّعُوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة، فان دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم ".(٢)

وقد حدث ما أخبر به صلى الله عليه وسلم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه .

٦ - عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها الى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ،وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي انا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ."(٣)

وقد حدث هذا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة حيث ارتدت بعض قبائل العرب عن الاسلام وظهر كثير من المتنبئين الكذابين .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج ٤ ص ٤٦٨ ، وقال الترمذي حديث حسن ، سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب أشراط الساعة ج ٢ ص ١٣٤٢ ،وقوله تجتلدوا :تضاربوا.

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الفتن والملاحم ،باب في النهي عن السعي في الفتنة ج ٤ ص ١٠٠ ، سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ،باب التثبت في الفتنة ج٢ ص١٣١٠.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها، ج ٤ ص ٩٨.

٧ - عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين أمرأة القيم الواحد ."(١)

٨ - عن أبي وائل قال : كنت جالسا مع عبدالله وأبي موسى فقالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين يدي الساعة أياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج،والهرج القتل ."(٢)

وقد ظهر مصداق هذه الأخبار بأن قل العلم وذلك بكثرة موت العلماء لأن ذهاب العلم لا يكون الا بموت العلماء ، أشار الى ذلك رسول الله صلى الله وسلم بقوله : " ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العبادولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ."(٣)

وظهر الزنا ، وكثر الهرج الى غير ذلك مما ذكر من الامارات في هذين الحديثين .

٩ - عن أبي هريرةقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب . "(٤)

١٠ - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا اتخذ الفيء دولا ، والأمانه مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وفسقا ومسخا وقذفا ، وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع ."(٥)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب العلم ،باب رفع العلم وظهور الجهل ج ١ ص ٢٨.
(٢) صحيح مسلم ،كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه ، ج ٤ ص ٢٠٥٦.
(٣) صحيح مسلم ، كتاب العلم ،باب رفع العلم وقبضه ، ج ٤ ص ٢٠٥٨.
(٤) مسند أحمد ج ٢ ص ٥١٩ .
(٥) سنن الترمذي ،كتاب الفتن ،باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف ،ج٤ ص٤٩٥.

وقد ظهرت هذه الامارات جميعا في زماننا هذا ، ونسأل الله العفو والعافيـــة ٠

١١ - عن طارق بن شهاب قال : كنا عند عبدالله جلوسا فجاء رجل فقال: قد أقيمت الصلاة فقام وقمنا معه ، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعا في مقدم المسجد فكبر وركع وركعنا ، ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنـــع فمر رجل يسرع فقال : عليك السلام يا أبا عبدالرحمن فقال صدق اللـــه ورسوله ، فلما صلينا ورجعنا دخل الى أهله ، جلسنا فقال بعضنا لبعـض أما سمعتم رده على الرجل صدق الله وبلغت رُسُله ، أيكم يسألُه ، فقـــال طارق أنا أسأله فسأله حين خرج فذكر عن النبي صلى الله عليه وسلـــم: ان بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهـــور القلم ٠"(١)

١٢ - عن حذيفة بن اليمان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع ٠"(٢)

وقد ظهر هذا في زماننا ، اذ أصبح أسعد الناس اللئام الماكريـن منهـــم ٠

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلـم في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضـى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قـــال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى اذا قضى حديثه قـــال: أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يارسول الله ، قـــال : فاذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ٠ قال : كيف اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة ٠(٣)

---

(١) مسند أحمد ٤٠٨/١ ،والحديث رواه أحمد والحاكم والبزار ، وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبي ، انظر الفتح الرباني ج ٢٤ ص ٣٠ ٠

(٢) سنن الترمذي ،كتاب الفتن ،باب ٣٧ ج ٤ ص ٤٩٣ ٠وقال الترمذي حديث حسن غريب٠

(٣) صحيح البخاري ،كتاب العلم ،باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه ،ج ١ ص ٢١ ٠

١٤ - عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد ."(١)

وقد تفاخر الناس في بناء المساجد وتباهوا في بنائها وزخرفتها .

١٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتا يوشونها وشي المراحيل."(٢)

١٦ - وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى ."(٣)

وقد حدث هذا في القرن السابع ، يقول الامام ابن تيمية رحمه الله :
" وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ورآوها الناس ورأوا أعناق الأبل قد أضاءت ببصرى وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم ."(٤)

وبعد فهذه طائفة من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلامات الساعة ، تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم ، وعلى أنه مبلغ عن الله اذ جرى كثير من الوقائع على وفق ما أخبر ، ولا تزال الأيام تصدق أخباره ، وما لم يقع منها فلا بد كائن على الصفة التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم ، وشاهدنا على صدقه هو مما وقع ، فصلوات الله وسلامه عليك أيها الصادق المصدوق .

وما تحقق من العلامات يسميه العلماء بالعلامات الصغرى ، وما لم يقع بعد فهي العلامات الكبرى .

عاشرا : اخباره بطائفة من الغيوب المتفرقة .

ومن هذه الغيوب التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة ، فنزع منها ذنوبا أوذنوبين

---

(١) سنن النسائي ،كتاب المساجد ،باب المباهاة في المساجد ج ٢ ص ٣٢.
(٢) رواه الامام البخاري في الأدب المفرد واسناده حسن ،انظر اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ج ١ ص ٤٧٣،والمراحيل الثياب المخططة ،وهو اشارة الى طلائها بالالوان المختلفة وهو كائن في زماننا هذا.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ،باب خروج النار ، ج ٨ ص ١٠٠.
(٤) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٣٦.

وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ضعفه ، ثم استحالت غَرْبَاً ، فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بِعَطَن ."(١)

وهذا اشارة الى قصر مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكانت سنتين وثلاثة أشهر أما خلافة عمر رضي الله عنه فكانت طويلة المدة ،كثيرة النفع والخير للمسلمين ، قال البيضاوي : " أشار بالبئر الى الدين الذي هو منبع ، ماؤه حياة النفوس وتمام أمر المعاش والمعاد ،والنزع منه اخراج الماء وفيه اشارة الى اشاعة أمره واجراء أحكامه ، وقوله : " يغفر الله له " اشارة الى أن ضعفه - المراد به الرفق - غير قادح فيه ، أو المراد بالضعف ما وقع في أيامه من أمر الردة واختلاف الكلمة الى أن اجتمع ذلك في آخر أيامه ،وتكمل في زمان عمر واليه الاشارة بالقوة ."(٢)

٢ - اخباره بما سيكون بعده من الخلافة ثم الملك العضوض ثم الملك الجبري .

عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها اذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها اذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها اذا شاء ان يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء أن تكون ثم يرفعها اذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت ."(٣)

وقد كان الأمر كذلك من بعده صلى الله عليه وسلم كما أخبر ، فكان الأمر من بعده خلافة ،ثم أصبح ملكا عضوضا ، وفي زماننا هذا أصبح ملكا جبريا ، ولا بد من الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ، ونسأل الله أن يكون ذلك قريبا .

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب قول النبي لو كنت متخذا خليلا ج ٤ ص ١٩٢،والذنوب : الدلو الكبيرة ،وغربا : دلوا عظيما ،وعطن: مناخ الابل اذا شربت ثم صدرت . فتح الباري ج ٧ ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٣٩ .

(٣) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٧٣.

٣ - اخباره بمدة الخلافة من بعده .

عن سعيد بن جُهمان عن سَفينة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلافة في أمتي ثلاثون سنه ثم ملك بعد ذلك ، ثم قال لي سفينة : أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم قال أمسك خلافة علي ، قال فوجدناها ثلاثين سنة ، قال سعيد : فقلت له ان بني أميه يزعمون أن الخلافة فيهم ، قال : كذبوا بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك "(١) قال الترمذي حديث حسن .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وأربعة أشهر الا عشر ليال وكانت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة الا اثنى عشر يوما ، وكانت خلافة على بن أبي طالب رضي الله عنه خمس سنين الا شهرين ، قال : وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما نحوا من ستة أشهر حتى نزل عنها لمعاوية رضي الله عنه عام أربعين من الهجرة ."(٢)

٤ - أخباره بأن أول أهله لحوقا به بعد موته ابنته فاطمة رضي الله عنها .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيها مشي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا يا ابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر اليها حديثا فبكت ، فقلت لها : لم تبكين ، ثم أسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن . فسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض النبي صلى الله

---

(١) سنن الترمذي ،كتاب الفتن ،باب ما جاء في الخلافة ج ٤ ص ٥٠٣ .

(٢) نقلا عن اتحاف الجماعة ج ١ ص ١٦٢ .

عليه وسلم فسألتها فقالت : أسر الى أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا أراه الا حضر أجلي ، وانك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكيت فقال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء الموءمنين فضحكت لذلك ."(١)

قال ابن حجر رحمه الله : " وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال ، فانهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حتى من أزواجه ."(٢)

وقال الامام النووي : هذه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده وبأنها أول أهله لحاقا به ووقع كذلك وضحكت سرورا بسرعة لحاقها ."(٣)

٥ — اخباره بأن أكثر زوجاته صدقة أسرعهن لحاقا به .

عن عائشة أم الموءمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا ". قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا . قالت : فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق " (٤)

وقد ظنت نساء الرسول صلى الله عليه وسلم أن المراد بطول اليد، طول اليد الحقيقية ، فكن يذرعن أنفسهن بقصبة ، فكانت سودة أطولهن يدا ، وكانت زينب أكثرهن صدقة وفعلا للخير ، فماتت زينب أولا فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود ، وكانت وفاتها رضي الله عنها في السنة العشرين من الهجرة في خلافة عمر رضي الله عنه .

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ج ٤ ص ١٨٣.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ١٣٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٦ ص ٥ .

(٤) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ،باب من فضائل زينب ج ٤ ص ١٩٠٧.

٦ - اخباره بالاصلاح بين الفئتين العظيمتين على يد الحسن رضي الله عنه .

عن سفيان عن أبي موسى قال : سمعت الحسن يقول : استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائبَ أمثالِ الجبال . فقال عمرو بن العاص : اني لأَرى كتائبَ لا تُوَلِّي حتى تَقتُلَ أقرانها ، فقال له معاوية ، وكان خير الرجلين : أي عمرو ان قتل هوءلاء هوءلاء ، وهوءلاء هوءلاء ، من لي بأمور الناس ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بِضَيعَتِهم ؟ فبعث (معاوية) اليه (الحسن) برجلين من قريش ، من بني عبد شمس ، عبدالرحمن بنُ سَمُرَةَ وعبدَاللهِ بنَ عامر بن كُرَيز ، فقال : اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه . فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا اليه . فقال لهما الحسن بن علي : انا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الأمة قد عاثت في دمائها ، قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال : فمن لي بهذا ؟ قالا : نحن لك به فما سألهما شيئا الا قالا نحن لك به ، فصالحه ، فقال الحسن : لقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي على جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ."(١)

فوقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فأصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق عندما تنازل عن الخلافة وبايع معاوية رضي الله عنهما رغبة منه في اجتماع الكلمة والتئام الشمل وحقن الدماء .

يقول الامام ابن تيمية : قلت فوقع هذا كما أخبر به بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بنحو ثلاثين سنة وهو سنة أربعين من الهجرة لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين صف عسكر علي وصف عسكر معاوية ."(٢)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الصلح ،باب قول النبي للحسن بن علي ابني هذا سيد ج ٣ ص ١٦٩.

(٢) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٣٦.

٧ - اخباره بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه •

روى أبو نعيم في الدلائل عن أنس بن الحارث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان ابني هذا يقتل بأرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره " • قال فقتل أنس مع الحسين رضي الله عنهما•"(١) فوقع الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم •

٨ - اخباره بمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه من قبل الفئة الباغية•

عن عكرمة رضي الله عنه قال : قال لي ابن عباس ولابنه علي انطلقا الى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فاذا هو في حائط يصلي فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار • قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن•"(٢)

قال ابن عبدالبر في الاستيعاب : " وتواترت الأخبار عن النبي أنه قال يقتل عمارا الفئة الباغية وهو من أصح الأحاديث فقتل عمار في جيش علي ، وقتلته الفئة الباغية على علي رضي الله عنه وهي فئة معاوية فكان كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم •"(٣)

٩ - اخباره بشفاء سعد وانتفاع أناس به وتضرر آخرين •

عن عامر بن سعد عن أبيه قال : عادني النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت : يا رسول الله بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي واحدة ، فأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا • قلت : أتصدق بشطره ؟ قال : لا • قلت فالثلث؟ قال : الثلث ، والثلث كثير انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك • قلت : يا رسول الله آأخلف بعد

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص٤٨٦•

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الصلاة ، التعاون في بناء المسجد ج ١ ص ١١٥•

(٣) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٨١•

أصحابي ، قال : انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله الا ازددت به درجة ورفعة ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون ، اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ". (١)

أخبر الرسول الكريم في هذا الحديث بأن سعدا لن يموت بمكة ولا في مرضه ذلك الذي اشتكى، وأخبر أيضا بأنه سيعيش حتى ينتفع به أناس ويتضرر به آخرون ، فقوله : " وعسى الله أن يرفعك " يقول ابن حجر فيه " أى يطيل عمرك وكذلك اتفق فانه عاش بعد ذلك أزيد من أربعين سنة بل قريبا من خمسين لأنه مات سنة خمس وخمسين من الهجرة وقيل سنة ثمان وخمسين وهو المشهور فيكون عاش بعد حجة الوداع خمسا وأربعين أو ثمانيا وأربعين " ، وقوله " فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون " أي ينتفع بك المسلمون بالغنائم مما سيفتح الله على يديك من بلاد الشرك ويضر بك المشركون الذين يهلكون على يديك ."(٢)

١٠ - اخباره بما سيكون من سهيل بن عمرو من مقام محمود .

عن سفيان بن عمرو عن الحسن بن محمد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم لما أسر سهيل بن عمرو يوم بدر : يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم خطيبا في قومه أبدا . فقال : دعه فلعله يسرك يوما . قال سفيان : فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم نفر أهل مكة فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة فقال : من كان محمد صلى الله عليه وسلم الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت ."(٣)

وهكذا فقد تحقق رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم بعد كفره ، ووقف يثبت الناس بمكة على الاسلام يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حجة الوداع ج ٥ ص ١٢٧.
(٢) فتح الباري ج ٥ ص ٣٦٧.
(٣) المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر سهيل بن عمرو ج ٣ ص ٢٨٢.

١١ - اخباره بلباس سراقة سواري كسرى .

روى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة : كيف بك اذا لبست سواري كسرى ؟ فلما أُتِيَ بهما عمر ألبسهما اياه ، وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ."(١)

١٢ - اخباره صلى الله عليه وسلم أنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير .

روى مسلم عن أبي نوفل ان الحجاج بن يوسف لما جاء الى أسماء بنت أبي بكر بعد مقتل ابنها عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ،قالت : أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا ، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا اخالك الا اياه ."(٢)

يقول النووي رحمه الله : " والمبير : المهلك ، وقولها في الكذاب فرأيناه ، تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي ، كان شديد الكذب ومن أقبحه ادعى أن جبريل صلى الله عليه وسلم يأتيه ، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد ، وبالمبير الحجاج بن يوسف والله أعلم ."(٣)

١٣ - اخباره بظهور فرقة مارقة من الدين .

عن أبي سعيد الخدري قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يَقْسِمُ جاء عبدُالله بنُ ذي الخُوَيْصِرَةِ التميمي فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : ويلك من يعدلُ اذا لم أعدل . قال عمر بن الخطاب دعني أضربْ عنقه ، قال : دعه ، فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّةِ ينظر في قذذة فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نَضِيِّهِ فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل احدى يديه أو قال ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال

---

(١) الشفا في أحوال المصطفى ج ١ ص ٦٧٤.
(٢) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ،باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ج ٤ ص ١٩٧٢.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٦ ص ١٠٠.

مثل البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ يخرجون على حين فُرقة من الناس . قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم قال: فنزلت فيه " وَمِنهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ".(١)

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الطائفة بالمبالغة في العبادة مع اظهار الاسلام ، وبسرعة خروجهم منه ، حيث يخرجون بغتة كخروج السهم اذا رماه رام قوي الساعد فأصاب ما رماه فنفذ منه بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا بشيء منه من المرمي شيء . وفيهم رجل له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي ، تتحرك وتذهب وتجيء ".(٢)

وقد قاتلهم علي رضي الله عنه وهزمهم في موقعة النهروان وقتل الرجل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث ، وقد عرفت هذه الفرقة باسم الخوارج ، وقد خرجوا على علي ابان خلافه مع معاوية .

١٤ - اخباره بعدم وقوع الفتن في حياة عمر .

عن شقيق قال : سمعت حذيفة قال : كنا جلوسا عند عمر رضي الله عنه فقال أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة ؟ قلت : أنا ، قال : انك عليه أو عليها لجرىء . قلت : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي قال : ليس هذا أريد ، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر ؟ قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا ، قال أيكسر أم يفتح ؟ قال : يكسر . قال : اذا لا يغلق أبدا ، قلنا : أكان عمر يعلم الباب ؟ قال : نعم كما أن دون غد الليلة اني حدثته بحديث ليس بالأغاليط ، فَهِبْنَا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقا فسأله فقال الباب عمر ."(٣)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب استتابة المرتدين ،باب من ترك قتال الخوارج للتألف ج ٨ ص ٥٢ .

(٢) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة كفاره ج ١ ص ١٣٣.

وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فان الفتن لم تظهر في عهد عمر رضي الله عنه كما حدث ما أخبر به من أن الباب سيكسر اشارة الى مقتل عمر ، وقد قتل فعلا على يد أبي لوءلوءة المجوسي ٠

١٥ - اخباره بدوام وجود طائفة قائمة على الحق الى قيام الساعة ٠

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ٠"(١)

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة "٠(٢)

وهذا الخبر حقيقة وواقع يلمسه المسلم في كل زمان ٠

وبعد هذه الجولة مع هذه الطائفة العطرة من أخبار المصطفى الأمين والتي جاء الواقع مطابقا لها وكانت الحوادث والوقائع وفقا لما أخبر به ، يتبين لنا أنه رسول رب العالمين حقا وصدقا لأن هذه الغيوب التي أخبر بها لا يمكن أن تصدر عن انسان عادي ليس له علاقة بوحي السماء ، وبهذا فان هذا الجانب من الأخبار من أقوى الأدلة على نبوته وصدق دعوته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ٠

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ج ٣ ص ١٥٢٣٠

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب لا تزال طائفة من أمتي ج ٣ ص ١٥٢٤٠

الباب الثالث

قرائن أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : قرائن أحواله قبل البعثة .

الفصل الثاني : قرائن أحواله بعد البعثة .

الفصل الثالث : الدلالة الموضوعية للرسالة المحمدية على صدقه صلى الله عليه وسلم .

الفصـــــل الأول

قرائن أحواله قبل البعثـــــة

تدل أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته الشريفة على صدقه في دعواه النبوة . وسأتكلم ان شاء الله في مواقف وفصول من سيرته قبل البعثة وبعدها ، مبتدئة الكلام في سيرته قبل البعثـــة . وسأتحدث على نسبه الشريف ، وولادته ، وما رافقها من آيات ، ثم رضاعته والبركة التي حلت بقوم مرضعته وهو بينهم ، ونشأته وطهره في شبابه ، وأخلاقه وابتعاده عن أقذار الجاهلية ، ثم تحنثه في غار حراء .

وهذه الفصول وغيرها من سيرته تشهد على صدقه وثبوت نبوته .

وأشرع بالحديث عن كل منها بالتفصيل :

١ - نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم :

جرت سنة الله فيمن يصطفيهم من الرسل والأنبياء أن يكونوا ذوي نسب رفيع في أقوامهم ، فما بعث الله نبيا الا في أشرف نسب وأكرم بيت ، فهم صلوات الله وسلامه عليهم خيار من خيار .

يقول الامام الماوردي : " لَمّا كان أنبياء الله صفوة عباده وخير خلقه لِما كلفهم من القيام بحقه ، استخلصهم من أكرم العناصر وأمدهم بأوكد الأواصر حفظا لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون النفوس لهم أوطأ والقلوب لهم أصفى ، فيكون الناس الى اجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع ."(١)

ولما كان محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام ، أكرمه الله بشرف نسبه وطيب أصله ، فكان من أشرف الناس نسبا وحسبا ، كل أجداده أشراف وسادة ، فهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب

---

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ١٦٦ - ١٦٧ .

ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوءي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان •

وينتهي نسب عدنان الى سيدنا اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.(١)

فهو من سلالة اسماعيل عليه السلام ولد ابراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، ثم من قريش صفوة ولد ابراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش •

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم منوها بشرف نسبه ، فيما رواه مسلم عن واثلة بن الأسقع : " ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • "(٢)

وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه • "(٣)

وروى الترمذي عن العباس بن عبدالمطلب قال : قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم ، فجعلوا مَثَلَكَ كَمَثَلِ نخلة في كَبْوَةٍ من الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا • "(٤)

وبهذا يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى اختار رسوله صلى الله عليه وسلم من أزكى القبائل وأفضل البطون من لدن آدم عليه السلام حتى خرج منه نور النبوة المحمدية •

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣ - ٥•
(٢) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ، ج ٤ ص ١٧٨٢•
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ج ٤ ص ١٦٦•
(٤) سنن الترمذي ،كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ج ٥ ص ٥٨٤•

ثم ان أصوله كلها طاهرة ، فولد صلى الله عليه وسلم من نكاح من لدن آدم عليه السلام ، ولم يعرف أحد من أجداده السفاح ، ولم يزل الله تعالى ينقله من الأصلاب الطاهرة الحسيبة الى الأرحام الطاهرة النظيفة ، وما تسلل شيء من أدران الجاهلية الى شيء من نسبه ، فقد جاء صلى الله عليه وسلم من نكاح صحيح يشبه نكاح الاسلام ولم يأت من سفاح .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ."(١)

ويقول في حديث آخر : " لم يلتق أبواي في سفاح ، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة الى أرحام طاهرة صافيا مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما ."(٢)

وفي هذا دلالة على أن الله قد اختاره واصطفاه من بين خلقه وخصه بشرف النسب وطهارة المولد مثل سائر الأنبياء حتى تكون النفوس لهم مطيعة ، متبعة لما جاءوا به ، وحتى لا يجد الكفار سبيلا يطعنون به في نبوتهم .

٢ - ولادته والآيات التي رافقت ذلك :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل (٣)، ذلك العام الذي أراد فيه أبرهة الاشرم ومن معه من الأحباش غزو الكعبة ، فرده الله عنها بالمعجزة الباهرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِم طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ". (٤)

(١ + ٢) دلائل النبوة للأصبهاني ص ٢٤ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٩٣ ، والحديث كما يقول الاستاذ محمد خليل هراس في هامش الخصائص الكبرى ضعيف ولكن طرقه قد اجتمعت يقوي بعضها بعضا.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٦.

(٤) سورة الفيل .

وحادثة الفيل هذه التي ثبتت بالقرآن الكريم وبالأخبار المتواترة التي تناقلتها كتب السيرة تدل على حكمة الله البالغة في حفظ البيت الحرام والبلد الأمين الذي هو موطن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، الذي ولد فيه في ذلك العام ، فكانت تلك الحادثة آية من الآيات البينة بين يدي النبوة وارهاصا لمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد كان هذا الحدث اكراما من الله لبيته الحرام ، الذي سيكون قبلة للناس ومحجا لهم ، واكراما لنبيه الذي ولد ذلك العام عند البيت ، ولم يكن اهلاك أبرهة وجيشه من أجل قريش التي كانت تعبد الأصنام .

يقول الامام ابن تيمية رحمه الله : " ان هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ ، بل كانت لأجل البيت أو لأجل النبي صلى الله عليه وسلم الذي ولد في ذلك العام عند البيت أو لمجموعهما وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته ، فان قيل : انما كان آية للبيت وحفظا له وذبا عنه لأنه بيت الله الذي بناه ابراهيم خليل الله ، فقد علم أنه ليس من أهل الملل من يحج الى هذا البيت ويصلي اليه الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ."(١)

ويقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب في شأن هذه الحادثة : " ولعلك تسأل ما شأن قصة الفيل في المعجزات التي تضاف الى الرسول ؟ والجواب على هذا أن الله سبحانه وتعالى قد دفع عن البيت الحرام هذا السوء الذي كان يراد به ليظل هذا البيت قائما يستقبل نبي الاسلام ، وليكون قبلة صلاة المسلمين ومنسكا يؤدى عنده ركن من أركان الاسلام الخمسة وهو الحج ، فالمعركة اذن لم تكن لحساب قريش ولا كان هذا الطير المحمل بالصواعق نجدة من السماء لها وانما كان ذلك لحساب الدين الجديد الذي تنفس صبحه بمولد النبي في هذا العام ."(٢)

ثم ان آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم حدَّثت أنها عندما حملت به ووضعته رأت من الآيات والعلامات ما يدل على أن الوليد

---

(١) الجواب الصحيح ج ٤ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) النبي محمد ص ١٧٤ - ١٧٥.

له شأن عظيم ، فقد روت كتب السيرة والدلائل طائفة من الأخبار عن آمنة تُحَدِّثُ فيها عما رأت في منامها عندما حملت به ، وفي يقظتها عندما وضعته .

روى البيهقي في الدلائل عن ابن سحق قال : كانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد فقيل لها : انك حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع الى الأرض فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، في كل بر عاهد ، وكل عبد رايد ، يردد غير رايد ، فانه عبد الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد ، قال : فان آية ذلك أن يخرج معه نور يملأقصور بصرى من أرض الشام ، فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في الانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه في القرآن محمد فسمته بذلك ."(١)

وروى ابن الجوزي وابن كثير : " لما حملت آمنة بنت وهب كانت تقول ما شعرت أني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء الا أنني أنكرت رفع حيضتي فأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأني أقول ما أدري ، فقال : انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وتقول : ثم أمهلني حتى اذا دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال : قولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد . قالت : كيف أقول ذلك ؟ فذكرت ذلك للنساء فقلن : تعلقي حديد في عضديك وفي عنقك ، فَفَعَلَت . فلم يكن يُترك عَلَيَّ الا أياما فأَجِدُه قد قُطِع فكنت لا أتعلقه ، ولقد قالت آمنة : لقد علقت به فما وجدت مشقة حين وضعته ."(٢)

فهذه من تباشير النبوة وبركاتها الفياضة التي أكرم الله بها نبيه عليه الصلاة والسلام بين يدي بعثته .

وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه حين سألوه عن نفسه أنه رؤيا أمه التي رأت ، وهذا يؤيد

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٧٠ .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٦ .

الأخبار الواردة عن آمنة في كتب الدلائل والسير .

روى الامام أحمد عن العرباض بن سارية أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اني عبدالله وخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبي ابراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين ، وزاد فيه ، وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام ."(١)

وهكذا فان حادثة الفيل التي وقعت في نفس السنة التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم ،ورؤيا آمنة بنت وهب من الأمارات الواضحة والارهاصات الصادقة التي تبشر بأن لهذا الوليد شأنا عظيما ، ألا وهو النبوة .

٣ - رضاعته صلى الله عليه وسلم :

بعد أن وضعته آمنة بنت وهب دفعته الى ثويبة مولاة أبي لهب لترضعه ، ريثما يأتي موكب المراضع من البادية جريا على عادة العرب في ذلك الزمن ، فقد كانوا يلتمسون المراضع لأطفالهم من نساء البادية حرصا على سلامتهم وفصاحتهم .

ولما حضرت المراضع من بادية بني سعد ، التمس عبد المطلب لحفيده الحبيب مرضعا ، الا أن جميع المراضع عزفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه لا أب له ، لما يرتجينه من النفع والخير من والد الرضيع ، ولكن العناية الالهية التي أحاطت بالنبي منذ اللحظة الأولى دفعت السيدة حليمة بنت أبي ذوءيب السعدية الى الموافقة على ارضاعه وذلك عندما لم تجد سواه ، فكان ذلك رحمة ساقها الله لها من حيث لا تدري .

فلما حملته ورجعت به الى رحلها رأت من آيات بركته الشيء الكثير،

---

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ١٢٧.

لأنها ما ان وضعته في حجرها وألقمته ثديها حتى رأت من البركة في اللبن ما لم تعهده من قبل ، فقد بارك الله لها في حليبها حتى شبع عليه السلام وشبع معه أخوه ببركته ، ثم ان الناقة المسنة حلت فيها البركة ، فحلبت وشبعت حليمة وزوجها من لبنها ، حينئذ قال زوجها : يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة ، ولم تزل حليمة تنعم ببركة هذا الرضيع يوما بعد يوم طيلة مكثه في ديارها ٠

وتروي لنا كتب السيرة رضاع النبي صلى الله عليه وسلم في بني سعد، والبركة التي حلت على ديارهم بسببه عليه السلام ، من ذلك ما رواه ابن هشام عن ابن اسحق ، يقول : " كانت حليمة بنت أبي ذوءيب السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا ، قالت فخرجت على أتان لي قمراء ، معنا شارف لنا ، والله ما تَبِضُّ بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يُغَذِّيه ، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك ، فلقد أَدَمْتُ بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا ،حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم ، وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله اني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا ، والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت: فذهبت اليه فأخذته ، وما حملني على أخذه الا أني لم أجد غيره ٠

قالت : فلما أخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجرى أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه حتى روي،

ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل ، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة ، قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة ، قالت : فقلت والله اني لأرجو ذلك ، قالت : ثم خرجنا وركبت آتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي : يا ابنة أبي ذوءيب ويحك ! اربعي علينا اليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، انها لهي هي ، فيقلن : والله ان لها لشأنا ، قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لُبَّنًا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرع راعي بنت أبي ذوءيب فتروح أغنامهم جياعا ما تَبِضُ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لبنا ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة من الخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا ."(١)

يدل هذا الخبر على أن لهذا الطفل شأنا عظيما في المستقبل ، يعده الله سبحانه وتعالى من أجله ، ظهرت البركات والخيرات أينما حل ، فهو ليس كغيره من الصبيان .

ان البركة الوافرة ، والخير العميم الذي أصاب حليمة وشارفها وأتانها وديارها ليوءكد كرامة هذا الصغير على ربه ورعايته له وحفظه اياه ، وان الله سيحقق على يديه الخير والنور والايمان والعدل في قابل الايام ، فكان ما حدث ارهاصا بمستقبل كريم فاضل للحياة البشرية بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : " ان تدفق الخير على مضارب

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٢ .

القبيلة التي احتضنت محمدا طفلا بعد أيام العسر والمجاعة والجفاف توحي فيما توحي الى أن مجاعة العالم كله وجفاف الروح الانسانية جميعا وعسر الحضارة البشرية في تمخضها الدائم تنتظر من يعيد توجيهها وصياغتها من جديد فيحيل الجوع شبعا وريّا وجفاف الروح امتلاء وانطلاقا وعسر الحركة تدفقا وابداعا ، وان هذا الطفل الذي تفجرت بميلاده ينابيع الخير ، سيكون هذا الرجل ،وأنه قد آن الأوان ".(١)

ثم ان ماذكرته السيدة حليمة من سرعة نموه ، وأنه كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان يدل على مدى عناية الله ورعايته لهذا الطفل الرضيع الذي سيختاره لحمل رسالة السماء الى البشرية .

شق الصدر

ومن الدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم ما حدث له وهو في ديار بني سعد من شق صدره وتطهير قلبه من وساوس الشيطان وذلك باستخراج حظ الشيطان من قلبه .

فقد ذكرت السيدة حليمة ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : " فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لِمَا كنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها : لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلظ فاني أخشى عليه وباء مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا. قالت : فرجعنا به ، فوالله انه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفي بَهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه ، فهما يسوطانه. فقالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه ، قالت: فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئا لا أدري ما هو. قالت : فرجعنا الى خبائنا."(٢)

ويؤكد هذه الحادثة اخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه بشق صدره وهو صغير في بادية بني سعد حين سأله بعضهم عن نفسه .

روى ابن اسحق عن خالد بن معدان الكلاعي أن نفرا من أصحاب رسول

---

(١) دراسة في السيرة ص ٥١.

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٥٢.

الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ آتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا ، ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها ."(١)

وعملية التنقية هذه التي حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير تدل على عصمة الله لنبيه من وساوس الشيطان حتى لا يجد الشيطان سبيلا الى نفسه وذلك اعداد له لبلوغ المنزلة الرفيعة التي تؤهله للتلقي عن الله عز وجل في المستقبل ، وهذا من رحمة الله ورعايته لعبده ورسوله الذي اصطفاه .

يقول الاستاذ محمد الغزالي في هذه الحادثة : " وشيء واحد يمكن استنتاجه من هذه الآثار أن بشرا ممتازا كمحمد صلى الله عليه وسلم لا تدعه العناية عرضا للوساوس الصغيرة التي تتناوش غيره من سائر الناس فاذا كانت هناك موجات تملأ الآفاق وكانت هناك قلوب تسرع الى التقاطها والتأثر بها فقلوب النبيين بتولي الله لها لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة ولا تهتز لها وبذلك يكون جهد المرسلين في متابعة الترقي لا في مقاومة التدني وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه ، فقد عافاهم الله من لوثاته ."(٢)

ويشير العلامة السبكي الى الحكمة البالغة من هذه الحادثة بقوله :

---

(١) سيرة ابن هشام ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) فقه السيرة ص ٦٥ .

" لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين إطلاع على حقيقته فأظهره اللـه على يد جبريل ليتحققوا اكمال باطنه كما برز لهم مكمل ظاهره ."(١)

وبهذا فقد أنعم الله على عبده ورسوله بعصمته من الشيطان حتى أصبح المثل الكامل للنقاء والصفاء وهذا من تباشير النبوة وعلاماتها الواضحة التي سبقت مبعثه عليه الصلاة والسلام .

٤ - نشأته صلى الله عليه وسلم :

نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيما فقيرا ، توفي والده وهو في بطن أمه ، وتوفيت والدته بعد أن بلغ السادسة من عمره وتوفي جده عبد المطلب الذي كان بمنزلة والده عندما بلغ الثامنة من عمره ، حينئذ كفله عمه أبو طالب .(٢)

وهكذا تجرع عليه السلام مرارة اليتم والفقر ، وحرم من عطف الأبوين وحنانهما من صغره ، وذلك لحكمة ربانية بالغة ، أرادها الله سبحانه وتعالى لحبيبه المصطفى ليصنعه على عينه ، يربيه وينشوءه تربية خاصة لا تخضع لموءثرات البيئة ، ثم لتكوين الشخصية الفذة التي ستحمل العبء الثقيل وهو الدعوة الى الله ، ولا بد من ذلك حتى لا يركن الى المال والجاه ~~وينشأ بعيدا عن ترف الغنى وبهرجة الجلال~~ .

وكذلك لقطع السبيل على المبطلين الحاقدين حتى لا يجدوا منفذا للتشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم وذلك بايهام الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم رضع لبان دعوته من آبائه وخاصة أن جده عبد المطلب كان من السادة المشهورين في قريش .

يقول الدكتور البوطي : " وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيما فقيرا تتولاه عناية الله وحدها بعيدا عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه حتى لا تميل به نفسه الى مجد المال والجاه وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء

(١) بشائر النبوة الخاتمة ١٧١ نقلا عن المذاهب اللدنية ج١ :ص١٥٣.

(٢) سيرة ابن هشام ص١٤٦ - ١٥٥.

الوصول الى الثاني ."(١)

لقد نشأ عليه الصلاة والسلام نشأة طاهرة نقية متحليا بالأخلاق الفاضلة الرفيعة متصفا بالصفات الكريمة الحميدة مترفعا عن ضلالات الجاهلية التي يتخبط بها قومه بالرغم من اليتم المبكر الذي أصابه اذ لم يؤثر ذلك في سلوكه تأثيرا سلبيا ، فلم يكن اليتم والفقر له مضياعا كما هي العادة في أغلب ظروف اليتامى والفقراء ولم يؤد به الى الفساد والانحراف ، مما يؤكد أن العناية الالهية قد لازمته منذ صغره توجهه وتربيه وتحفظه من الضياع والانحراف اعدادا له للمهمة العظمى ، وقد أشار القرآن الكريم الى حفظ الله لرسوله من آفات اليتم والفقر بقوله تعالى : " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ."(٢)

فقد وجده الله يتيما فآواه وحفظه من الانحراف والضياع ، ووجده ضالا فهداه ، ووجده فقيرا فأغناه بالقناعة والرضى ، يقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب : " لو جرت الحياة به على طبيعتها لكان مصيره الى الضياع في دنيا الضائعين من اليتامى والفقراء في عالم البادية وفي كنف الصحراء ، ولو أَحْسَنَّا الظن بالحياة في شأن الوليد اليتيم الفقير لما بلغ بنا الظن فيه الى أكثر من أن يكون فتى من فتيان قريش يقطع أيامه في معاقرة الخمر ولعب الميسر ومغازلة النساء ومخاللة القيان ، ثم ينتهي به الأمر في شيخوخته الى أن يكون شيخا من شيوخ قريش يأخذ مكانه بين رواد الندوة يستمع الى ما يدور من أحاديث الجد والهزل فيها ، ثم تطويه الأيام فيما طوت من سادات قريش وصعاليكها . ولكن الذي جاء من هذا اليتيم الفقير كان غير ذلك كله ، كان شيئا لم يقع في حسبان أحد ولم يدر في خلد انسان ."(٣)

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٦٢.
(٢) سورة الضحى ، الآيات ٦ - ٨ .
(٣) النبي محمد ص ١٤.

فهذا اليتم المبكر والنشأة الكريمة دليل واضح على استبعاد أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد آخذ عن أب أو آم أو جد ، فليس له معلم الا وحي السماء .

٥ - اشتهاره بالصدق والأمانة .

اشتهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه بمكارم الأخلاق وجميل الصفات منذ الصبا ، حيث كان نمطا فريدا متميزا في بيئة تعج بالفساد والانحراف ، فقد كان من أحسن الناس آخلاقا وأفضلهم مروءة وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة ، فلم يوءثر عنه كذبة واحدة ، ولم يخن الأمانة في يوم من الأيام ، شهد بذلك العدو قبل الصديق ، فلذا لقب بالصادق الأمين ، لالتزامه بالصدق والأمانة دائما دون تكلف أو تصنع ، لأنها أصبحت جزءا من ذاته كملامح وجهه ولون بشرته ، وهذا من فضل الله على رسوله الذي آدبه ورباه حتى بلغ هذه الدرجة الرفيعة في صفاته وأخلاقه .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوة ، لا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ولا جرت عليه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة ".(١)

ومن أجل هذه الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة التي عرف بها عليه الصلاة والسلام ، أحبه قومه ،وكان موضع احترامهم وثقتهم المطلقة ، فقد كانوا يأتمنونه على ما عندهم من أشياء قيمة ، ويَقبّلون حكمه في مدلهمات الأمور كحادثة اختلاف القبائل في وضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء الكعبة ، ونظرا لاشتهاره عليه الصلاة والسلام بالأمانة فيهم نزلوا على حكمه بنفوس راضية مطمئنة .

---

(١) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٨٠.

روى ابن اسحق قال : " ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدو للقتال ، فقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لوئي على الموت وأدخلوا أيديهم في تلك الجفنة ، فسموا لعقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا في السمجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا ، فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ ، إِلَيَّ ثوبا ، فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ، حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين".(١)

وهذه الحادثة تدل على رجاحة عقله وحسن سيرته في قومه ، ثم انه عليه الصلاة والسلام عرف بالصدق في الأمور كلها وفي جميع أحواله مما جعل قومه يقرون ويعترفون بصدقه حين سألهم عن مدى تصديقهم له فيما يخبرهم به عندما أمره الله باعلان دعوته وانذار قومه .

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ(٢) " صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٢١٤ .

أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك الا صدقا ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ".(١)

وهكذا شهد قومه بصدقه المطلق ، وبأنهم لم يسبق لهم أن جربوا عليه كذبا .

ثم ان السيدة خديجة بنت خويلد المرأة الحكيمة العاقلة لما سمعت بكرم أخلاقه عليه الصلاة والسلام وصدق حديثه وعظم أمانته ، أرسلت اليه ليخرج في مالها الى الشام متاجرا على أن تعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من الأجر ، وهذا يدل على كياستها ورجاحة عقلها لأن رجلا أمينا صدوقا مثل محمد يُطمَعُ به ليشرف على التجارة والأمور المالية .

روى ابن هشام قال : قال ابن اسحق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ."(٢)

وفي هذه الرحلة عرف الغلام ميسرة نبل محمد صلى الله عليه وسلم وكريم خلقه عن قرب ، وعرف أنه نمط جديد يختلف عن سائر التجار الذين تعامل معهم في أسفاره السابقة ،ثم انه اطلع على بركته عليه الصلاة والسلام في الربح العظيم الذي حققه في هذه الرحلة .

فلما عاد عليه الصلاة والسلام من هذه الرحلة بالأرباح العظيمة أدّاها الى خديجة رضي الله عنها بأمانة تامة ، فلم يفتنه الدرهم والدينار كما يفتن أغلب الناس ، عندئذ رغبت به زوجا لها ، وهي العاقلة الراشدة ، فلما عرضت عليه نفسها وافق عليه الصلاة والسلام .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب تفسير القرآن ،تفسير سورة الشعراء ج ٦ ص ١٦ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

يقول ابن هشام في السيرة : " وكانت خديجة أمرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامة ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وَسِطَتِكَ في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها ."(١)

وهذا الخلق الرفيع الذي تحلى به المصطفى عليه الصلاة والسلام وخاصة الصدق من أعظم الدلائل على صدق نبوته ، فكيف يصدق مع الناس ويكذب على الله ، حاشاه ذلك .

٦ - حفظ الله له من أقذار الجاهلية .

نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجتمع جاهلي يعج بالمفاسد والانحرافات ، تُعبد فيه الأوثان وتُشرب فيه الخمور وينتشر فيه الظلم وما الى ذلك من المفاسد التي اعتاد العرب ممارستها في جاهليتهم. الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انسلخ عن هذا المجتمع انسلاخا تاما وان كان يعيش فيه ، فلم ينغمس في هذه المفاسد ، ولم يشارك قومه في عاداتهم السيئة ، بل سما وارتفع عن ذلك كله لأنه كان محفوفا بعناية الهية خاصة تحفظه وتحميه من هذه الأقذار منذ صغره ، فلم يَهِمّ بعمل شيء مما عليه أهل الجاهلية الا وصرفه الله عنه ، وهذا من رحمة الله بعبده ورسوله الذي اصطفاه حتى تكون سيرته بيضاء نقية لا غبار عليها تهيئة له لحمل الأمانة العظمى .

ومن الأمثلة على حفظ الله لنبيه من عادات الجاهلية السيئة ومعتقداتها الفاسدة :

أولا : حفظ الله له من اللهو والعبث الذي يقع فيه الشباب عادة روى أبو نعيم في الدلائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين الدهر ، كلتاهما يعصمني الله عز وجل

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣.

منها ، قلت ليلة لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها : انظر غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وضرب دفوف وزمرا فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانه لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما أيقظني الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل ، فخرجت فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني فما أيقظني الا مس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته ."(١)

يفيد هذا الخبر أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان متمتعا بجميع الخصائص البشرية ، فهو يجد في نفسه ما يجده كل شاب من الميول الفطرية الا أن الله كان يحفظه ويرعاه ، فلم يدعه عرضة للانحراف أو الخطأ أو أي تصرف يمكن أن يوءثر سلبا على دعوته في المستقبل ، وهذا من اكرام الله لنبيه عليه الصلاة والسلام حيث عصمه من الوقوع في الخطأ كما عصم سائر الأنبياء.

ثالثا : حفظ الله له من التعري وكشف العورة :

ومن حفظ الله تعالى لنبيه من المنكرات قبل البعثة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : " لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل ازارك على رقبتك فخر الى الأرض وطمحت عيناه الى السماء فقال : أرني ازاري فشده عليه ."(٢)

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٤٣.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ،باب فضل مكة وبنيانها ج ٢ ص ١٥٥.

وروى ابن هشام قال : " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال : لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على قبته يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل معهم وأدبر اذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال شد عليك ازارك ، قال فأخذته وشددته علي ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين أصحابي ."(١)

تفيد هاتان الروايتان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان محفوظا من الوقوع في المنكرات ، ومنها كشف العورة مخالفا بذلك عادة قومه في كشف عوراتهم دون تحرج فقد حفظه الله من ذلك في صغره وهو يلعب مع الغلمان ، وفي كبره عند بناء الكعبة حيث كان يبلغ من العمر الخامسة والثلاثين على الصحيح .(٢)

أولاً : حفظ الله لرسوله من عبادة الأصنام وتقديسها :

كانت عبادة الأصنام شائعة في العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الناس يتقربون اليها بأنواع من النسك ، وقد حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم من تعظيم الأصنام ، وحماه من التقرب لها ، فقد اشتهر عنه صلى الله عليه وسلم مخالفة قومه في تعظيمهم لها ، فلم يعبد صنما قط .

روى أبو نعيم عن ابن عباس قال : حدثتني أم أيمن قالت : كان بِبُوانَةَ صنم تحضره قريش وتعظمه وتنسك له النسائك ويحلقون رؤوسهم عنده ويعكفون عنده يوما الى الليل ، وذلك يوم في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أبا طالب غضب عليه أسوأ الغضب ، فيقول : انا نخاف عليك مما تصنع من

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٨.
(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٨.

اجتناب آلهتنا وجعلنا نقول : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا . قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع الينا مرعوبا ، فقلن : عماته ما دهاك ؟ قال : اني أخشى أن يكون بي لمم ، فقلن : ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت ؟ قال : اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي : وراءك يا محمد لا تمسه . قالت أم أيمن : فما عاد الى عيد لهم صلى الله عليه وسلم ."(١)

وهكذا عصم الله نبيه من ضلالات الجاهلية ومن عبادة الأصنام ، اعدادا له للنبوة ، وفي هذا دليل على صدقه .

٧ - تحنثه في غار حراء :

ولما كان واقع قومه سيئا منحطا كما أسلفت ، عاش عليه الصلاة والسلام بينهم في غربة روحية وهجرة نفسية ، وكره شديد لما هم عليه فاجتنبهم وما يعملون ولجأ الى الخالق جل وعلا يناجيه ويعبده في مكان بعيد عن ذلك الجو الموبوء الفاسد ، فقد ثبت أنه لما أخذت سنه تدنو من الأربعين حبب اليه الخلاء ، فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده ، وكان يذهب الى غار حراء فيمكث فيه الأيام والليالي متحنثا عابدا لله عز وجل .

روى البخاري عن عائشة قالت : ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ." (٢)

وهذا العمل العظيم الجليل الذي كان يمارسه صلى الله عليه وسلم يدل على سلامة فطرته التي فطره الله عليها التي رفضت الباطل وأهله

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ص ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ج ١ ص ٣.

وسعت جاهدة وراء الحق الذي تغلغل في كيانه •

كما يدل على حفظ الله لرسوله وتربيته له وتوجيهه اياه الى ما تكتمل به شخصيته حتى يصبح أهلا للتلقي عنه عز وجل ، وهذا من أهم المؤشرات وأصدق الارهاصات على أنه نبي هذه الأمة الذي آن أوانه •

يقول الدكتور عماد الدين خليل : ان عزلة رسولنا وانقطاعه واتساع مساحات هذه العزلة والانقطاع عَكْسا ازاء طغيان الجاهلية وَطَّردا تجاه يوم الوحي كانت بمثابة الارهاص الأكبر والأخطر والأخير في الوقت نفسه الى أن موعد القطاف قد حان وأن هذه الشخصية التي ربتها عناية الله في مدى أربعين سنة قد غدت على استعداد تام للتلقي والاتصال المباشر بمبعوث الله في آخر حلقة من حلقات تعاليم السموات والأرض •"(١)

وبعد هذا العرض لبعض الفصول من حياته قبل البعثة ، يتبين أن جميع أحواله ، وكل ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام قبل اتصاله بالسماء يؤكد أنه الرسول المبعوث بحق ، والنبي المرسل بصدق الذي اختاره الله رحمة للعالمين •

---

(١) دراسة في السيرة ص٥٠ •

الفصل الثاني

قـــرائن أحواله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة

أولا : ثباته على الدعوة رغم الايذاء والاغراء :

أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى وباخراج الناس من الظلمات الى النور ومن الضلال الى الهداية ، وأمره أن يبدأ أولا بدعوة أهله وعشيرته والقوم الذيـن بعث فيهم ، فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه وجمع قومه وأخبرهم بأنه رسول الله اليهم بشيرا ونذيرا ، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك لـه ونهاهم عن عبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تضر ، ونهاهم عن اتباع الآباء والأجداد وتقليدهم في معتقداتهم الباطلة •

فلما سمعوا ما جاء به عليه الصلاة والسلام طار صوابهم ، واستعظموا عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وأحلام آبائهم وأجدادهم فناصبوه العـداء الشديد ، وتنكروا لدعوته ، وسعوا جاهدين لصده وصرفه عنها بكل الطرق وشتى الوسائل ، بالايذاء والسخرية تارة ، وبالمفاوضات والاغراء تـارة أخرى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت على دعوته ، متمسك بها ، مُضحٍ في سبيلها ، صابر على صلف قريش وبذائتها مستعل على كل العـروض والاغراءات ، لم تلن له قناة ، ولم ينثن له عزم ، بل استمر علـى اظهار دعوته بخطى ثابتة وعزيمة ماضية وهمة عالية ، لم يَهِن ولم يتردد في يوم من الأيام حتى ظهر الحق وخسر هنالك المبطلون •

لقد أصر النبي صلى الله عليه وسلم على الثبات على دعوته رغـم العنت والمشقة من قومه منذ اللحظة الأولى لاعلان الدعوة ، وهذا مـن الدلائل الواضحة على صدقه في نبوته ، والا فما الدافع لتحمل هذه المشقة العظيمة والأذى الشديد ، بل رفض كل العروض والاغراءات الا ثقته التامـة بالحق الذي يدعو اليه •

والأمثلة على ثباته كثيرة ومشهورة ، أذكر منها :

١ - موقفه الحازم مع عمه أبي طالب :

حين أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته بين قومه ، ناصبه قومه العداء الا عمه أبا طالب الذي وقف بجانبه يدافع عنه وينصره ، فلما رأت قريش أن الدعوة الجديدة تستفحل يوما بعد يوم ، وأن التحدي يزداد أيضا ، عزمت على مفاوضة عمه الذي يناصره ويحميه من أجل أن يكفه عن الدعوة أو يتخلى عن نصرته أو يسلمه اليهم .

وحين أحس صلى الله عليه وسلم أن عمه ضعف عن نصرته عندما قال له بعد مفاوضة قريش له : " يا ابن أخي ابق عَلَيَّ وَعَلَىٰ نفسك ولا تُحَمِّلني من الأمر ما لا أطيق " ، أعلن عن موقفه الثابت على رؤوس الأشهاد أنه لن يتراجع عن دعوته مهما كلفته من مشاق ومتاعب وقال لعمه : " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ."(١)

٢ - صبره على الأذى :

وقفت قريش في وجه الدعوة الجديدة ، ولم تمنعها قرابة الرَّحِم من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحاق الأذى به وبأتباعه الذين دخلوا معه في دينه ، وقد تفنن رؤساء قريش وسفهاؤها على السواء في ايذائه والحاق الضرر به وبأصحابه ، بالسخرية والاستهزاء ، وبوضع الشوك في طريقه ، وبالقاء النجاسة عليه وبالتهديد بقتله ، وبالضرب والتعذيب لأصحابه ، كل هذا ورسول الله ثابت الخطى ، صادق اللهجة ، قوي العزيمة .

ومن الأخبار في ايذائه ما رواه يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قلت ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عدائه ؟

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٠.

قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مارأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سَفَّهَ أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، لقد صبرنا عنه على أمر عظيم أو كما قالوا ، فبينا هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال:فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ، قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا ، قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال فلقد رأيت رجلا منهم آخذا بمجمع ردائه ، قال : فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، ثم انصرفوا عنه ."(١)

ومن ذلك أيضا ما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش ، جاءعقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٩ .

رأسه فجاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك .

ومنه أن بعضهم عمد الى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير في بعض سكك مكة وعاد الى بيته والتراب على رأسه فقامت اليه احدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يا بنية لا تبكي فان الله مانع أباك .

٣ - استعلاؤه على جميع العروض والاغراءات :

سعت قريش جاهدة لصد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته بمختلف الأساليب ، ومن ذلك اغراؤه بالمال والجاه والسلطان ، ولكنه لم يلق بالا لشيء من ذلك في يوم من الأيام ، فغايته التي يسعى اليها أسمى من هذا كله وهي اعلاء كلمة الله وانقاذ البشرية من الانحراف والضلال .

روى ابن هشام عن ابن اسحق قال : حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السِطَةِ في العشيرة والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع ، قال : يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك

علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : قد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مني ، قال : أفعل ، فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ (١)، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ."(٢)

ومرة ثانية يجتمع أشراف قريش وسادتها ويديرون الحديث بينهم ويرسلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم ، فيعرضون عليه المال والشرف والملك والطب فيجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل عَلَيَّ كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم ."(٣)

وهكذا وبكل صراحة ووضوح أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفضه للمال والجاه والسلطان واستعلاءه عليها واصراره على الحق الذي بعثه الله به والأمانة التي ائتمنه عليها ، بل وفي نفس الموقف عرض الاسلام عليهم موكدا لهم أن الدعوة الى الله هي واجبه الذي كلفه الله به ، وهو لا يريد بهذه الدعوة شيئا من عرض الدنيا كما توهموا ، بل

---

(١) سورة فصلت الآيات ١ - ٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦١ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

يريد الخير والهداية للناس .

٤ - موقفه الثابت أيام الحصار الاقتصادي :

أعلنت قريش الحصار الاقتصادي والمقاطعة على رسول الله ومن معه من المسلمين وغير المسلمين من أهله وعشيرته وكل من يؤيده ويؤازره ، وذلك حين أحست أن الاسلام ينتشر في القبائل وان المسلمين يزدادون يوما بعد يوم ، فلم يتأثر صلى الله عليه وسلم لا هو ولا أصحابه ، بل ثبتوا على دين الله وصبروا على الجوع والأذى حتى أذن الله بالفرج .

روى ابن هشام عن ابن اسحق قال : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الاسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم ، فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبدالمطلب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب الى قريش فظاهرهم ."(١)

وهكذا تمت المقاطعة الظالمة الآثمة ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الضنك والمشقة ما أجهدهم حتى انهم ليأكلون أوراق الشجر من شدة الجوع الذي أصابهم ، ولكن ذلك لم يوهن عزيمة المصطفى صلى الله عليه وسلم واتباعة به استمر في الدعوة الى الله ليلا ونهارا حتى جعل الله له مخرجا ، فقام نفر من قريش وطالبوا بنقض الصحيفة وابطال ما جاء فيها من الظلم والاجحاف .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٣

٥ - موقفه من أذى ثقيف وصبره على ما لحقه منهم :

ومن الأمثلة على ثباته على الدعوة وشدة تمسكه بها صبره وقوة تحمله لأذى ثقيف عندما ذهب الى الطائف وذلك حين اشتد ايذاء قريش له بعد فقد ناصريه زوجته وعمه حيث نالت قريش منه ما لم تنله في حياتهما ، لذا توجه صوب الطائف يعرض أمره على أعظم قبيلتين بعد قريش هما هوزان وثقيف لعله يجد الحماية والنصرة منهم ، فلما عرض عليهم أمره تنكروا له ، وأظهروا العداوة والبغضاء لما دعاهم اليه حتى انهم أغروا سفاءهم لأيذائه ، فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه ورسول الله صابر محتسب لم يتزعزع ولم ينثن عن دعوته بل استمر عليها بخطى ثابته ورباطة جأش .

روى ابن هشام قال : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج اليهم وحده .... ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبدياليل بن عمرو بن عمير ومسعود بن عمرو وحبيب بن عمرو بن عمير ، فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقال لهم فيما ذكر لي : اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه فَيُذْئِرَهُم ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى

اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة .... فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ، ان لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك أو يَحلَّ عَلَيَّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ".(١)

وهكذا قابل صلى الله عليه وسلم أذى ثقيف ، بالصبر والدعاء الى الله ، وتفويض الأمر اليه ، وما لاقاه من العنت لا يهم ان لم يكن من الله غضب عليه ، وهذا الموقف منه تجاه موقف ثقيف فيه أمارة على صدقه في الدعوة وثباته عليها وتصميمه على المضي بها ، ولو لم يكن مرسلا من ربه لما كان منه هذا الصبر العجيب والاحتمال الشديد ، واللجوء الى الله ،وعدم الشكوى لغيره ، واقتصاره في دعائه على مناجاة ربه وطلب رحمته وعفوه ورضاه .

هذه بعض الأمثلة التي تصور لنا مدى ثبات المصطفى عليه الصلاة والسلام على الدعوة الى الله التي كلفه بحملها ومدى تحمله لكثير من الأذى والعذاب في سبيلها ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ثقته التامة انه رسول الله حقا ، وأن ما جاء به هو الحق المبين الذي يجب التمسك به والتضحية في سبيله .

يقول الشيخ أبو الحسن الزيدي : " ومن المعلوم أن العاقل الحازم اذا عرف من نفسه أنه محترص في أمر يدعيه ومتحيل فيه وعلم أنه لا حقيقة لما يذكره ودفع مع ذلك الى مدافعة أعدائه له ، وامتحانهم اياه ، وبحثهم عن أحواله ، وتنقيرهم عن أسراره ، يلين بعض اللين ويستعمل بعض التملق في كثير من أوقاته ، بل عامة أحواله ، وان خَشُنَ جانِبَهُ في وقتٍ تَجَلُّدِ آلانه في آخر ، وان أبدى الثبات وقوة النفس في حالة ، راوغ

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨.

وداهن في أخرى ، وأحواله صلى الله عليه وسلم جرت على خلافه ، فدل ذلك على أنه كان صادقا في قوله ، واثقا بربه ، نافذا في بصيرته ، ماضيا على المنهاج الواضح ."(١)

ثم ان في ثبات أتباعه على الدين الجديد الذي جاء به وشدة تمسكهم به وتحملهم الشيء الكثير في سبيله دليلا آخر على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

لقد عانى اتباعه من صلف قريش وطغيانها كثيرا ، وحين لم تفلح في صد رسول الله عن دعوته بالايذاء والاغراء ، قامت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يسومونهم سوء العذاب ، لفتنتهم عن دينهم وابعادهم عن اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم والالتفاف حوله . وفشلت قريش فيما أرادت وثبت أولئك الأتباع ثباتا عجيبا وصبروا على شدة الايذاء والعذاب الواقع عليهم ، وكانوا بذلك نماذج فريدة لم يعرف لها التاريخ مثيلا . وهذا الموقف الرائع من قبل تلك الفئة القليلة التى سرى نور الأيمان في كيانها يوءكد صدقه صلى الله عليه وسلم والا فما الذي دفعهم الى تحمل هذا العذاب بنفوس شامخة أبيّة ، انها الثقة التامة بأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو الحق الواضح الذي لا مراء فيه .

---

(١) اثبات نبوة النبي ص ١٧٥ .

ثانيا : طبيعة عيشه صلى الله عليه وسلم :

من قرائن أحواله الدالة على نباته صلى الله عليه وسلم تلك الحياة البسيطة التي ارتضاها لنفسه ، واشتهر بها طوال عمره ، في حال الفقر وحال الرخاء ، الى أن التحق بالرفيق الأعلى .

لقد كان صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا في حياته العامة والخاصة حيث عاش عيشة البساطة والكفاف والبعد عن كل مظاهر البذخ والترف ، يلبس المرقع من الثياب ، ويأكل ما خشن من الطعام ، ينام على الحصير ، ويسكن البيوت البسيطة المبنية من الطين وجريد النخل .

وقد آمنت به الجموع ودانت له العرب قاطبة وسيقت له الأموال، فلم يفتتن بها بل استعلى عليها وعلى الدنيا ومتعها ، وهكذا ضرب أروع الأمثلة في زهده في الدنيا واستعلائه عليها في العسر واليسر ،لم يتطلع الى شيء من زخرفها وزينتها في يوم من الأيام ، وحث أهله وصحبه على الزهد في الدنيا والاكتفاء بالقليل منها وان لا يكون لها مكانة في قلوبهم وأن يكون جل اهتمامهم العمل للحياة الاخرة ، حياة البقاء والخلود .

والناظر في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يقف على معالم تلك الحياة العظيمة التي عاشها عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء في الخبر الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض "(١) وفي رواية أخرى : " من خبز شعير يوميين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ."(٢)

وتقول رضي الله عنها : " ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو آلا التمر والماء ."(٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال : " ما أكل رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي وأصحابه يأكلون ، ج ٢ ص ٢٠٥.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ج ٤ ص ٢٢٨٢.

(٣) صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقائق ج ٤ ص ٢٢٨٢.

وسلم على خُوَانٍ ولا في سُكُرَّجَةٍ ولا خُبِزَ له مرقق ولا رآى شاة سميطا قط."(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجد عشاء ".(٢)

وتصف لنا السيدة عائشة فراش الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان ينام عليه فتقول : " انما كان فراشة الذي ينام عليه أدما حشوه ليف ."(٣)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ذكر له اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال : فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير ، فجلست ، فأدنى عليه ازاره وليس عليه غيره ، واذا الحصير قد أثّر في جنبه فنظرت ببصري الى خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، ومثلها قَرَظَاً في ناحية الغرفة ، واذ أفيق معلق قال : فأبتدرت عيناي . قال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قلت : يا نبي الله ومالي لا أبكي ؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها الا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك فقال : يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى ".(٤)

وعن عبد الله بن مسعود قال : اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جلده فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئا يقيك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا والدنيا ! انما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ."(٥)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأطعمة ،باب الخبز المرقق ج ٦ ص ١٩٩،والخوان : ما يوءكل عليه الطعام ،والسكرجة : قصاع صغار ، الشاة السميط : التي ازيل شعرها بعد الذبح بالماء المسخن ، وانما يصنع ذلك في الصغيرة الطرية غالبا وهو فعل المترفين .

(٢) سنن الترمذي ،كتاب الزهد ،باب ما جاء في معيشة النبي وأهله ج ٤ ص ٥٨٠.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ،باب كيف كان عيش النبي وأصحابه ج٧ ص ١٨١.

(٤) صحيح مسلم ،كتاب الطلاق ،باب في الأيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ،ج٢ص ١١٠٧. والقرظ : ورق السلم يدبغ به ،والأفيق : الجلد الذي لم يتم دبغه ،فابتدرت عيناي : أي سالت دموعي .

(٥) سنن ابن ماجه ،كتاب الزهد ،باب مثل الدنيا ،ج ٢ ص ١٣٧٦ ،سنن الترمذي ، الترمذي ،كتاب الزهد ،باب ٤٤ ج ٤ ص ٥٨٨ قال الترمذي : حديث حسن صحيح

وروى حميد بن هلال عن أبي بردة قال : أخرجت الينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وقالت في هذا نزع روح النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم وزاد سليمان عن حميد عن أبي بردة قال : أخرجت الينا عائشة ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي يدعونها الملبَّدة ."(١)

وخطب النعمان بن بشير فقال : ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يتلوى ما يجد دَقَلاً يملأبه بطنه ."(٢)

تبين لنا هذه الأخبار طبيعة عيشه صلى الله عليه وسلم في مأكله وملبسه وفراشه ، فلم يأكل لذيذ الطعام ولم يلبس الطيلسان ، ولم ينم على الفراش الناعم ، بل رفض ذلك كله ، واستعلى على الدنيا وما فيها من زينة وزخارف ، وأقبل على الله يرجو رضاه ويعمل للدار الآخرة دون فتور أو ملل ، وقد أُثِرَ عنه أنه كان يقول : " اللهم لا عيش الا عيش الأخرة ."(٣)

واستمر صلى الله عليه وسلم في ترفعه عن لذائذ الدنيا طيلة حياته ، حتى بعد أن فتح الله عليه الفتوح وسيقت اليه الخيرات ، فلم يشيد القصور ، ولم يجعل لنفسه من مظاهر العظمة والأبهة كملوك الأعاجم ،بل استمر في زهده وتقشفه ، حتى انه توفي ولم يترك لأهله ميراثا يذكر، فلم يخلف الدراهم ولا الدنانير ، ولا العبيد ولا الملك الراسخ ، بل لحق بربه ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله .

عن عمر بن الحارث ،قال : " ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا الا بغلته

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس ، باب ما ذكر من ورع النبي وعصاه ج ٤ ص ٤٧ ، والملبَّد : المرقع ،فتح الباري ٢١٤/٦.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقائق ،ج ٤ ص ٢٢٨٥ ، والدقل : التمر الرديء .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ،باب الصحة والفراغ ،ج ٣ ص ١٧٠.

وسلاحه وأرضا جعلها صدقة ."(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير ."(٢)

وقالت رضي الله عنها : " ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ".(٣)

وقالت : لقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وما في رَفّي من شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رَفٍّ لي فأكلت منه حتى طال عليَّ فَكِلتُه فَفَنِيَ ."(٤)

والمتأمل في طبيعة عيشه صلى الله عليه وسلم والميراث الذي تركه لأهله وذريته يستدل به على صدقه في نبوته ، وأنه رسول الله حقا ،عاش لتبليغ الرسالة التي كلفه الله بحملها ، ولم يقصد من وراء دعوته ملكا ولا جاها ولا مالا ، وانما أعرض عن ذلك كله وعاش فقيرا قانعا متعففا عن متع الدنيا وزخارفها ، هَمُّهُ اعلاء كلمة الله وحملها للناس كافة ، باذلا كل غال ونفيس في سبيل ذلك حتى لقي الله عز وجل ، وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده صلوات الله وسلامه عليه .

وقد لفت نظر المستشرق بودلي طبيعة حياته صلى الله عليه وسلم وخشونة عيشه ، فاستدل بذلك على نبوته ،

يقول : " كانت حياته بسيطة كحياة السيد المسيح فكان طعامه الثريد والتمر واللبن وكان يتناول أحيانا حساء ضأن وخضر ، وربما شرب بعض العسل ، وكان غالبا ما يقتصر على التمر واللبن ، وأيا كان الطعام فقد كان يتناوله على حصير فوق الأرض وكانت ثيابه بسيطة كطعامه ، فكان يرتدي فوق جسمه مباشرة قميصا له أكمام من الصوف الخشن

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الوصايا ،باب الوصايا وقول النبي وصية الرجل مكتوبة عنده ، ج ٣ ص ١٨٦.
(٢) صحيح البخاري ،كتاب الجهاد والسير ،باب ما قيل في درع النبي ج ٣ ص ٢٣١.
(٣) صحيح مسلم ،كتاب الوصية ،باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ج ٣ ص ١٢٥٦.
(٤) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ،باب فضل الفقر ،ج ٧ ص ١٧٩.

والقطن وفوقه بردة .... وكان في يده أن تساق له الدنيا جميعا لو آرادها ولكنه كان يكتفي من كل شيء بالكفاف وقد أصغر في عينيه الحياة لأنه كان أكبر من كل ما في الحياة ، هذه البساطة لا تحتاج الى أدنى دليل على أن صاحبها ليس الا من الله ."(١)

ويقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب : " وعلى الذين في ريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رسالته أن يقفوا عند هذه الأحوال منه ليروا ماذا كان يطلب بدعوى النبوة والرسالة ان لم يكن نبيا مرسلا وما المآرب التي قصد اليها وما الغايات التي حققها أين المال الذي جمع ، وأين التاج الذي وضع على رأسه ، وأين متع الحياة التي تحف به وهل يدخل انسان في مثل هذه التجربة ويدعي مثل هذه الدعوى ويحتمل فيها آلوان الضُرِ والأذى ، ثم اذا استجاب الناس لدعوته وداروا حول مشيئته وساقوا اليه مغانم النصر نفض يديه من هذا كله وعاش على الكفاف من كل شيء ....

انه نبي صاحب دعوة وليس طالب ملك ولا صاحب دنيا فلقد سيقت اليه الدنيا بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وكان يَدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ".(٢)

---

(١) نبوة محمد في القرآن ص ١٤١ .
(٢) النبي محمد ص ٣٢٣ - ٣٢٥ .

ثالثا : ~~سمو~~ كمال أخلاقه صلى الله عليه وسلم :

ومن قرائن أحواله الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم تلك الأخلاق الرفيعة والخصال الكريمة التي تحلى بها وجبل عليها برحمة من الله وفضل كسائر الأنبياء والمرسلين .

يقول القاضي عياض : " وكان فيما ذكر المحققون مجبولا عليها (أي الأخلاق الحميدة) في أصل خلقته وأول فطرته ، لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء ."(١)

لقد اشتهر عليه الصلاة والسلام بالأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة قبل البعثة وبعدها شهد بذلك العدو قبل الصديق ، والكافر قبل المؤمن وقد بلغ في ذلك القمة السامقة والغاية القصوى من الجلال والكمال، ما لم يبلغه أحد من الناس لا في زمانه ولا بعد زمانه ولذا وصفه الباري عز وجل بقوله : " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ "(٢)، كيف لا وهو الذي تكفل الله عز وجل بتربيته واعداده لحمل الأمانة الكبرى رسالة الله للعالمين .

وهذا الخلق العظيم الذي شهد الله سبحانه وتعالى به لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يؤكد نبوته وصدق دعوته ، لأن الأخلاق الحميدة والخصال الرفيعة على صلة قوية بدعوى النبوة ، اذ النبوة تتطلب من صاحبها أن يتصف بكل خلق كريم رفيع وان يتنزه عن كل وصف مشين ، فالأنبياء هم خيرة البشر ، وصفوة الخلق ، بلغوا القمة العالية من الكمال الخلقي لذا اختارتهم العناية الالهية للقيام بمهمة عظيمة ، مهمة السفارة بين الله في السماء والعباد في الأرض .

والاستدلال بمكارم الأخلاق على صدق النبوة طريق يأنس به العقل السليم ويرتضيه ، وقد وجدنا عددا من الناس يستدل بمكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته ، فهاهي السيدة الحكيمة العاقلة

---

(١) الشفا جـ ١ ص ٢٠٧.

(٢) سورة القلم ، آية ٤ .

خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد أن ما جاءه من النور في حراء انما هو الحق المبين وأن الأخلاق الحميدة التي عرف بها جعلته أهلا لتلقي ذلك النور الرباني ولذا قالت له حين رجع من غار حراء خائفا يرتجف فؤاده لما سمع ورآى : " كلا والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ." (١)

ثم ان هرقل ملك الروم استدل بخلقه العظيم على صدقه صلى الله عليه وسلم ، وذلك حين سأل أبا سفيان عن صفات الرسول وأخلاقه اثر وصول كتاب رسول الله اليه يدعوه فيه الى الاسلام ، يقول هرقل بعد أن سأل أبا سفيان : " وسألتك كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت ، أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميَّ هاتين ." (٢)

وهكذا استدل هرقل بصدقه وعفافه على صحة نبوته .

وقد جعل الامام الماوردي كماله الخلقي دليلا على نبوته ، يقول رحمه الله : " فان قيل : فليست فضائله دليلا على نبوته ولم يسمع نبي احتج بها على أمته ولا عول عليها في قبول رسالته لأنه قد يشارك فيها حتى يأتي بمعجز يخرق العادة ، فيعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل؟ قيل : الفضل من أماراتها وان لم يكن من معجزاتها ولأن تكامل الفضل معوز فصار كالمعجز ولأن من كمال الفضل اجتناب الكذب وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل ، فصار كمال الفضل موجبا للصدق ، والصدق موجبا لقبول القول فجاز أن يكون من دلائل الرسل ." (٣)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب بدء الوحي ،باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ، ج ١ ص ٣ .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ، ج١ ص٦ .

(٣) اعلام النبوة للماوردي ص ٢٠١ - ٢٠٢.

وهذا الخلق الذي اكتسى به صلى الله عليه وسلم صورة عملية للقرآن الكريم الذي تضمن جميع مكارم الأخلاق ، فلذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم " كان خلقه القرآن "(١) وبهذا كان من أفضل الناس خَلْقاً وَخُلُقاً عرف ذلك كل من عاشره وعاش معه .

وعن أنس قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلُقا "(٢)، وعنه أيضا قال : " لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سَبّابا ولا فَحّاشا ولا لعّانا ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه ".(٣)

وقد وُصف في التوراة بأنه ليس بفظٍ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح "(٤)

وقد كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى بعثه ليتمم محاسن الأخلاق ، ذلك أن العرب كان قد بقي عندهم بقية من شريعة ابراهيم عليه السلام وكانوا ضلوا عن كثير منها فبعثه الله ليدلهم على ما ضلوا عنه وليتمم مكارم الأخلاق ، يقول صلى الله عليه وسلم : " بعثت لأتمم حسن الأخلاق ."(٥)

وأخص الآن الحديث بأمثلة من أخلاقه صلى الله عليه وسلم :

١ - الرحمة والرأفة :

من الأخلاق السامية التي اتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة والرأفة التي وسعت الناس جميعا موءمنهم وكافرهم ، بل جاوزت الجنس البشري الى الحيوانات العجماء ، فهو نبي الرحمة الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ".(٦)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين ،باب جامع صلاة الليل ،جا ص ٥١٣ .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب الكنية للصبي ،ج ٧ ص ١١٩.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الادب ، باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا ، ج ٧ ص ٨١.

(٤) صحيح البخاري ،كتاب التفسير ،تفسير سورة الفتح ،باب انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ،ج ٦ ص ٤٤.

(٥) موطأ مالك ،كتاب حسن الخلق ،باب ما جاء في حسن الخلق ،ج ٢ ص ٩٠٤.

(٦) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧.

وهذا الجانب العظيم من شخصيته الفذة لا يدانيه فيه أحد من الناس ، فهو من أعظم الناس رحمة وأشدهم رأفة ، وخاصة بمن تبعه من المؤمنين . وقد وصفه الله عز وجل بهذه الصفة العظيمة بقوله : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ." (١)

ولقد عاش المسلمون تحت ظلال هذه الرحمة الوارفة ، ينعمون بالمودة والمحبة التي يفيض بها قلب المصطفى الكبير ، فكان لهم كالأب يحنو عليهم ويرأف بهم ويراعي أحوالهم ، يتجوز في صلاته اذا سمع بكاء الطفل الصغير حتى لا تُفتَن أمه في صلاتها . يقول صلى الله عليه وسلم: "اني لأقوم في الصلاة أريد أن أُطَوِّلَ فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه ". (٢)

وكان صلى الله عليه وسلم اذا ما خُيِّرَ بين أمرين يختار السهل البسيط ، قليل المشقة ، رحمة بهم وتيسيرا عليهم ، تقول عائشة رضي الله عنها : " ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بن أمرين قط الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا أن تنتهك حرمة لله فينتقم بها لله ."(٣)

ولما أرسل صلى الله عليه وسلم معاذا وأبا موسى الى اليمن أمرهما بالتيسير على الناس وعدم الاثقال والتبشير وعدم التنفير ، يقول صلى الله عليه وسلم : " يَسِّرَا ولا تُعَسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ".(٤)

ولما بال الاعرابي في المسجد هَمَّ الناس بضربه فقال صلى الله عليه

---

(١) سورة التوبة ، آية ١٢٨.
(٢) صحيح البخاري ،كتاب الأذان ، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ج ١ ص ١٧٣.
(٣) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب قول النبي يسروا ولا تعسروا ج ٧ ص ١٠١.
(٤) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب قول النبي يسروا ولا تعسروا ج ٧ ص ١٠١.

وسلم :"دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فانما بعثتم مُيَسّرين ولم تبعثوا مُعَسّرين ."(١)

ومن رحمته بأصحابه وبره بهم ورأفته عليهم أنه سأل الله أن يجعل كل دعاء أو لعنة أو سبة خرجت منه على أحد منهم رحمة وصلاة وطهورا ،عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فانما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون وانما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة."(٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد الفقراء والمساكين ويجالسهم ويعطف عليهم ، ولم يكن بينه وبين أصحابه حجاب ، ولا كان له مواكب ومراسم كملوك الأعاجم ، وكان الرجل يأتي فيجده جالسا بين أصحابه لا يعرف أيهم هو حتى يسأل عنه .

وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يحث أصحابه على التأدب بهذا الخلق العظيم ، وقد أثر عنه أنه كان يقول : " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "(٣)،ويقول : " لا يرحَم اللّه من لا يَرحَم الناس ".(٤) ويقول:" الراحمون يرحمهم الرحمن "(٥)ويقول : " لا تنزع الرحمة الا من شقي "(٦)، ويقول : " انما يرحم الله من عباده الرحماء"(٧)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب قول النبي يسروا ولا تعسروا ج ٧ ص ١٠٢.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والادب ،باب من لعنه النبي أو سبه ج ٤ ص ٢٠٠٧ ،سنن أبي داود ،كتاب السنة ،باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ج ٤ ص ٢١٤.

(٣) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في رحمة المسلمين ج ٤ ص ٣٢٤ .

(٤) صحيح البخاري ،كتاب التوحيد ،باب قول الله تعالى قل ادعوا الله وادعوا الرحمن ج ٨ ص ١٦٥.

(٥) سنن أبي داود ،كتاب الأدب ،باب في الرحمة ج ٤ ص ٢٨٥.

(٦) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في رحمة المسلمين ج ٤ ص ٣٢٣ .

(٧) صحيح البخاري ،كتاب التوحيد ،باب قول الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ج ٨ ص ١٦٥.

وروي أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقَبِّل الحسن ، فقال : ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انه من لا يَرحَم لا يُرحَم "(١)، وفي حديث آخر ان أعرابا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون الصبيان ؟ فقالوا : نعم : فقالوا : لكنّا والله ما نقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأملك ان كان الله نزع منكم الرحمة ."(٢)

وهذا الخلق الرفيع شمل غير المسلمين الذين أعرضوا عن دعوته وأذاقوه من صنوف العذاب الشيء الكثير ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقابل طيشهم وصلفهم بالاحسان اليهم والدعاء لهم رحمة ورأفة منه عليهم ، فها هي قريش تشتد في ايذائه وتعذيبه فيأتيه جبريل عليه السلام قائلا له : ان الله سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد أمر مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال وسلم وقال : مرني بما شئت ، ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فيقول نبي الرحمة : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا."(٣)

ومن ذلك رحمته التي شملت زعيم المنافقين عبدالله بن أُبَيّ الذي لم يأل جهدا في ايذاء رسول الله ، وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه حين توفي عبدالله بن أبي وضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه ."(٤)

وشملت رحمته الحيوان الأعجم ، فكان من أرحم الناس بها ، وقد حثّ أصحابه على الرحمة بها ، ونهى عن كثير من العادات السيئة المتفشية في

---

(١) ،(٢) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال ج ٤ ص ١٨٠٨.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب بدء الخلق ،باب اذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين غفر له ج ٤ ص ٨٣.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، ج ٤ ص ٢١٤٠.

في المجتمع الجاهلي والتي فيها اضرار بالحيوانات ، كقطع اللحم من الحيوان وهو حي ، أو جعل الحيوان هدفا للرماية أو التحريش بين الدواب ، الى غير ذلك من العادات القاسية والتي تتنافى مع الرحمة ، ذلك الخلق العظيم الذي عرف به المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه برد فراخ الطائر الملهوف على أولاده ، روى عبدالله بن عبدالرحمن قال : " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرةً معها فَرخان ، فأخذنا فَرخيها ، فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تفرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها ".(١)

هذا غيض من فيض من رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفقه بالعباد والدواب ، فهناك الكثير من المواقف التي تجلى فيها هذا الخلق عند نبي الرحمة .

٢ - التواضع وخفض الجناح :

من أخلاقه السامية التي تحلى بها صلى الله عليه وسلم التواضع وخفض الجناح لمن تبعه من المؤمنين ، فقد كان صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس تواضعا ، ومن أشدهم كراهية للكِبْر والتعالى على الأصحاب ، فلذا ذم الكبر والمتكبرين في كثير من أقواله ، بل وتوعد بالعذاب الشديد هذا الصنف من الناس ، حيث قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ."(٢)

وهذا الخلق السامي الذي اتصف به عليه الصلاة والسلام عرفه كل من عاصره وعاشره ، فقد عاش مع أصحابه كواحد منهم ، لم يتميز عنهم في

---

(١) سنن أبي داود ،كتاب الأدب ،باب في قتل الذر ،ج ٤ ص ٤٦٧ ،والحمرة : عصفور صغير .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأيمان ،باب تحريم الكبر ج ١ ص ٩٣ .

شيء من الأشياء ، يأكل مما يأكلون ويلبس مما يلبسون ، ويجلس معهم على الأرض كما يجلسون ، حيثما انتهى به المجلس جلس ، لا يستنكف أن يجالس الفقراء والمساكين ، يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، يأكل مع الخادم ، ويركب الحمار ، الى غير ذلك من مظاهر التواضع وخفض الجناح الذي اشتهر به عليه الصلاة والسلام .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فانما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله ."(١)

ودخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال له : هَوِّن عليك فاني لست بملك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ".(٢) وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عظمة نفسه التي تَشَرَّبَت هذا الخلق بشكل لا نظير له .

ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يكره التميز على أصحابه في شيء، يشاركهم العمل ويشرب من نفس الاناء الذي يشربون منه ، روى أنه كان عليه الصلاة والسلام في سفر مع صحبه فارادوا أن يهيئوا طعاما فقسموا العمل بينهم فقام يجمع الحطب ، فأرادوا أن يكفوه ذلك فأبى فقال : علمت أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميز عليكم وان الله سبحانه يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه ."

وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وهو على بعيره واستلم الحجر بمحجن كان معه ، قال : وأتى السقاية ، فقال : اسقوني ، فقالوا ان هذا يخوضه الناس ولكنا نأتيك به من البيت فقال : لا حاجة لي فيه اسقوني مما يشرب منه الناس ." (٣)

وكان صلى الله عليه وسلم يمشي في الأسواق ، يقضي حوائجه بنفسه، دون موكب ولا زينات وكان يقوم بقضاء حوائج الضعفاء والمساكين .

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء ،باب واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها ج ٤ ص ١٤٢.

(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الأطعمة ، باب القديد ،ج ٢ ص ١٠١ ؛

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٢١٤.

عن أنس بن مالك قال : " كانت الأمة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ".(١)

وعن عبدالله بن أبي أوفى قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما ".(٢)

فأي خلق عظيم هذا الذي عرف به صلى الله عليه وسلم ، لم يحتجب عن الناس ، ولم يترفع عليهم ولم تمنعه النبوة من الجلوس الى الصغير والكبير والرجل والمرأة والأمة والعبد .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا منتصرا ، لم تفسد نشوة النصر وفرحة الغلبة عليه تواضعه الذي جبل عليه ، فقد أثر عنه أنه دخل مكة مطأطأ الرأس حتى كادت لحيته تلامس ظهر الدابة التي يركب عليها .(٣) كل ذلك تواضعا لله الذي من عليه وعلى المسلمين بهذا النصر العظيم .

وهذا الجانب العظيم من شخصيته جعله يرفض كل مظاهر التعظيم والتفخيم من القيام وتقبيل الأيدي والاطراء والألقاب وغير ذلك من الأمور التي يلهث خلفها مرضى النفوس في كل الأزمنة .

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا "(٤)، وكان صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى أصحابه ، غير أنهم لم يكونوا يقومون له لكراهيته ذلك .

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر ، فلما كانوا عنده قالوا : أنت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى . فقالوا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا . فقال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشيطان ."(٥) وهذا كراهية منه للاطراء

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، ج ٧ ص ٩٠.
(٢) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب في تواضع رسول الله ج ١ ص ٣٧.
(٣) الشفا ج ١ ص ٢٦٥.
(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل ج ٤ ص ٣٥٥.
(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في كراهية التمادح ج ٤ ص ٢٥٤.

والألقاب .

ثم انه صلى الله عليه وسلم رفض تقبيل يديه عندما أراد بعض أصحابه أن يقبلها .

وكان صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته في مهنة أهله يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ، ويعلف البعير ويحمل بضاعته من السوق .

٣ - الحلم والعفو :

ومما اشتهر به صلى الله عليه وسلم من الخصال الكريمة الحلم والعفو عن المسيء ، فقد كان من أوسع الناس صدرا وأكرمهم عفوا ، لم يكن يكافيء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، وسع حلمه جفوة الأعراب وقسوتهم ، ولم يزده اسراف الجاهلين الا حلما وعفوا .

وهذا الأدب الرفيع أدبه به ربه عز وجل حتى بلغ درجة لا تداني تخور دونها عزائم الرجال ، من هنا نجد القرآن يخاطب النبي الكريم: " خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ."(١)

أخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي ، قال : لما أنزل الله " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال : لا أدري حتى أسأل العالم ، فذهب ثم رجع فقال : ان الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك "(٢) فامتثل عليه الصلاة والسلام لأمر الله ، فكان من أكثر الناس عفوا وصفحا عمن أساء اليه ، وقد تواترت الأخبار عن اتصافه بهذا الخلق الرفيع في صلاته ، من هذه الأخبار :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٩٩.

(٢) فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢٨١.

وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء " .[1] وفي رواية أخرى قال له الأعرابي : يا محمد احمل لي على بعيريَّ هذين فانك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا وأستغفر الله ، لا أحمل لك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني ، فقال الأعرابي : لا والله لا أقيدك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات كل ذلك يقول الأعرابي : لا والله لا أقيدك ، فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا اليه سراعا فالتفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : عزمت على من سمع كلامي أن لا يبرح مكانه حتى آذن له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من القوم : يا فلان احمل له على بعير شعيرا وعلى بعير تمرا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا ."[2]

وعن أبي سعيد الخدري قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه دينا كان عليه فاشتد عليه ، حتى قال له : أُحَرِّجُ عليكَ الا قضيتني فانتهره أصحابه وقالوا : ويحك ، تدري من تكلم ؟ قال : اني أطلب حقي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلاّ مع صاحب الحق كنتم .... فقضى الأعرابي وأطعمه فقال : أوفيتَ أو أوفى الله لك ، فقال : أولئك خيار الناس انه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير مُتَعتَع ".[3]

ومن ذلك ما روي أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا فعفا عنهم".[4]

ومن عظيم حلمه وكريم عفوه : " ما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما كُسرت رباعيته وشُجَّ وَجهُه يوم أحد شَقَّ ذلك على أصحابه رضي الله عنهم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشملة ج ٧ ص ٤٠.

(٢) سنن النسائي ، كتاب القسامة ، باب القود من الجبذة ، ج ٨ ص ٣٤ ، سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي ج ٤ ص ٢٤٧.

(٣) سنن ابن ماجة ، كتاب الصدقات ، باب لصاحب الحق سلطان ، ج ٢ ص ٨١٠، وقوله غير متعتع : أي من غير أن يصيبه أذي يزعجه .

(٤) فتح القدير ج ٥ ص ٥٢.

شقا شديدا ، وقالوا : لو دعوت عليهم فقال : اني لم أبعث لَعّانًا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ."(١)

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حينئذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال : " رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " (٢) ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا ، فلقد وُطِئَ ظهرك وأُدمِيَ وجهك وكُسِرَت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يلعمون .

قال القاضي أبو الفضل : انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم ، اذ لم يقتصر على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال : " اغفر واهد " ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله " لقومي" ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال " فانهم لا يعلمون " .(٣)

ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن عمر " أن ذا الخويصرة قال بعد قسمة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله ، فقلت : والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته ؛ فقال : فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ، رحم الله موسى قد أوذي أكثر من هذا فصبر ."(٤)

وليس أدل على حلمه وسعة صدره وعفوه عمن أساء اليه من موقفه النبيل مع قومه الذين ساموه سوء العذاب وأخرجوه من مكة ولحقوا به لمحاربته فما كان منه حين مكّنه الله منهم وأظفره عليهم الا أن عفا وصفح عنهم وقال لهم : ما تقولون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

---

(١) الشفا ج ١ ص ٢٢١.
(٢) سورة نوح ، آية ٢٦ .
(٣) الشفا ج ١ ص ٢٢٢.
(٤) صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس ،باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم ج ٤ ص ٦٠.

ثم ان موقفه مع أبي سفيان وزوجته هند بنت عتبة التي بقرت بطن حمزة عمه صلى الله عليه وسلم ومضغت شيئا من كبده لأعظم دليل على تحليه بهذا الخلق الرفيع ، وبهذا بلغ المرتبة العالية من الجلال والكمال مما جعله أهلا للاصطفاء والاختيار وحمل الرسالة الالهية وتبليغها للناس كافة .

٤ - لين الجانب وحسن العشرة :

ومما اشتهر به عليه الصلاة والسلام لين جانبه وحسن عشرته ، فقد كان من أحسن الناس عشرة وألينهم عريكة في تعامله مع الناس ، وقد أحبه كل من عاشره وعاش معه ، وكان أحب اليهم من الأهل والمال والولد، بل ومن أنفسهم لطيب معشره ولين جانبه .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كان أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ."(١)

وكان صلى الله عليه وسلم إلفا مألوفا ، يحسن عشرة أصحابه ، يؤلفهم ولا ينفرهم ، يكرم كريم كل قوم ، بشوش الوجه ، كثير التبسم، رحب الصدر ، بعيدا عن الغلظة والفظاظة ، نفى الله سبحانه وتعالى عنه هاتين الخصلتين بقوله : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ".(٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يخالط أصحابه ويمازحهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ، ويعود مرضاهم ويشيع موتاهم ، يبدؤهم بالسلام والمصافحة ، يسمع لقولهم ، ولا يعرض عن أحد منهم ، يعطي سائلهم ان كان عنده ما يعطيه والا رده بكلمة طيبة ، يقبل الهدية ولو كانت شيئا يسيرا ، يعطي كل جليس نصيبه من الاهتمام حتى يظن جليسه أن لا أحد

---

(١) الشفا ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٥٩.

أكرم عليه منه .

وصفه ابن أبي هالة بقوله : كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما يشتهي ولا يوءيس منه .(١)

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه في وصف معاملته صلى الله عليه وسلم لأصحابه : " ما التقم أحد اذن رسول الله فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (٢)، ولم يُرَ مُقَدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بهما على أحد ، يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ،ويوءثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان أبى ، ويكني أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام .(٣)

ويقول أنس أيضا : " خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ."(٤)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما ولا امرأة قط ".(٥)

وعن جابر بن سمرة قال : جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم ".(٦)

---

(١) الشفا ج ١ ص ٢٤٦.
(٢) سنن أبي داود،كتاب الأدب ، باب التجاوز في الأمر ، ج ٤ ص ٢٥٢.
(٣) الشفا ج ١ ٢٤٩.
(٤) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا ج ٤ ص ١٨٠٤
(٥) سنن أبي داود ،كتاب الادب ،باب التجاوز في الأمر ج ٤ ص ٢٥٠.
(٦) سنن الترمذي ،كتاب الأدب ، باب ما جاء في انشاد الشعر ج ٥ ص ١٤٠.

فَأَيّ خلق رفيع بلغه المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الناس، ما أحوج البشرية اليوم، والمسلمين خاصة الى أخلاقه لتستقيم الحياة وتتحقق السعادة.

ثم ان أهل بيته نالوا من حسن عشرته ولين جانبه الشيء الكثير فقد كان يلاطفهم ويمازحهم ويساعدهم في أعمال البيت، كيف لا وهو القائل: " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ".(١)

وكذلك الصبيان شملهم بهذا الخلق الرفيع فكان يداعبهم ويلاطفهم ويسلم عليهم اذا مر بهم.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير وهو فطيم كان اذا جاء قال صلى الله عليه وسلم: يا أبا عمير ما فعل النغير(٢) لطائر كان عنده.

وهكذا لمس الكبير والصغير، والمرأة والخادم، وكل من خالطه، حسن عشرته ولين جانبه، فقد وسع الجميع بأخلاقه السامية التي فطره الله عليها.

٥ - حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد:

خلق رفيع من أخلاقه الحميدة التي اشتهر بها عليه الصلاة والسلام، فقد كان من أحفظ الناس للعهود والمواثيق، ومن أشدهم وفاء للوعود، فلم يؤثر عنه أنه نقض عهدا أو خالف عهدا لأحد من الناس سواء كان من أتباعه أو من أعدائه، وسيرته العطرة خير شاهد على ذلك. كيف لا وشريعة الاسلام التي بعث بها تحث على احترام العهود والمواثيق وتؤكد على المحافظة عليها وتعتبر نقض العهد ومخالفة الوعد من كبائر الذنوب ومساوئ الشيم، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ "(٣) فَعَدّ حفظ العهد من جملة الأخلاق الحميدة

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء ج ١ ص ٦٣٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الاداب، باب استحباب تحنيك المولود ج ٣ ص ١٦٩٢.
(٣) سورة المؤمنون، آية ٨.

التي يتصف بها المؤمنون ، وقد حرم الله سبحانه وتعالى نصرة المسلمين لاخوانهم في الدين اذا كانوا يقيمون بين قوم مشركين ، بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق ، يقول تعالى : " وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُم فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ".(١)

ومن وفائه بالعهد بِرّهُ لزوجته خديجة بعد موتها فقد أثر عنه أنه كان يتفقد صويحباتها ويبرهن وفاء منه لمن آزرته وأيدته في أيام الدعوة الأولى .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه الله عليه وسلم اذا أُتِيَ بهدية قال : اذهبوا بها بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة ."(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها ، وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها ."(٣)

وكان يبر ثويبة مولاة أبي لهب وفاء منه لِلَّبَن الذي رضعه منها ، فقد أثر عنه أنه كان يبعث اليها بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد ."(٤)

ومن وفائه صلى الله عليه وسلم وصيته للمهاجرين أن يحسنوا الى الأنصار ، الذين نصروا الله ورسوله وقد أثر عنه : أنه لما كان في مرض الموت خرج الى أصحابه وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اليّ ، فثابوا اليه ثم قال : أما بعد فان هذا الحي من الأنصار يَقِلُّون ويكثُرُ الناس فمن ولي شيئا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاستطاع أن يضر فيه أحدا أو ينفع فيه أحدا فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ".(٥)

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٧٢ .

(٢) المستدرك ج ٤ ص ١٧٥.

(٣) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ،باب فضائل خديجة ،ج ٤ ص ١٨٨٨.

(٤) الشفا ج ١ ص ٢٦١.

(٥) صحيح البخاري ،كتاب الجمعة ،باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ، ج ١ ص ٢٢٣.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقتصر في وفائه على المسلمين ، بل كان من أشد الناس محافظة للعهود والمواثيق مع أعدائه ، حتى ولو كان فيها اعنات له ، حتى اذا نقض أعداوءه الميثاق جعل الله له بذلك مخرجا ، كما حصل من يهود بني النضير وبني قريظة الذين نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، وكما حصل من مشركي قريش حيث نقضوا شروط صلح الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو ممثل المشركين ، وكان من شروط الصلح أن من جاء محمدا من المشركين مسلما رده اليهم ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن رد أبا جندل مع أبيه سهيل بن عمرو وفاء منه لما اتفقوا عليه وان لم يكن قد كتب بعد ، وهذا غاية في الكمال الخلقي الذي بلغه صلى الله عليه وسلم .

٦ - الجود والكرم :

ومما اشتهر به صلى الله عليه وسلم الجود والكرم ، فقد كان أجود الناس وأكرمهم على الاطلاق شهد بهذا من عرفه قبل البعثة وبعدها ، وقد وصفته السيدة خديجة رضي الله عنها فقالت : " إِنَّكَ تَحمل الكَلَّ وَتَكْسِبُ المعدومَ ."

لقد كان صلى الله عليه وسلم جوادا كريما معطاء يفيض بالخير على كل سائل ، لم يعرف عنه أنه رد سائلا ، ان كان عنده ما يعطيه أعطاه والا يرده بكلمة طيبة ويعده بالعطاء اذا تمكن من ذلك ، بل ربما قال له اشتر ما تريد واجعل ثمنه دينا علي .

عن عمر رضي الله عنه قال : " جاء رجل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله انفق ولا تخشى من ذي العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ."(١)

---

(١) الشفا ج ١ ص ٢٣٣ .

وهذا غاية الجود ، ونهاية الكرم ، لم يصل اليه أحد من الناس ، وكان صلى الله عليه وسلم بكرمه الواسع وجوده العميم يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

وعن أنس رضي الله عنه قال : " ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء، من لا يخشى الفاقة ".(١)

وعن جابر رضي الله عنه قال : " ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ."(٢)

وعن أنس رضي الله عنه قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد ، فكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ جاءه العباس فقال : يارسول الله أعطني اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا قال خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع فقال أمر بعضهم يرفعه عليَّ ، قال لا ، قال : فارفعه أنت علي . قال : لا ، فنثر ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله وَثَمَّ منها درهم ."(٣)

وهكذا استعلى على المال ، ولم يلتفت اليه ، وأعطاه الناس ، دون أن يترك لنفسه وأهله منه شيئا .

وكان يسابق الريح المرسلة بالخير ، سريع الجود، كثير العطاء ، يقول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله شيئا قط فقال لا ج ٤ ص ١٨٠٦.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله شيئا قط فقال لا ج ٤ ص ١٨٠٥.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب ما أقطع النبي من البحرين ج ٤ ص ٦٥.

أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فَلَرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ."(١)

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة (٢).

وعن أبي ذر قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حَرَّةِ المدينة فاستقبلنا أحد فقال : يا أبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله . قال : ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار الا شيئا أرصده لدين الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ."(٣)

وهكذا فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يبارى ولا يجارى أبدا ، ينفق مما آتاه الله ، دون خوف من قلة أو جوع ، وكان لا يبقي لنفسه وعياله شيئا .

٧ - الشجاعة :

من الأخلاق العظيمة التي اشتهر بها عليه الصلاة والسلام الشجاعة والاقدام ورباطة الجأش في حروبه مع أعدائه ، فقد كان من أشجع الناس وأكثرهم اقداما ، يواجه العدو بنفسه دون خوف أو وجل شهد بهذا صحابته الذين رأو ذلك في حروبه ، فها هو فارس من فرسان المسلمين ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصور لنا مدى شجاعة المصطفى عليه الصلاة والسلام واقدامه لمجابهة العدو حيث يقول : " لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا ."(٤)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب بدء الوحي ،باب كيف كان بدء الوحي ج ١ ص ٤ .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب ما سئل رسول الله شيئا قط فقال لا ج ٤ ص ١٨٠٦.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ،باب المكثرون هم المقلون ج ٧ ص ١٧٧.

(٤) مسند أحمد ج ١ ص ٨٦.

والشواهد على شجاعته ورباطة جأشه كثيرة من ذلك موقفه يوم أحد اذ ثبت صلى الله عليه وسلم في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش.(١)

ويوم حنين ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساحة المعركة حين تفرق عنه الأصحاب، وفروا أمام العدو عندما باغتهم، ولم يبق معه الا القليل من أصحابه، يقول العباس في وصف يوم حنين: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يَركُضُ بغلته قِبَلَ الكفار، قال عبّاس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع."(٢)

وقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن.(٣)

ومن شجاعته، أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة من صوت سمعوه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من ذهب نحو الصوت لاستطلاع الأمر، روى أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السيف وهو يقول: لن تراعوا وقال: وجدناه بحرا، وكان الفرس بطيئا فعاد لا يجارى."(٤)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ج ٣ ص ١٤١٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ج ٣ ص ١٣٩٨
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ج ٣ ص ١٤٤٧.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء ج ٧ ص ٨٢.

وفي ثباته على الدعوة مع الايذاء والتعذيب الشديد في مرحلة الدعوة الأولى خير شاهد على شجاعته وجرأته ، فلم يضعف ولم يتردد في يوم من الأيام ، بل مضى في سبيله شجاعا مقداما لا تثنيه عداوة قريش ولا غيرها .

ثم من أخلاقه الحميدة التي اشتهر بها أيضا الصبر والحياء والوقار والعدل والعفة وصلة الرحم وقلة الكلام وصدق اللهجة ، وغير ذلك من الأخلاق العالية الكريمة التي اجتمعت فيه دون سائر البشر .

وهكذا فقد كان صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا في أخلاقه التي بلغت درجة الكمال ووصف الجمال ، والتي لم يصل اليها أحد من الناس الا الأنبياء والمرسلون الذين رباهم الله عز وجل ونشأهم على هذه الأخلاق الفاضلة ليكونوا أهلا للنبوة والرسالة .

وهذه الأخلاق التي عرف بها صاحب [illegible] هي التي دعى إليها الإسلام والتي سأتحدث عنها في الفصل القادم.

رابعا : حسن سياسته وتدبيره للأمور :

ومن قرائن أحواله الدالة على صدقه تلك السياسة الواعية الحكيمة التي عرف بها عليه الصلاة والسلام رغم نشأته في بيئة بسيطة يتيما فقيرا أميا ، فقد كان مثالا رائعا لرجل الدولة الحكيم ، والسياسي البارع والقائد الناجح المتبصر بدقائق الأمور القادر على معالجة الحوادث بالحكمة ، وهذا يدل على مدى ما كان يتمتع به عليه الصلاة والسلام من رجاحة العقل وكمال الفكر وسلامة المنطق المنقطع النظير .

يقول الامام الماوردي : " وقد دل على وفور ذلك فيه - رجاحة العقل - صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه وانه ما استفعل في مكيدة ولا استعجز في شديدة ، بل كان يلحظ الاعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها ، وهذا لا ينتظم الا بأصدق وهم وأوضح جزم ."(١)

وهذا الجانب العظيم من شخصيته الفذة صلى الله عليه وسلم برز بصورة واضحة جلية في المدينة المنورة بعد هجرته اليها حيث كانت مقرا للدولة الاسلامية الناشئة والتي كان هو زعيمها وقائدها .

والشواهد على حسن سياسته وحكمته في تدبير الأمور كثيرة ومتعددة ، من ذلك بناؤه للمسجد منذ الأيام الأولى من وصوله للمدينة المنورة اذ أحس بثاقب بصره أنه لا بد من ايجاد القاعدة الأساسية للدعوة الى الله وأداء العبادة فشرع ببناء المسجد ليكون مكانا للعبادة ومركزا للدعوة ومقرا للسلطة التنفيذية والقيادة العليا ، حيث يلتقي القائد فيه مع أتباعه ينصحهم ويشرع لهم ويشاورهم في مهام الأمور ، كما يلتقي مع الوفود القادمة اليه ويدعوهم الى الاسلام ، وكان أيضا المدرسة التي يتلقى فيها الناس العلم النافع ، وكان كذلك منطلقا للجيوش التي تتوجه للغزو والفتوح .

ومن حسن سياسته ذلك الدستور العظيم الذي وضعه عليه الصلاة

---

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ٢٠٣.

والسلام للمجتمع الجديد في المدينة المنورة لتحقيق الأمن والسلام الداخلي والخارجي ، لقد ضم المجتمع الجديد عناصر شتى ، الأوس والخزرج الذين كانوا يعيشون فيها ، منهم من دخل في الاسلام ، ومنهم من بقي على عبادة الأوثان ، ثم اليهود أصحاب الفتن والقلاقل ، ثم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم فرارا بدينهم ، وكان الأعداء يحيطون بها من كل جانب ، فرآى عليه الصلاة والسلام بثاقب بصره أنه لا بد من وضع دستور واضح المعالم يبين لكل فئة من هذا المجتمع ما لها وما عليها لمصلحة الوطن الذي يعيشون فيه ولحمايته من الأعداء المحيطين به من كل جانب ، فلذا أخذ العهود والمواثيق على اليهود لاحترام ما جاء في الدستور الجديد ، والالتزام به ،ضامنا لهم الحرية الدينية ، ومما جاء في هذا الدستور : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم لحق بهم وجاهد معهم انهم أمة واحدة من دون الناس(١)........" فنظم فيها حقوق كل طائفة وواجباتها.

ومن أعماله التي تدل على حسن سياسته المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، حرصا منه على وحدة صف المسلمين وتلاحمه بعضه مع بعض وطمسا لدعوى العصبية التي كانت متفشية بين القبائل العربية لأقتلاعها من نفوس الجماعة المسلمة .

وقد جعل عليه الصلاة والسلام للرجل من قريش أخا له من الأوس وللآخر من الخزرج ، ولم يزل يؤاخي بين هؤلاء وهؤلاء ويوثق الأواصر ، حتى لم يبق أحد من المهاجرين الا وله أخ في الله من الأنصار ، ثم غرس في نفوس الجميع معنى الأخوة في الله ، الذي هو أسمى من كل الروابط ، أسمى من رابطة الدم واللحم والنسب والعصبية للبلد ، حتى قَدَّمَ رباط العقيدة على رباط الدم في الميراث في المرحلة الأولى لقيام الدولة الاسلامية ونُسخ فيما بعد ، وهذا من أعظم الأسس التي أقيم عليها صرح الدولة الاسلامية الناشئة .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص١٠٦ .

وهذا العمل الجليل الذي قام به عليه الصلاة والسلام يدل على بعد نظره ورجاحة عقله وخبرته في أمور السياسة لأن قوة الصف من وحدته ،وليس أوثق من رباط الأخوة في الله الذي يوءلف بين النفوس من شتى البقاع والأصقاع ويصهرها في بوتقة واحدة قوية مرهوبة الجانب ٠

ومن حسن سياسته موقفه الحازم من مسجد الضرار الذي شيده المنافقون ليكون مركزا لبث الفتن في صفوف المسلمين فسارع عليه الصلاة والسلام الى اقتلاع الداء من جذوره ، فأمر باحراق المسجد وازالته عن وجه الأرض ، ولم تمنعه رقته ورحمته من اجتثاث هذا المنكر من أصوله ، يدل على حكمته البالغة وتدبيره السديد ٠

ومن ذلك أيضا مصالحة أهل مكة وكتابة معاهدة بينه وبينهم ،وذلك عندما توجه هو وأصحابه الى مكة يريدون أداء العمرة ، فحالت قريش بينهم وبين ما يريدون ، فكتب الكتاب الذي عرف بصلح الحديبية ٠ وقد تضمن هذا الصلح شروطا ظاهرها ليس في مصلحة المسلمين ، وخاصة ذلك الشرط الذي أملته قريش الذي يقول أن من يلجأ الى محمد خلال مدة الصلح من غير اذن وليه ، من قريش ،يرده اليها ، والا ترد قريش من يلجأ اليها من أصحاب محمد ، فشق ذلك على المسلمين ، وكادا أن يهلكوا مما دخل عليهم من أمر ذلك الصلح حتى أن عمر بن الخطاب وثب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ٠

ومرت الأيام وأثبتت أن الخير كان في هذا الصلح ، وكشفت عن كياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجاحة عقله ، اذ أسفر هذا الصلح عن فتح مكة بعد مضي سنتين عليه ، فكان بركة على الاسلام حتى ذلك الشرط البغيض الذي شق على المسلمين قبوله ، تحول بعد سنة من المعاهدة الى حَرْبَةٍ في صدر قريش ، حينئذ لجأت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثة مستصرخة لالغائه لأن المسلمين الفارين بدينهم من قريش لجأوا الى الجبال في ساحل البحر وقطعوا الطريق على تجارة قريش

وهكذا تبين للناس حسن سياسته وبالغ حكمته في تصريف الأمور ٠

وتبدو حكمة السياسي البارع ، وحنكة القائد الحكيم في موقفه حين اجتمع الأحزاب لحربه واستئصال المسلمين ، وحين نقضت بنو قريظة عهدها المبرم معه ، فما كان منه حين سمع ذلك الخبر الا أن أرسل من يستطلع الخبر ، وأمرهم أن يلحنوا له بلحن اذا كان ما سمعه حقا حتى لا يوهنوا عزائم المسلمين ، وان كان ما سمعه غير صحيح وأنهم لم يزالوا على عهدهم فليجهروا بذلك بين الناس فلما رجع القوم لحنوا اليه بأن ما سمعه كان حقا حينئذ قال عليه الصلاة والسلام " الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين "٠

وبهذا تتجلى حكمة القائد الناجح في الكشف عن الأحداث والتكتم عليها للمحافظة على الروح المعنوية لدى جنده ٠

هذه بعض مواقفه العظيمة التي تكشف عن مدى حكمته البالغة في تصريف الأمور ومعالجة الأحداث ٠

وبعد هذا العرض لفصول من أحواله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، يتبين لنا المستوى الرفيع الذي بلغه عليه السلام في كل أحواله ، وظهرت لنا عظمته في كل جوانب شخصيته ، فهو عظيم في ذاته ، عظيم في صفاته وأخلاقه ، عظيم في أفعاله ، ومرجع كل هذا نبوته وعناية الله به ، صلى الله عليه وسلم ٠

وكلمة أخيرة أختم بها الكلام على سيرته فأقول : لقد توفر في رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من الصفات والخصال لم تجتمع لأحد غيره على مر التاريخ ، وكان رسول الله في كل خصلة منها غاية الكمال بحيث يفوق الرجل المتخصص فيها ، وكانت هذه الصفات فيه مجتمعة بتوازن بحيث لا يطغى جانب على آخر ٠

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا بربه ، شديد الصلة به ، كثير العبادة له ، وكان بأيمانه وعبادته يفوق العُبّاد الذين انقطعوا عن الدنيا ومشاغلها ٠

وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا في حياته ، لم يبحث عن لذائذ الطعام وألوان الشراب ، ان وجد أكل وان لم يجد صبر ، وكان لباسه خشنا، وفراشه خشنا ، وبيته بسيطا ، وأثاثه قليلا وكان في زهده أشد من أشهر الزهاد الذين يتناقل الناس أخبارهم .

وكان قائدا ناجحا يحسن تدبير الأمور ، ويجيد تصريفها ، ويختار من الأمور أحكمها وأسلمها وكانت رعيته مُحِبَّةً له ، واثقة به ، راضية بقيادته ، مستسلمة لأمره ، وكان في قيادته أعظم من مشاهير الحكام وعظماء الأكاسرة والقياصرة .

وكان صلى الله عليه وسلم عسكريا شجاعا ، لا يهاب الموت ولا يُلقي في نفس الوقت جنوده في المهالك ، وحسنَ التخطيط للمعارك ، ويقود الجند الى النصر ، وقد برَّ كبار القادة في هذا الجانب .

وكان قمة في أدبه وأخلاقه ومعاملته للغير وتربيته لأصحابه ، وتنشئتهم على الطريق المستقيم وتعليمهم الخير من الشر بحكمة وصبر، وكان في ذلك أعظم المربين .

وكان صلى الله عليه وسلم الزوج القريب من أزواجه ، لم تشغله أعماله الكثيرة عن بيته ، ولم يجنح لزوجة دون أخرى ، يقسم لهن في العطاء والنوم وجميع المستلزمات ، وكان على قلة ذات يده وشظف عيشه ، أكرم الأزواج وأبرهم بأهله وأعطفهم عليهم وأحبهم اليهم .

كل هذا دون أن يطغى فيه جانب على آخر ، ودون أن ينسيه واجب واجبا غيره ، فكان قمة ورأسا وعلما في جميع الجوانب .

ولئن اشتهر بعض الناس بحسن سياسته أو بعبقريته العسكرية أو بكثرة عبادته أو بشدة زهده ، أو جمال خلقه ، أو بحسن عشرته ، الا أنه لم يكن ليحوز الكمال في بقية الجوانب ، ولكن رسول الله كان كاملا بأخلاقه الشاملة لكل جانب من جوانب الحياة مما جعله مثلا أعلى وأسوة حسنة وقدوة خَيِّرة لأصحابه وأتباعه الى يوم الدين .

ان سيرة رسول الله مكشوفة معروفة بكل دقائقها وتفصيلاتها وهي في كل جزئية منها شاهد عظيم على صدقه وعظمته وكمال أخلاقه ، وأهليته لتحمل الأمانة وتبليغ الرسالة .

الفصل الثالث

الدلالة الموضوعية للرسالة المحمدية

على صدقه صلى الله عليه وسلم

المقصود بهذا الفصل هو : دلالة ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية من موضوعات مختلفة سواء ما كان منها في جانب العقيدة أو الأخلاق أو التشريع ، على صدقه صلى الله عليه وسلم .

وبالمقارنة بين موضوعات القرآن الكريم وأشعار العرب في الجاهلية ، يظهر لنا أن هناك انعطافا شديدا من حيث المسائل التي تحدث عنها القرآن ، فالشعر العربي في الجاهلية والنثر أيضا تحدث عن الفخر والرثاء والغزل والهجاء والمدح وأيام العرب ووصف الناقة وغيرها ، بينما تحدث القرآن عن عقيدة التوحيد والأنبياء والقيامة وعبادة الله والتمسك بالفضائل والأخلاق الكريمة وتنظيم جوانب الحياة المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية .

اذن لم يكن مضمون القرآن الكريم امتدادا لمضمون الشعر العربي، وليس هو وليد تلك البيئة ، ولم يكن نهاية تطور معين ، فما هو الا هبة السماء الى أهل الأرض لاخراجهم من ظلام الجهل الى نور الوحي .

وسأتكلم ان شاء الله في هذا الفصل مفردة الحديث في جانب العقيدة بمبحث وفي جانب الأخلاق بمبحث آخر ، وفي جانب التشريع بمبحث ثالث ، ممهدة لكل هذا بمقدمة عن مزايا الرسالة المحمدية بمعناها الواسع الذي يتضمن الجوانب الثلاثة .

ختم الله سبحانه وتعالى الشرائع السماوية بشريعة الاسلام ، تلك الشريعة العظيمة التي بعث بها المصطفى صلى الله عليه وسلم لاسعاد البشرية وتحقيق الخير لها في الدنيا والآخرة وانقاذها من مهاوي الضلال ومستنقعات الفساد الذي تخبطت به ولا زالت تتخبط به كلما

بعدت عن منهج الله ، وهذا من رحمة الله الواسعة بعباده الضعفاء القاصرين عن الاحاطة بما فيه خيرهم في دنياهم وآخراهم .

والشريعة الاسلامية هي وحدها الكفيلة بتحقيق السعادة الكاملة للبشرية ، اذا ما التزمت بها دستورا ومنهاج حياة ، لما تمتاز به عن غيرها من الشرائع السماوية الآخرى والنظم الوضعية . فهي الشريعة الشاملة الكاملة ، التي أكمل الله بها الشرائع السماوية السابقة ، وصحح بها ما طرأ عليها من التحريف والتبديل .

والمتأمل في هذه الشريعة يقف على مزاياها الفريدة وخصائصها المتميزة والتي من أهمها :

أولا : أنها شريعة الهية :

الشريعة الاسلامية منزلة من الله سبحانه وتعالى ، المتصف بصفات الكمال والجلال ، العليم الخبير بما فيه مصلحة العباد في العاجل والآجل ، قال تعالى : " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "(١).

وبهذا فهي تختلف عن غيرها من الشرائع الوضعية اختلافا جوهريا لأن مصدر تلك الشرائع البشر الضعفاء المتصفون بالعجز والنقص والجهل، وبهذا فهي شريعة عادلة لا ظلم فيها ، كاملة لا نقص يشوبها . قال تعالى : " وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ "(٢)، والنظم الصادرة عن البشر ناقصة جائرة كأصحابها .

ان الشريعة الاسلامية هي دين الله الخالد الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده وأوجب عليهم الالتزام به والسير على نهجه ، ولا يقبل منهم دينا غيره ، قال تعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ "(٣)وقال : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"(٤)

---

(١) سورة الملك ، آية ١٤ .
(٢) سورة المائدة ، آية ٥٠ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٩.
(٤) سورة آل عمران ، آية ٨٥.

ولهذه الشريعة باعتبار صدورها عن الله سبحانه وتعالى آثر كبير وسلطان عظيم على نفوس المؤمنين بها في كل زمان ومكان ، يحترمونها ويلتزمون بما فيها عن طواعية ورضى بخلاف النظم الوضعية فليس لها ذلك السلطان وتلك الهيبة ، مما يجعل الناس يتجرأون عليها بالمخالفة كلما استطاعوا الافلات من رقابة الدولة وسلطة القضاء ، أما الشريعة الاسلامية فحظيت باحترام الجميع وخوفهم من مخالفتها لما تغرسه في النفوس من الوازع الديني الذي يربي النفوس من الداخل ويوقظها لتكون رقيبا على صاحبها في السر والعلن .

ومن الأمثلة الواضحة التي تؤكد سلطان الشريعة العظيم على نفوس أتباعها بخلاف النظم الوضعية تحريم الخمر ، فقد جاء الاسلام والعرب في الجاهلية مولعون بشرب الخمر ، يحبونها حبا شديدا ، ولا تكاد تفارق مجالسهم فما أن نزل القرآن بتحريمها في نهاية المطاف حتى سارعوا الى امتثال الأمر وطاعة الله وبادر الجميع الى اراقة ما عندهم منها حتى سالت بها أزقة المدينة ، وبهذه الطريقة من الشارع الحكيم اقتلعت عادة مستحكمة من المجتمع العربي الذي عرف نور الاسلام آنذاك .

ولنر في المقابل تجربة الولايات المتحدة في القرن العشرين عندما أرادت منع شعبها من تعاطي الخمور ، لما لها من أضرار كثيرة ، فشرعت سنة ١٩٣٠م قانونا يقضي بمنع الخمر ومهدت له بدعاية واسعة عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، وقامت بطبع العديد من الكتب والنشرات التي تبين مضار الخمر ، مُوَثَّقَةً بالاحصائيات والبحوث العلمية والطبية وقد بذلت الأموال الطائلة من أجل ذلك ، اذ بلغت تكاليف الدعاية (٦٥) مليون من الدولارات .

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ لقد دلت الاحصائيات للفترة الواقعة بين تاريخ تشريع القانون سنة ١٩٣٠م والغائه سنة ١٩٣٣م أنه قتل في سبيل الغائه مئتا شخص وسجن نصف مليون ، وغرم المخالفون الملايين من الدولارات وصودرت أموال بسبب المخالفة تقدر بأربعمائة مليون ، وكان آخر المطاف أن اضطرت الحكومة الى الغاء القانون في أواخر سنة ١٩٣٣م.(١)

(١) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٤٢ - ٤٣ .

وهذا يدل على ضعف سلطان القانون الوضعي وقوة سلطان النظام الرباني ٠

ثانيا : أنها شريعة عالمية :

أرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ليكون منهاج حياة للبشرية جمعاء ، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وبيئاتهم، قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا "(١)٠ وقال: " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا "(٢)، وقال : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "٠(٣)

فليست هذه الشريعة لقريش خاصة ، ولا للعرب ، بل لكل البشر، بخلاف سابقاتها من الشرائع التي كانت تختص بزمان معين ومكان معين وأقوام معينين ، وبخلاف النظم الوضعية التي توضع لتنظيم شؤون دولة معينة ، تحد باقليم معين ٠

ولما كانت هذه الشريعة عالمية جاءت مبادئها وقواعدها عامة كلية صالحة لكل زمان ومكان ٠

ثالثا : أنها شريعة خالدة ثابته :

شريعة الاسلام ، شريعة خالدة ثابته ، كتب الله لها البقاء أبد الدهر ، فلم يلحقها النسخ ، ولا تقبل التغيير أو التبديل مطلقا ،بخلاف الشرائع السماوية السابقة والتشريعات الوضعية ، فقد نسخت الشرائع السابقة بشريعة الاسلام ، ولحق بها أيضا التبديل والتغيير من قبل رجال الدين الذين وكل الله لهم حفظها ، وكذلك النظم الوضعية غير ثابته ، بل دائمة التغيير والتبديل بحسب أهواء واضعيها ومصالح الطبقة

---

(١) سورة سبأ ، آية ٢٨ ٠
(٢) سورة الأعراف ، آية ١٥٨ ٠
(٣) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧٠

الحاكمة المترفة .

وقد تكفل الله بحفظ كتابه بقوله : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ".(١)

ولما كانت الشريعة الاسلامية متميزة بثباتها وعدم تغيرها جاءت أحكامها قطعية في العقائد والمباديء العامة وأصول التشريع . وجاءت مرنة في أحكامها الشرعية تستوعب كل جديد وتواكب كل تطور وتتلاءم مع مختلف الظروف وتساير الزمان والمكان .

رابعا : أنها شريعة ملائمة للفطر السليمة :

جاءت أحكام الشريعة الاسلامية ملائمة للفطر السليمة بكل رغباتها وأشواقها ، فهي تعترف بحاجات الانسان الروحية والمادية ، وتنظر اليه على أنه روح ومادة ، وتبني أحكامها على الموازنة بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد دون تنمية لأحدهما على حساب الآخر ، يقول تعالى : "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ".(٢) ، ولهذا جاءت أحكامها واقعية ، وهذا ما أخفقت به التشريعات الوضعية ، اذ أنها تهمل الجانب الروحي في الانسان ، بينما تعاليم الكنيسة تهتم بالجانب الروحي على حساب الجانب المادي ، وفي كلا الحالتين تحدث الفوضى والاضطراب ولا يجد الانسان طعم السعادة ولذة العيش وهذا سر الجنوح الذي تحياه البشرية وخاصة المجتمع الغربي .

خامسا : أنها شريعة أخلاقية :

تتضمن الشريعة الاسلامية مباديء أخلاقية رفيعة غاية في الكمال والجمال ترتكز على الوازع الديني من رقابة لله سبحانه ورجاء في ثوابه وخوف من عقابه .

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٢) سورة القصص ، آية ٧٧.

لقد حثت الشريعة الاسلامية كثيرا على مكارم الأخلاق ودعت اليها ليرتقي الانسان بها ويسمو ويستقيم سلوكه ، وليست الأخلاق أدبا نظريا يتحلى به صاحبه ، بل هي التزامات عملية يوجبها الدين وتستلزمها العقيدة السليمة ، وهي غاية تربوية وثمرة للعبادات تنعكس لتكون ترجمة عملية في حياة الأفراد والأمم . وبهذا تختلف عن النظم الوضعية التي لا اعتبار فيها للأخلاق مطلقا ، لأن الأخلاق من محاسن العادات في حياة الأفراد ، والقانون نظام يقضى به فيما يكون بن الناس من الخصومات ، لذا فهو يهمل المبادئ الأخلاقية ولا يعاقب على ما فيه ضرر مباشر للأفراد أو اخلال بالأمن ، فلا يعاقب مثلا على الزنا الا اذا كان فيه اكراه لأنه لا يعتبر الزنا في حد ذاته جريمة ، كما لا يعاقب على شرب الخمر الا اذا وجد السكران في الطريق العام ، لأن القانون لا يعتبر شرب الخمر رذيلة في حد ذاته حتى يعاقب عليه ، فالقانون لا يقوم على الأخلاق بخلاف الشريعة الاسلامية التي تعتبر الأخلاق جزءا من نظامها وتبني أحكامها عليها وتدعو اليها وتعاقب على مخالفتها.

سادسا : أنها شريعة كاملة شاملة :

تتصف شريعة الاسلام بالكمال ، لأنها صادرة ممن يتصف بالكمال المطلق ، وقد كملت قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهت الى الغاية التي أرادها الله عز وجل ، يقول تعالى : "اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ".(1)

وهي شريعة شاملة ، تعني بتنظيم جوانب الحياة المختلفة ، وتقيم أحكامها على أصول عقدية سليمة ، ثم تنظم صلة الانسان بخالقه وصلته بنفسه وبالمجتمع من حوله ، سواء في الجوانب الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الدولية أو العسكرية أو الجنائية أو القضائية .

وتنقسم أحكام الشريعة الاسلامية الى ثلاثة أقسام :

---

(1) سورة المائدة ، آية ٣ .

القسم الأول : الأحكام الاعتقادية : وتتضمن قضايا الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى .

القسم الثاني : الأحكام الخلقية : وهي التي تتعلق بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة وصلة الرحم والأخوة .

القسم الثالث : الأحكام العملية : وهي التي تتصل بالأقوال والأفعال الصادرة عن الانسان في علاقاته مع خالقه ومع غيره ، وهي قسمان : العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر ويمين واعتكاف . ومعاملات كالأحكام المتعلقة بالأسرة والمعاملات المالية والقضاء وموارد الدولة ومصارفها ونظام الحكم وقواعده وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول الى غير ذلك من الأحكام .

ان الشريعة الاسلامية نظام حياة متكامل الجوانب انبثق منه مجتمع اسلامي نظيف تربطه أواصر المحبة والأخوة والمساواة بين أفراده والتعاون بينهم على الخير ، ذلك المجتمع الذي يتلقى شريعة الله بالقبول والرضى ويتقيد بتعاليمها .

هذه أهم مزايا الرسالة المحمدية التي ارتضاها الله لعباده ، وأشرع الأن في الحديث عن جوانبها الثلاثة العقيدة والأخلاق والشريعة ، مفردة الكلام في كل واحدة منها بمبحث خاص .

المبحث الأول

العقيدة الاسلامية

جاءت الشريعة الاسلامية بعقيدة واضحة بسيطة لا لبس فيها ولا غموض ولا تعقيد ، قوامها توحيد الباري عز وجل وافراده بالخلق والتدبير والتصرف ، فهو وحده الخالق المالك المتصرف في هذا الكون ، يحيي ويميت ، يعطي ويمنع ، يعز ويذل ، بيده الأمر كله ، قال تعالى: " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ "(١). وقال : " وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ "(٢) وارادته مهيمنة مسيطرة على الكون كله ، يفعل ما يشاء ، قال تعالى : " وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ "(٣). وقال : " لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ".(٤)

وكذلك افراده تعالى وحده بالعبادة والخضوع ، فهو وحده الاله المعبود بحق ، لا اله غيره ولا معبود سواه ، قال تعالى : " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ "(٥). وقال : " وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ "(٦). وقال : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلٰهِ النَّاسِ "(٧)، فهو رب الناس ، خالقهم ورازقهم والمتصرف في شؤونهم ، الاله المستحق لعبادتهم ، الذي لا يجوز اشراك غيره معه بأي نوع من أنواع العبادة، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٥٤ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ٢٦ .
(٣) سورة القصص ، آية ٦٨ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢٨٤ .
(٥) سورة محمد ، آية ١٩.
(٦) سورة البقرة ، آية ١٦٣.
(٧) سورة الناس ، الآيات ١ - ٣ .

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "(١). وقال : " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ "(٢).

ثم افراده سبحانه وتعالى بكل صفات الكمال والجلال وتنزيهه عن كل صفات النقص والمشابهة ، فله سبحانه المثل الأعلى ، لا يشاركه أحد في أسمائه وصفاته ، قال تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "(٣)، وقال : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ "(٤)، فهو يتصف بالصفات العليا والأسماء الحسنى من العلم الواسع والقدرة المطلقة والارادة الشاملة والرحمة الواسعة والعلو وغير ذلك من صفات الجلال والكمال ، قال تعالى : " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا "(٥).

والايمان بالله وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل هو الركن الأصيل والقاعدة الأساسية في العقيدة الاسلامية التي ينبثق منها سائر مقومات العقيدة .

ومن مقوماتها الايمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وأهوال وحساب ، ذلك اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويحاسبهم على أعمالهم ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، قال تعالى : " يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ".(٦)

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ٢١ - ٢٢ .
(٢) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ - ١٦٣.
(٣) سورة الشورى ، آية ١١.
(٤) سورة الاخلاص.
(٥) سورة الأعراف ، آية ١٨٠.
(٦) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ - ٨ .

ولأهمية هذا الركن في العقيدة الاسلامية نجد القرآن الكريم يؤكد عليه كثيرا ، حتى انه لا يكاد يذكر الايمان بالله الا ويقرن به الايمان باليوم الآخر ، قال تعالى : " لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ".(١) ولكن مشركي العرب استعظموا هذا الأمر ، وأنكروا البعث والحساب بعد الموت والبلى ، فرد الله عليهم انكارهم وأقام الأدلة القاطعة على ذلك مبينا لهم أنه سبحانه لم يخلق الناس عبثا وأن حكمته البالغة وعدله المطلق يقتضي أن يكون هناك يوم آخر يحاسب فيه الجميع على أعمالهم ، قال تعالى : " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ."(٢)

ومن مقومات العقيدة الاسلامية الايمان بالملائكة ، ذلك العالم الغيبي ، الذي خلقه الله عز وجل من نور قبل أن يخلق آدم أبا البشرية عليه السلام . والملائكة مفطورة على الطاعة ، مجبولة على الخير ، منزهة عن الشهوات الحيوانية ، لا يعصون الله ، قال تعالى في وصفهم : " يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "(٣)، وقال: " لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "(٤).

وللملائكة أعمال مختلفة كلفهم الله بها ، منهم سفراء الوحي بين الله ورسله ، ومنهم الموكلون بالجنة والنار ، ومنهم الموكلون بأمور الخلق من الحفظ وتسجيل الأعمال والدعاء والاستغفار للمؤمنين وغير ذلك من الأعمال التي يؤدونها دون عصيان أو مخالفة ، قال تعالى: " بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ " .(٥)

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٧٧.
(٢) سورة "المؤمنون"، الآيتان ١١٥ - ١١٦.
(٣) سورة النحل ، آية ٥٠ .
(٤) سورة التحريم ، آية ٦.
(٥) سورة الأنبياء ، الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

ومن مقوماتها أيضا الايمان بالرسل ، أعلام الهدى في الأرض ، الذين اصطفاهم الله واختارهم ليكونوا مشاعل النور ، وهداة الخير ، من لدن نوح عليه السلام وحتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

والايمان برسل الله جميعا دون تفريق بينهم واجب على كل مسلم يوءمن بالله تعالى ، ولا يجوز الايمان ببعضهم دون الآخرين ، ومن لم يوءمن بواحد منهم فقد كفر ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُوءْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ".(١)

ومن هنا نجد القرآن الكريم يوءكد على الايمان برسل الله جميعا دون تفريق ، قال تعالى : " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ".(٢)

ومن مقوماتها الايمان بالكتب المنزلة من لدنه سبحانه وتعالى على رسله الكرام عليهم صلوات الله وسلامه كالتوراة المنزلة على موسى ، والانجيل المنزل على عيسى والزَّبُور المنزل على داود وصحف ابراهيم ، والقرآن المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، تلك الكتب التي كانت تبين الخير من الشر ، والحق من الباطل ، لتهتدي البشرية بهديها ، وتنعم بالخير والسعادة في اتّبَاعها .

ومما جاء في القرآن الكريم يوءكد نزول الكتب السماوية من لدنه سبحانه قوله تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ "(٣) .

---

(١) سورة النساء ، الآيتان ١٥٠ - ١٥١.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٣٦ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٤٤ .

وقوله : " وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابنِ مَريَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَاةِ وَآتَينَاهُ الإِنْجِيلَ "(١)، وقوله : " وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً "(٢)،وقوله : " أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ "(٣)، وقوله : " وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ".(٤)

ولكن رجال الدين في اليهودية والنصرانية قاموا بتحريف التوراة والانجيل ، بالتبديل والتغيير والزيادة والنقص. يقول تعالى : " مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ "(٥)، ويقول : " يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ " (٦)، ولم يسلم من هذه الكتب من التحريف والتبديل الا القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه بقوله تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "(٧).

ومن مقوماتها الايمان الجازم بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ، ومعناه الايمان بأن كل ما حدث ويحدث في هذا الكون بشكل عام والانسان بشكل خاص قد عَلِمَهُ الله عز وجل قبل حدوثه وكتبه عنده في اللوح المحفوظ ، لأن من صفات الله العلم المطلق.

فالقَدَر اذن هو ما قَدَّرَهُ الله عز وجل في القدم وعَلِمَ أنه سيحدث في أوقات معلومة عنده ، وعلى صفات مخصوصه ، وكتب ذلك عنده في اللوح المحفوظ ، والقضاء هو حدوث الوقائع طبقا لما كتب تماما .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤٦ .
(٢) سورة النساء ، آية ١٦٣ .
(٣) سورة النجم ، الآيتان ٣٦ — ٣٧ .
(٤) سورة المائدة ، آية ٤٨.
(٥) سورة النساء ، آية ٤٦.
(٦) سورة المائدة ، آية ٤١ .
(٧) سورة الحجر ، آية ٩ .

فقدر الله مهيمن ومسيطر على الكون ، شامل لكل موجود خلقه الله تعالى ، فكل شيء قدر الله سبحانه وتعالى مقاديره وأحواله وعلم ما سيكون له وما سيكون منه ، قال تعالى : " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "(١)، وقال : " وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ "(٢)، وقال : " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ "(٣).

والانسان من ضمن ما في الكون ، قدر الله مقاديره وأحواله ،رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . قال تعالى : " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ "(٤). ويجب على المسلم أن يؤمن بأن كل ما يحدث له في هذه الحياة معلوم ومكتوب عند الله قبل حدوثه .

هذه هي مقومات العقيدة الاسلامية التي جاء بها المصطفى عليه الصلاة والسلام ودعا اليها وعمل على ترسيخها في قلوب أصحابه ، وخاصة في مرحلة الدعوة المكية .

وهي ميراث رسل الله جميعا ، فما من رسول الا ودعا قومه الى توحيد الله عز وجل وافراده بالعبودية الخالصة ، ها هو نبي الله هود يدعو قومه الى توحيد الله وعبادته ، قال تعالى : " وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ "(٥) ، وهذا نبي الله صالح دعا قومه الى عبادة الله وحده ، قال تعالى : " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ "(٦)، ونبي الله شعيب دعا قومه لتوحيد

---

(١) سورة القمر ، آية ٤٩ .
(٢) سورة الرعد ، آية ٨ .
(٣) سورة الحجر ، آية ٢١ .
(٤) سورة الحديد ، آية ٢٢.
(٥) سورة الأعراف ، آية ٦٥.
(٦) سورة الأعراف ، آية ٧٣.

الله ، قال تعالى : " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ "(١). وهكذا سائر الأنبياء والرسل بعثوا بعقيدة التوحيد التي لا تتغير ولا تتبدل ، فأصول الاسلام هي نفسها أصول الديانات السماوية السابقة التي بُعث بها الرسل الأولون ، قال تعالى : " شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ "(٢).

وهذه العقيدة تقوم على مخاطبة العقل ، وتدعوه الى التأمل والتفكر في ملكوت الله ، في السموات والأرض ، وما بُثّ فيهما من الآيات الكثيرة الدالة على وجود الله وقدرته سبحانه وتعالى . يقول الله تعالى : " قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "(٣)، ويقول : " قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا "(٤)، ويقول: " أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ "(٥) ، ويقول : " وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ "(٦) ويقول: " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "(٧).

وهكذا يدعو الاسلام الانسان الى النظر في هذا الكون وكل ما فيه ليصل من خلال تفكيره وتأمله الى خالق هذا الكون ولا يقبل التقليد في هذه المسألة ، وقديما قال الأعرابي ، البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ، أرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج ، وبحار ذات أمواج أفلا تدل على العليم الخبير .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٨٥.
(٢) سورة الشورى ، آية ١٣ .
(٣) سورة يونس ، آية ١٠١ .
(٤) سورة سبأ ، آية ٤٦ .
(٥) سورة الأعراف ، آية ١٨٥.
(٦) سورة الذاريات ، الآيتان ٢٠ - ٢١ .
(٧) سورة الغاشية ، الآيات ١٧ - ٢٠

والايمان بالله سبحانه وتعالى وبسائر أركان الأيمان ، ليس اعتقادا نظريا ينتهي عند حد التصديق بل يترتب على هذا الأيمان عمل بنّاء وسلوك سليم ، فللأيمان آثار كثيرة وثمرات عديدة من أهمها :(١)

١ - العمل الصالح :

للعقيدة الاسلامية أثر بَيّن واضح في حياة الأفراد والجماعات ، فما أن تستقر في قلب المرء حتى تظهر عليه ثمارها الطيبة في كل حركاته وسكناته . فالتوحيد الذي تقوم عليه هذه العقيدة توحيد فاعلية وتأثير وليس مجرد توحيد نظري ، ويبدو هذا واضحا جليا عند كل من غمر الأيمان قلوبهم وعَمَرَ صدورهم ، وخاصة أولئك النفر الذين تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشوا لله في كل حركاتهم وسكناتهم يحسون بوجوده في نفوسهم وفي حياتهم ، وبهذا كانوا نموذجا فريدا ، ومثلا صادقا ، وترجمة حية وثمرة دانية القطوف لهذه العقيدة الصافية .

والعقيدة المؤثرة مَثَلُها مثل الشجرة الطيبة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "(٢). فالايمان اذا تحقق وجوده يتحول الى قوة فاعلة في الحياة ، فهو يُحَوِّلُ الضعف الى قوة ، والهزيمة الى نصر .

وكثيرا ما اقترن الايمان في كتاب الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح ليؤكد أنه ليس عبارة عن مشاعر وتصورات فقط ، بل حياة حافلة بأعمال الخير لا تنقطع ما دام الايمان يعمر القلوب ، يقول تعالى : " وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبْرِ "(٣). ويقول : " وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) اسس في التصور الاسلامي ص ٦١ وما بعدها .

(٢) سورة ابراهيم ، الآيتان ٢٤ - ٢٥ .

(٣) سورة العصر .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ "(١)، ويقـول: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً "(٢).

فالعمل الصالح ثمرة من ثمرات الايمان وأثر من آثاره ، قال تعالى مبينا لأثر الايمان في نفوس الناس وأحوالهم : " إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً ".(٣)

٢ - تصحيح تصورات الناس ومعتقداتهم :

عاش الناس فترة من الزمن قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في ضلال وانحراف وفساد في التصور والاعتقاد ، تسيطر على عقولهم الأوهام والخرافات ، يعبدون الحجارة الصمّاء ، ويقدسون الجنّ ويستجيرون بهم ويعتقدون أنهم يعلمون الغيب وأن لهم سلطانا على الأرض ، وكانوا يلجأون الى الكهنة والسحرة والعرّافين يستفتونهم في كل شأن من شؤون حياتهم .

ولقد انحرف تصورهم نحو الاله وصفاته وعلاقته بالكون ، وانحرف تصورهم نحو الانسان ذاته ، منشؤهُ ومصيره والغاية التي من أجلها وجد، ومركزه في هذا الكون الفسيح وطبيعة صلته بالله .

لقد كان منهم من يصف الله بصفات لا تليق به سبحانه ، كاليهود الذين يصفون الخالق جل وعلا بالتعب والاعياء بعد خلقه للسموات والأرض ، وهو عندهم يصارع نبي الله يعقوب فيصرعه يعقوب عليه السلام ، كما وصفوه بالفقر والبخل : " وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيفَ يَشَاءُ "(٤)، " لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥.
(٢) سورة الكهف ، آية ١٠٧ .
(٣) سورة الأنفال ، الآيات ٢ - ٤ .
(٤) سورة المائدة ، آية ٦٤.

قَولَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ "(١). وادَّعوا أن لله ولدا، ونسبوا له عزيرا تعالى الله عن ذلك .

وادعى النصارى أيضا الولد لله فنسبوا له المسيح عليه السلام : " وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيرٌ ابنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابنُ اللَّهِ ".(٢)

وادعى مشركو العرب أن الملائكة بنات الله : " وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ "(٣). الى غير ذلك من الضلال والانحراف الذي كان يتخبط به الناس .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : " جاء الاسلام وفي العالم ركام هائل من العقائد والتصورات والفلسفات والأساطير والأفكار والأوهام والشعائر و التقاليد والأوضاع والأحوال يختلط فيها الحق بالباطل والصحيح بالزائف والدين بالخرافة والفلسفة بالأسطورة ، والضمير البشري تحت هذا الركام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون لا يستقر منها على يقين"(٤).

فلما جاء الاسلام بعقيدته الواضحة النقية أيقظ البشرية من هذا الضلال والانحراف وصحح معتقداتها وتصوراتها في الله والكون والحياة والانسان ، وحرر العقول من الأوهام والخرافات وانشأ تصورا جديدا ينسجم مع العقل السليم والفطرة السليمة ، فهو التصور الكامل المبرأ من النقص والجهل والهوى لأن مصدره هو الله عز وجل ، وهو تصور ثابت لا يقبل التغيير ولا التبديل ، وهو شامل لوحدانية الله وصفاته ولحقيقة الكون والحياة ، والانسان طبيعته وخصائصه ومركزه في الوجود وعبوديته لله ، وهو تصور متوازن ايجابي واقعي ، يتعامل مع حقائق موضوعة ذات وجود حقيقي متيقن لا مع تصورات عقلية مجردة ولا مع مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٨١ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٣٠.

(٣) سورة النحل ، آية ٥٧.

(٤) خصائص التصور الاسلامي ص ٢٦.

٣ - تحرير الانسان من الخضوع لغير الله تعالى :

هذه العقيدة السامية متى استقرت في النفس ، فانها تحررها من الخضوع والتذلل لغير الله سبحانه وتعالى لأنها تقوم على الاعتقاد بأن الله هو المحيي والمميت والخافض والرافع والمعطي والمانع ، وأنه لا يملك أحد من البشر أن ينفع أو يضرّ الا باذن الله ، فالخضوع والعبادة حق لله دون سواه ، وبهذا يتحرر المؤمن من عبودية الأهواء والشهوات ، ومن سيطرة المستبدين والطغاة الذين يسعون جاهدين لاخضاع الناس واذلالهم لجاههم وسلطانهم ، فالمؤمن حر طليق لا يطأطيء رأسه ولا يحني هامته لغير الله تعالى ولا يستجير الا بالله ولا يرتجي نفعا الا منه سبحانه ، وهذا هو غاية التحرر الكامل الكفيل باسعاد البشرية .

٤ - يقظة الضمير :

المؤمن بهذه العقيدة صاحب ضمير حي يقظ يوجهه الى الخير ويصرفه عن الشر ، وهو دائم المحاسبة لنفسه على ما يبدر منه من التصرفات والأفعال .

وهذه اليقظة ناشئة من اعتقاده أن الله عز وجل يعلم السر وأخفى وأنه سبحانه يراقبه في جميع أحواله ، وأنه وكّل به مَلَكَيْنِ لتسجيل كل ما يصدر عنه من خير وشر ، وأنه سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة في يوم لا ينفع الانسان سوى عمله ، يوم يفر المرء فيه من أمه وأبيه وصاحبته وأخيه .

وهذه اليقظة تؤدي حتما الى الاستقامة في السلوك واجتناب ما حرم الله واتيان ما أمر به ، لأن صاحب الضمير الحي يشعر دائما برقابة الله المطبقة على جميع أحواله وأفعاله ، فاذا انتابته لحظة ضعف ووقع في المعصية ، استيقظ ضميره وثاب الى رشده فيسارع الى التوبة والاستغفار . يقول تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ "(١).

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٢٠١.

٥ - تحرير الولاء لله ولرسوله وللموءمنين :

الأيمان بهذه العقيدة يحرر ولاء المنتمي اليها الى الله ورسوله والموءمنين ، ولا يترك ولاء لغير الله ولو كان أبا أو أخا أو عشيرة. فالموءمن بالله لا يوالي أحدا الا في الله ، ولا يحب ولا يبغض الا لله سبحانه ، يحب الموءمن التقي ولو لم يكن له منه نفع ولا تربطه به أي رابطة من الدم أو النسب ، ويبغض الكافر الفاجر ولو كان من أقرب الناس اليه ، ذلك لأن أخوة الدين أقوى عنده من أخوة الدم ، وصلة العقيدة أوثق من صلة النسب ، قال تعالى في وصف العلاقة بين الموءمنين بعضهم مع بعض ، ومع غيرهم من الكفار : " مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُود ...."(١) فعلاقة المسلم مع أخية المسلم صلة مودة ومحبة ورحمة ، وأما علاقته بالكافر فهي البغض لله والشدة والحزم وعدم الموالاة .

وقد حذر القرآن الكريم الموءمنين من موالاة الكافرين حتى ولو كانوا أولي قربى ، قال تعالى : " لَا تَجِدُ قَوْماً يُوءْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ...."(٢). فولاء الموءمن لله ولرسوله وللموءمنين ، ورباط العقيدة مقدم على جميع الروابط الأرضية فمن قدم شيئا من هذه الروابط على رباط العقيدة فأيمانه ضعيف وعقيدته مهزوزة ، قال تعالى : " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاوءُكُمْ وَأَبْنَاوءُكُم وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّه لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"(٣). وهكذا ينذر الله عباده بالهلاك والدمار اذا هم قدموا احدى الروابط من الدم والنسب والأرض والمصالح المشتركة وغير ذلك على حب الله

---

(١) سورة الفتح ، آية ٢٩ .
(٢) سورة المجادلة ، آية ٢٢.
(٣) سورة التوبة ، آية ٢٤.

ورسوله ، وبهذا يتحرر ولاء المؤمن لله ولرسوله وللمؤمنين .

٦ - طمأنينة القلب وسكينة النفس :

من يعش في ظلال هذه العقيدة يشعر بالطمأنينة في قلبه والسكينة في نفسه والسعادة الغامرة في حياته ، قال تعالى : " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ القُلُوبُ " (١). فالمؤمن يشعر بطمأنينة القلب وراحة الضمير وحلاوة اليقين ، لا ييأس ولا يجزع أمام الخطوب لعلمه أن الله معه يمده بالعون والمساعدة ، قال تعالى: " اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "(٢).

وبهذه العقيدة يعيش المؤمن حياة آمنة مطمئنة لا قلق فيها ولا اضطراب ، ولا أمراض نفسية ولا انهيارات عصبية ، هادئ البال ، طيب النفس ، قرير العين ، وهذا ما وعد الله به عباده المؤمنين حيث قال: " مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَو أُنْثَى فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "(٣).

٧ - تحرير النفس الانسانية من الخوف على الرزق والأجل :

تغرس هذه العقيدة في نفس المؤمن بها عدم الخوف على الرزق والأجل لأن الله عز وجل قد تكفل بهما . فالرزق بيد الله تعالى ، ولا يملك أحد من البشر مهما كانت منزلته أن يُنقص من رزق مخلوق شيئا ، ولا أن يزيد في رزق أحد من الناس شيئا ، فالله وحده هو الرازق ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ "(٤)، وقال : " وَفِي

(١) سورة الرعد ، آية ٢٨.

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٧ .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٧.

(٤) سورة الذاريات ، آية ٥٨.

السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ "(١)، وقال : " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ".(٢)

فاذا استقرت هذه العقيدة في نفس المؤمن فانها تطهره من الحرص الذميم على الرزق وتعلمه القناعة بما قسم الله له ، وتطهره من الشح والبخل والطمع ، وهذه الأمور لا تُنْقِص من الرزق شيئا ، اذ المؤمن جواد كريم .

وكذلك الأجل بيده سبحانه وتعالى ، وهو موقوت محدود المدة ،غير قابل للزيادة أو النقصان ولا يملك أحد من الناس أن يزيد أو ينقص من أجله أو أجل غيره من الناس ، ولا يموت أحد قبل موعده الذي قضى به الله سبحانه وتعالى ، ولا يتأخر عن هذا الوقت المحدد . قال تعالى: " وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا "(٣) . والحرص على الحياة والخوف من الموت لا يزيد في أجل الانسان ، والشجاعة والاقدام وخوض المعارك لا تنقص من العمر ، والجبن واتقاء المشاركة في الحرب لا يزيد في العمر ، فكم من انسان مات على فراشه ، وكم من انسان نجا من الموت وهو يخوض المعارك ويقارع الأعداء . قال تعالى : " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا "(٤)، وقال : " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ "(٥).

ومن أيقن بهذه الحقيقة فانه يصبح قويا شجاعا عزيزا يأبى الضيم ويرفض الخنوع ، جريئا في قول الحق لا يخشى في الله أحدا .

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في الشجاعة والاقدام والجرأة والكرم والجود حتى أصبحوا سادة الدنيا وقادة البشرية .

---

(١) سورة الذاريات ، الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سورة هود ، آية ٦ .

(٣) سورة المنافقون ، آية ١١.

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٤٥ .

(٥) سورة النساء ، آية ٧٨ .

٨ - تهذيب النفوس وتربيتها على الفضائل :

اذا تغلغلت هذه العقيدة في نفوس أصحابها ، صقلتها وهذبتها وربتها على الفضائل الكريمة لأنها منبع هذه الفضائل ومصدر فعل الخير وأساس الاستقامة .

فالموءمن بهذه العقيدة انسان سوي ، متزن مستقيم السلوك ، يتحلى بالفضائل من الايثار وحب الخير للناس والصبر عند الملمات والمصائب التي تنزل به لعلمه أن الأمر كله بيد الله وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم أمره لله ويصبر ويحتسب ويتوكل على الله في كل شأن من شوءونه الى غير ذلك من الفضائل العظيمة التي ترسخها هذه العقيدة في نفوس أتباعها .

هذه بعض ثمار العقيدة التي أنارت الدنيا وعادت على البشرية بالخير العميم ، وهي التي صنعت الجيل الأول الذي تربى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس ، شهد بذلك الحق سبحانه وتعالى بقوله : " كُنتُم خَيرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُوءمِنُونَ بِاللَّهِ ".(١)

لقد عمل صلى الله عليه وسلم على ترسية قواعد العقيدة الصافية في نفوس أصحابه من اليوم الأول لنزول القرآن عليه ، وبقي في مكة يرعاها وينمي غرسها لأنها الأساس لما جاء بعدها من أحكام شرعية ، ولأن صلاح الأمة مرهون بصلاح عقيدتها وثباتها في النفوس ، فاذا كانت عقيدة قوية كان النصر والنجاح حليفها ، واذا كانت عقيدة الأمة ضعيفة كانت الهزيمة والخذلان نصيبها ولذلك ظل صلى الله عليه وسلم يعمل على بناء النفوس على عقيدة التوحيد ويربي الأصحاب على الايمان بالله حتى بلغ الغاية التي تجعل هوءلاء الأتباع يبحثون عن حكم الله ويعملون به ، فها هي امرأة يظاهر منها زوجها ، فتتركه وتمشي الى رسول الله صلى الله

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

عليه وسلم تعرض الأمر عليه وتسأله عن حكم ما سمعت من هذا الزوج ،فينزل فيها قوله تعالى : " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ...."(١)

وها هو ماعز يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له : يا رسول الله طهرني ، فيعرض عنه فيكرر ماعز رضي الله عنه الطلب منه ، ولو ستر ماعز على نفسه ولم يكشف لرسول الله عما بدر منه لما تعرض للرجم بالحجارة ، ولكن خوف الله والرغبة في التطهر مما وقع فيه دفعه لهذا الطلب . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد كان مجتمع الصحابة رضي الله عنهم ، مجتمعا ربانيا قرآنيا ، تقول عائشة رضي الله عنها : أول ما نزل من القرآن آيات من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا شاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول ما نزل لا تزنوا ولا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الزنا ولا نترك شرب الخمر .(٢) وهكذا فالايمان بالله أساس العمل وأوله والسابق عليه ، والمقدمة له .

هذه العقيدة الواضحة بهذه الآثار والثمار ، تؤكد صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والا فمن أين جاء بها ، وقد نشأ في بيئة جاهلية يسيطر عليها الشرك والوثنية والأوهام والخرافات وعبادة الأصنام حتى من كانوا يسمون أنفسهم بالموحدين من العرب كانوا يتخبطون في تصورات وأفكار منحرفة بعيدة كل البعد عن التوحيد الخالص الذي جاء به عليه الصلاة والسلام .

وكذلك اليهود والنصارى لم يكونوا على عقيدة التوحيد ، بل انحرفوا عما جاء به أنبياؤهم وشوهوا صورته ومسخوه ، فاليهود قالوا ان عزيرا ابن الله ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن لله أبناء تزوجوا

---

(١) سورة المجادلة ، الآيتان ١ - ٢ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ،باب تأليف القرآن ،ج ٦ ص ١٠١ .

من بنات الأرض فأنجبوا الجبابرة ، وأن الله يتعب ويحتاج الى الراحة ويبكي ويحزن ويندم على خراب الهيكل الى غير ذلك من الخرافات والضلالات التي مسخت عقيدة التوحيد ، فأين هذا من التوحيد الخالص الذي جاء به رسول الله ، والذي ينزه فيه الله سبحانه وتعالى عن كل هذه النقائص التي لا تليق به سبحانه .

والنصارى أيضا جاءهم عيسى عليه السلام بعقيدة التوحيد ولكنهم حرفوا هذه العقيدة واستبدلوا بها عقيدة التثليث " الآب والابن والروح القدس " ثلاثة أقانيم أرباب في الكون ، فجعلوا عيسى ابن مريم الرسول البشر الها وابن اله وعبدوه ، وهكذا أشركوا بالله وان كانوا يحاولون اضفاء صبغة التوحيد على هذه العقيدة الملتوية بقولهم انهم ثلاثة في واحد ، وواحد في ثلاثة ، وهذا مما لا يقبله عقل سليم ، وأين هذا من عقيدة التوحيد التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

وكذلك المجوس يعتقدون بوجود الهين ، اله للخير واله للشر.(١)

هذه العقيدة الكاملة النقية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم تغاير كل العقائد التي كانت موجودة في زمن البعثة وتتميز عليها بالتوحيد الخالص ، فمن أين أتى بها وكل ما في الأرض عقائد فاسدة ؟ سواء ما كان عند قومه أو عند اليهود والنصارى والمجوس ، وبهذا يتأكد لنا أنها من عند الله العزيز الحكيم .

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ص ٣٣ - ٤٦

المبحث الثاني

الأخلاق الحميدة

للأخلاق الحميدة مكانة رفيعة في الشريعة الاسلامية ، وهي من أعظم الأسس التي قام عليها صرح هذا الدين العظيم ، وما من صغيرة ولا كبيرة فيه الا وربطت بالخلق الكريم ، وقد بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق ويبين حَسَنَها من قبيحها ، يقول صلى الله عليه وسلم : " انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ".(١)

واصلاح النفوس ، وتربيتها على الفضيلة هدف أساسي من بعثة رسل الله جميعا ؛ فما من رسول الا ودعا قومه الى الأخلاق الكريمة وحثهم عليها ونهاهم عن الأخلاق الرذيلة وحذرهم منها ليعيشوا حياة كريمة مشرقة .

لقد تواكبت دعوة الاسلام الى الأخلاق والفضائل مع دعوته الى التوحيد ، فكان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يهدم عقائد القوم وعاداتهم السيئة وأخلاقهم القبيحة ، ويدعو الى عبادة الله وحده والى التحلي بمكارم الأخلاق وجميل الصفات كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والعدل والاحسان والصبر والتواضع وغير ذلك من طرق الخير .

وقد ربط الاسلام بين الاخلاق وبين الجزاء ، فوعد بحسن الجزاء وبجزيل الثواب على الخلق الحسن ، وتوعد بسوء العاقبة على الانحراف والفساد وسوء الأخلاق ، قال تعالى : " وَيلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ "(٢)، والمتأمل في كتاب الله وسنة نبيه يجد العديد من النصوص تدعو الى حسن الخلق وتنهى عن سوء الخلق ، من ذلك قوله تعالى :" وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ

---

(١) موطأ مالك ، كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ، ج ٢ ص ٩٠٤ .

(٢) سورة الهمزة ، آية ١ .

يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنَاً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامَاً "(١)، وقوله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ "(٢)، وقوله : " قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ "(٣)، ومن ذلك وصايا لقمان لابنه ، قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ(٤) .... يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحَاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ ".(٥)

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم : ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وأن الله ليبغض الفاحش البذيء، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة ."(٦)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"(٧)

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان من أحبكم اليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا".(٨)

وعن عبدالله بن عمرو قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وانه كان يقول : " ان خياركم أحاسنكم أخلاقا " .(٩)

---

(١) سورة الفرقان ، آية ٦٣ .
(٢) سورة التوبة ، آية ١١٩.
(٣) سورة المؤمنون ، الآيات ١ - ٥ .
(٤) سورة لقمان ، الآيتان ١٣ - ١٤ .
(٥) سورة لقمان ، الآيات ١٧ - ١٩ .
(٦) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في حسن الخلق ج ٤ ص ٣٦٢ - ٣٦٣.
(٧) سنن أبي داود ،كتاب الأدب ،باب في حسن الخلق ، ج ٤ ص ٢٥٢.
(٨) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ماجاء في معالي الاخلاق ج٤ ص ٣٧٠.
(٩) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب حسن الخلق ،ج ٧ ص ٨٢.

وغن أبي ذر أنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : أركب الى هذا الوادي فاسمع من قوله ، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق" (١) ، وغير هذا كثير.

ولم يقف الاسلام عند حد الدعوة الى مكارم الأخلاق والترغيب فيها ، بل أرسى قواعدها وحدد معالمها وضبط مقاييسها الكلية ووضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك ، ثم انه ربطها بجميع جوانب الحياة الانسانية ، فلم يبق جانب منها الا وقد صيغ صياغة أخلاقية ، الجانب النظري والجانب العملي ، العقائد والعبادات ، الجانب الاقتصادي والجانب السياسي وغير ذلك ، حتى يبقى الانسان في جميع أقواله وأفعاله في دائرة مكارم الأخلاق .

فالعقيدة الاسلامية هي الأساس المتين الذي ينبثق منه حسن الخلق ، والايمان القوي الراسخ يُوَلِّدُ الخلق الرفيع قطعا ، وكمال الايمان مرهون بحسن الخلق ، وسوء الخلق مرده الى ضعف الايمان ، فالايمان وحسن الخلق أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم ربه فقال : " اللهم اني أسألك ايمانا في حسن خلق "(٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا " (٣).

وعن سالم بن عبدالله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يعظ أخاه في الحياء فقال : الحياء من الايمان "(٤)

وعن أبي شريح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه ."(٥)

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب حسن الخلق ،ج ٧ ص ٨٢.
(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٢١.
(٣) سنن أبي داود ،كتاب السنة ،باب الدليل على زيادة الأيمان ونقصانه ج ٤ ص ٢٢٠.
(٤) صحيح مسلم ،كتاب الأيمان ،باب بيان عدد شعب الأيمان ج ١ ص ٦٣.
(٥) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب اثم من لا يأمن جاره بوائقه ج٨ص ٧٨.

واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يوءمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ".[(1)]

من هذه الأحاديث يتبين لنا مدى ارتباط الايمان بالله بالأخلاق الكريمة ، حتى انه نفى الايمان عمن يسيء معاملة جيرانه ، وجعل الحياء والاحسان للجار واكرام الضيف والقول الحسن من الايمان بالله واليوم الآخر .

ان وقوع المرء في الرذيلة واستمراءه الأخلاق الفاسدة تجعله ينسلخ من ايمانه وان ادّعاه ، والا فما قيمة الايمان بدون أخلاق ، وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم توصف له امرأة بكثرة الصيام والصلاة ولكنها توءذي جيرانها بلسانها فيقول هي في النار "[(2)]

والعبادات التي هي أركان الاسلام ربطت أيضا بالاخلاق [(3)]، وهي من أسمى الوسائل لتحقيق مكارم الأخلاق لأنها تزكي النفوس وتطهر القلوب وتربيها على الفضائل ، وهي مدارج الكمال والسمو ، وروافد التطهر، فالفرائض التي كلف بها كل مسلم ما هي الا أعمال متكررة لتعويد فاعلها أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل محافظا على هذه الأخلاق مهما تغيرت الظروف والأحوال ، لذا قال تعالى عن الصلاة : " إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ "[(4)]، وقال عن الزكاة : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا "[(5)]، وقال عن الصوم : " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "[(6)]، ويقول صلى الله عليه وسلم مبينا لحقيقة الصيام : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ".[(7)]

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب من كان يوءمن بالله واليوم الآخر فلا يوءذ جاره ج ١ ص ٧٩.
(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٠.
(٣) خلق المسلم ص ٧ .
(٤) سورة العنكبوت ،آية ٤٥ .
(٥) سورة التوبة ،آية ١٠٣ .
(٦) سورة البقرة ،آية ١٨٣.
(٧) صحيح البخاري ،كتاب الصوم ،باب من لم يدع قول الزوروالعمل به في الصوم ، ج ٢ ص ٢٢٨.

ويقول تعالى في الحج : " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ." (١)

وهكذا تقوم العبادات بعصمة موءديها من الانحراف الخلقي وتحفظه من اتباع الشهوات وتباعد بينه وبين نفسه الأمارة بالسوء وتبعث عنده الرغبة في التسامي نحو المثل الأعلى ، فهي تصرفه عن الرذائل وتطهره وتزكيه وتربيه على الأخلاق الكريمة ، ومن لم ينتفع من عبادته في تربية نفسه وتهذيب سلوكه فقد خاب وخسر. والعبادة التي لا خلق معها تـوءدي بصاحبها الى النار ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا :المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : ان المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ،وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ".(٢)

وهكذا يمضي الاسلام في غرس الفضائل معتمدا على صدق الايمان وأداء العبادات .

ومن تمام ارساء قواعد الأخلاق في المجتمع ربط المخالفة والعصيان بالعقوبة في الدنيا والآخرة . أما في الآخرة فقد توعد الله صاحب الأخلاق الرذيلة بالعقاب في الجحيم ، وأما في الدنيا فقد شرع الحدود على من ارتكب جريمة خلقية كبيرة كالزنا والسرقة والقذف ، وشرع عقوبة تعزيرية على مخالفة الجرائم الخلقية الصغرى . وكل هذا لتطهير المجتمع من الفواحش ولتوفير الحياة الكريمة الفاضلة لكل فرد من أفرادة وليأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٧.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والأدب ،باب تحريم الظلم ،ج٤ ص ١٩٩٧.

ان الأخلاق الكريمة ذات أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع فهي من أسباب الحياة الكريمة الفاضلة التي يتطلع اليها كل انسان عاقل ، وليست من كماليات الحياة التي يمكن الاستغناء عنها ، انها ضرورية للفرد لاستقامة سلوكه وتربيته وتهذيب نفسه حتى يصبح انسانا فاضلا ، مصدر خير ونفع لمجتمعه .

والمجتمع الفاضل الذي تسوده الفضيلة ، يحس الانسان فيه بالسعادة والأمن ، ويعين الفرد على تغليب نوازع الخير على نوازع الشر ، ويؤمّن لجميع أفراده القسط الضروري من مستلزمات العيش الكريم .

ومن سنة الله في المجتمعات أن بقاء الأمم والحضارات مرهون بقيام الأخلاق ، فاذا تفسخت أخلاق الناس وانهارت قيمهم سقطت الأمم وانهدمت المجتمعات وزالت الحضارات ، ذلك أن الأخلاق الحميدة والبعد عن السقوط في الرذيلة هو الضمان الخالد لكل حضارة ، ولا حياة لأمة بدون أخلاق ، وما أصدق قول الشاعر :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقول آخر :

واذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتما وعويلا

والمبادىء الأخلاقية ضرورية لتطبيق القانون ، وبدونها لا يمكن أن يسود قانون ، وذلك لأن الانسان ينقاد من باطنه لا من ظاهره ، والقوانين وحدها لا تكفي لاقامة المجتمع الفاضل الذي تحترم فيه الحقوق وتؤدى الواجبات ولا تنتهك الحرمات ، لأن من يقوم بواجبه أو يمتنع عن المحظور خوفا من عقوبة القانون لا يلبث أن يهمله اذا اطمأن أن لا رقيب عليه .

يقول القاضي البريطاني دينغ : بدون الدين لا يمكن أن يكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون ، الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يُعرَف منه حَسَن الأخلاق من قبيحها وهو الذي يربط الانسان بمثل أعلى يرنو اليه ويعمل له ، وهو الذي يحد من أنانية الفرد ويكفكف من طغيان غرائزه وسيطرة عاداته ويخضعها لأهدافه ومثله ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق "(١)

---

(١) نقلا عن الايمان والحياة للاستاذ القرضاوي ص ١٩٥ - ١٩٦ .

والاسلام وهو يعمل على اصلاح أحوال الناس ينظر الى النفس البشرية أن فيها الاستعداد لفعل الخير وكذلك الاستعداد لفعل الشر ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وركب في طبعه الميل نحو الخير ونحو الشر ، يقول تعالى : " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا "(١) ، ويقول : " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " (٢) أي طريق الخير وطريق الشر،فالانسان في نظر الاسلام ليس ملاكا وليس شيطانا وهو قابل بطبيعته للهبوط والصعود، وغاية الاسلام هو ايجاد التوازن بين نوازع الانسان الفطرية .(٣) ومن أجل ذلك يعمل على تنمية بذرة الخير فيه ورعايتها وتغذيتها بالصلة القوية بالله سبحانه وتعالى ليشب الفرد على فضائل الأعمال وكرائم الأخلاق .

ويعمل أيضا على تهذيب النوازع المادية في الانسان ، فهو يعترف بها ولا يكبتها وينظم طريقة اشباعها دون افراط ولا تفريط ، فأباح شهوة الطعام وشهوة الجنس وشهوة الاستمتاع بالطيبات فقال تعالى : " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ "(٤)، وقال: " كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ "(٥)، وقال : " فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ "(٦)، ولكنه لمصلحة الفرد ولمصلحة المجتمع حرم الفجور والزنا والسرقة والغصب .

وعمل أيضا على كبت طبائع المرء الشريرة ونهى الانسان عن اتباع الهوى وأمره بالاحتكام الى العقل الرشيد ، قال تعالى : " أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ "(٧)

---

(١) سورة الشمس ، الآيتان ٧ - ٨ .
(٢) سورة البلد ، آية ١٠.
(٣) الانسان بين المادية والاسلام ص ٨١.
(٤) سورة الأعراف ، آية ٣٢ .
(٥) سورة البقرة ، آية ١٧٢.
(٦) سورة النساء ، آية ٣ .
(٧) سورة الجاثية ، آية ٢٣.

ولم يغفل الاسلام أثر البيئة العميق في سلوك الفرد وتوجيهه نحو الخير أو الشر ، فحرص على سلامتها من الأوبئة وحرص على مخالطة الصحبة الطيبة وحذر من قرناء السوء ، وفي قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل له من توبة ، فقيل له : نعم ولكن انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ."(١)

والاخلاق منها الفطري الجبلي ومنها المكتسب ، والاسلام يعمل على تنمية الأخلاق الجبلية وعلى غرس الأخلاق المكتسبة ، والخلق الحسن لا يكون في النفس طفرة ولا يولد قويا ناضجا من اللحظة الأولى بل يتكون على مكث وينضج على مراحل وهذا سر ارتباطه بأعمال متكررة لترسيخه وتنميته؛

وهناك وسائل كثيرة لاكتساب الأخلاق الحسنة والبعد عن الأخلاق السيئة منها :-(٢)

١ - معرفة أنواع الأخلاق الحسنة التي حث عليها الاسلام وكذلك الأخلاق السيئة التي حذر منها حتى يسير الانسان على نور وهدى .

٢ - معرفة أهمية الأخلاق الحسنة بالنسبة للفرد المسلم لارتباطها بعقيدته ، وكذلك الأخلاق السيئة التي تؤثر على عقيدته تأثيرا سلبيا ، وهذه المعرفة ستدفعه حتما الى التمسك بأهداب الفضيلة وتصرفه عن الرذيلة .

٣ - الاكثار من الخيرات وخاصة العبادات لأنها تزكي النفس وتطهر القلب .

٤ - مصاحبة ذوي الأخلاق الطيبة للتأثر والاقتداء بهم ، وترك مجالسة ذوي الأخلاق السيئة وقد قال صلى الله عليه وسلم : " المرء على دين خليله فليحذر أحدكم من يخالل ".

٥ - أن يتكلف الأخلاق الطيبة حتى تألفها نفسه وتعتادها وتصبح كالطبع .

الى غير ذلك من الوسائل .

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب التوبة ،باب قبول توبة القاتل ج ٤ ص ٢١١٨.

(٢) اصول الدعوة الاسلامية ص ٩٠.

ان معرفة حَسَنِ الأخلاق من قبيحها يرجع الى الشرع الحكيم ، فهو المقياس الصحيح لذلك لأنه وحده المعصوم من الزلل بخلاف العقل فهو عرضة للخطأ لاعتماده فيما يصدر من أحكام على الحواس التي كثيرا ما تخدع ، وبخلاف الضمير فهو أيضا غير معصوم عن الخطأ لأنه يتقلب ويتكون بحسب ما يتغذى به من فكر وثقافة .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز : " ان الانسان يستطيع معرفة الخير والشر ، الا أن القانون الأخلاقي الموجود في الانسان ناقص وغير كاف وأن الضمير هو الدعامة الأولى للأخلاق اذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها وجد نفسه عاجزا في أغلب الأحيان عن أن يقدم قاعدة ذات طابع عام تستأثر بأعتراف البشر وهذا هو السبب الذي من أجله بعث الله في الناس نفوسا متميزة ملهمة بالوحي الرباني وهكذا يجد النور الفطري ما يكمله من نور الوحي "(١).

والأخلاق التي دعا اليها الاسلام تتسم بالسمو والكمال ، فما من خلق طلب الله تعالى من عباده التحلي به الا وهو غاية في الجمال والكمال ولا كمال سواه . وهذه الأخلاق ترفع من انسانية الفرد وترتقي به نحو المثل الأعلى ، وبمقدار ما يأخذ منها يسمو ويعلو ، وبمقدار ما يتخلى عن جزء منها يسفل ويهبط .

وهي أيضا أخلاق مثالية تربط المسلم بالمثل الأعلى ، وقد تجلت بتمامها وكمالها بنبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وهو في نظر المسلمين الأسوة والقدوة ، وقد كان خلقه القرآن .

وهي في نفس الوقت واقعية وليست فرضية لأن الانسان يستطيع التخلق بها بالمثابرة والمجاهدة .

ثم انها أخلاق الفطرة السليمة التي ترتاح لها النفوس وتتطلع اليها على الدوام ، والانسان بفطرته السوية يحب الفضيلة ويقدرها لذاتها ويكره الرذيلة وينفر منها .

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص ٢٧.

وهي أخلاق ملائمة للعقل الرشيد ، يحترمها ويقرها ولا يعارضها أبدا، ولو أرادت العقول الناضجة السليمة تحديد الخلق الحسن من الخلق الرديء ما جاوزت بصغيرة ولا كبيرة ما جاءت به الشريعة الاسلامية من أخلاق وما نهت عنه من رذائل.

وهي أخلاق عامة شاملة ، تتصل بجميع أفعال الانسان الخاصة به أو المتعلقة بغيره من الأفراد ، فالقانون الأخلاقي في القرآن الكريم قانون عام شامل تتجه أوامره للناس عامة على اختلاف مستوياتهم في جميع الظروف والمناسبات ، فالقاعدة الأخلاقية كقاعدة العدالة مثلا يجب على كل فرد أن يطبقها على نمط واحد سواء أكان تطبيقه لها على نفسه أم على الآخرين ، حتى أن النص الذي نزل بخصوص ظرف فردي فانه قابل للعموم والشمول .

فالمسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بأخلاقه العالية التي استقاها من عقيدته ، فالصدق مثلا واجب على كل مسلم في كل زمان ومكان سواء أكان يتعامل مع أخيه المسلم أو مع غيره ، وكذلك سائر الأخلاق من الوفاء والمروءة والصبر والعدل وغير ذلك ، فالاسلام أمر بالعدل وان كان الخصم من الأعداء ، وأمر ببر الوالدين وان كانا على الكفر .

واليك الآن الحديث عن نماذج من الأخلاق التي دعا اليها الاسلام :

أولا : الأمانة :

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باداء الأمانة ، ونهاهم عن الخيانة ، فقال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا " (١) وقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ".(٢)

وكذلك أمر الرسول الكريم صحابته بهذا الخلق العظيم وأوصاهم

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٢٧.

به ، وبين لهم أنه دلالة على الايمان ، وأن من انتفت الأمانة من عنده انتفى ايمانه بقوله صلى الله عليه وسلم : لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له."(١)

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ كثيرا من الخيانة فيقول : " اللهم اني أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة ".(٢)

والخيانة كما جاء في الخبر آية المنافق ، والأمانة صفة المؤمن يقول صلى الله عليه وسلم : " آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أوتمن خان "(٣)

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن ضياع الأمانة يدل على اقتراب الساعة ففي الحديث أن رجلا جاء يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة ؟ فقال له : اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة ".(٤)

ثانيا : الصدق :

ومما حث الاسلام عليه من الأخلاق الصدق في القول والعمل ، وفي كل حال وشأن ، مع نفسه ومع غيره وقبل كل شيء مع خالقه ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ".(٥)

وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان منزلة الصدق وأنه أساس البر وسبيل الى الجنة قوله : " ان الصدق يهدي

---

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ١٣٥ .
(٢) سنن النسائي ،كتاب الاستعاذة ،باب الاستعاذة من الخيانة ج٨ ص٢٦٣.
(٣) صحيح البخاري ،كتاب الأيمان ،باب علامات المنافق ،ج ١ ص ١٤.
(٤) صحيح البخاري ،كتاب فضل العلم ،باب من سئل علما وهو مشتغل بحديثه ، ج ١ ص ٢١ .
(٥) سورة التوبة ، آية ١١٩.

الى البِّرّ وان البِّرّ يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا."(١)

فالكذب من أبشع ما يتصف به الانسان لذا حذر منه صلى الله عليه وسلم ، بل كرهه كثيرا فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " ما كان من خلق أبغض الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكذب ، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة ".(٢)

وحذر من الظن لما يترتب عليه من الكذب ، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة ".(٣)

والصدق من ألزم صفات الموءمن ، ولا يمكن أن يتصف بضده ، والكذب يدل على ضعف الايمان ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيكون الموءمن جبانا ؟ فقال : نعم ، قيل له : أيكون الموءمن بخيلا ؟ قال: نعم قيل له : أيكون الموءمن كذابا ؟ قال : لا ".(٤)

والكذب محرم في شريعة الاسلام ولو بالمزاح ، قال صلى الله عليه وسلم : " لا يوءمن العبد الايمان كله حتى يترك الكذب من المزاحة ويترك المراء وان كان صادقا ."(٥)

ثالثا : الحلم والأناة :

من القواعد الأخلاقية التي أرسى الاسلام قواعدها سعة الصدر وكظم الغيظ والعفو عن المسيء ، والآيات والأحاديث التي تحث المسلم على هذه

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ج ٨ ص ٩٥.

(٢) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في الصدق والكذب ،ج ٤ ص ٣٤٧.

(٣) سنن الترمذي ،كتاب صفة القيامة ،باب (٦٠) ،ج ٤ ص ٦٦٨.

(٤) موطأ مالك ،كتاب الكلام ،باب ما جاء في الصدق والكذب ،ج ٢ ص ٩٠٠.

(٥) مسند أحمد ، ج ٢ ص ٣٥٢.

الأخلاق كثيرة ، قال تعالى : " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "(١)، وهكذا عد الله هذا الخلق الطيب من أسباب الفلاح التي تقود صاحبها الى الجنة ، ويقول أيضا : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"(٢) ويقول : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ".(٣)

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله " (٤) ويقول أيضا : " ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه ."(٥)

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى أصحابه عن الغضب اذا ما استغضبوا ويحثهم على التحلي بضبط النفس وكظم الغيظ وسعة الصدر ، جاء رجل الى رسول الله صلى الله علسه وسلم وقال له : يا رسول الله أوصني قال : لا تغضب ، فردد مرارا ، قال : لا تغضب ."(٦)

وقال صلى الله عليه وسلم : " ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ."(٧)

وقال أيضا : " من كظم عيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أى الحور شاء ".(٨)

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ١٣٣ - ١٣٤ .
(٢) سورة الأعراف ، آية ١٩٩ .
(٣) سورة فصلت ، الأيتان ٣٤ - ٣٥ .
(٤) صحيح البخاري ،كتاب استتابة المرتدين،باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ولم يصرح ،ج ٨ ص ٥١.
(٥) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والأدب ،باب فضل الرفق ،ج ٤ ص ٢٠٠٤.
(٦) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب الحذر من الغضب . ج ٧ ص ١٠٠.
(٧) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب الحذر من الغضب .،ج ٧ ص ٩٩.
(٨) سنن أبي داود ،كتاب الأدب ، باب من كظم غيظا ،ج ٤ ص ٢٤٨.

رابعا : الوفـــــاء :

أوجب الاسلام على أتباعه وجوب الوفاء بالعهود والوعود ، فقـــال تعالى : " وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤولاً "(١)، وقال : " وَأَوْفُـوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ "(٢)، وقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُـــوا بِالعُقُودِ ".(٣)

ويعتبر عدم الوفاء بالعهد علامة من علامات النفاق ، يقول صلـــى الله عليه وسلم : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانـــت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، اذا أؤتمن خـان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ".(٤)

ومن الوفاء البر باليمين ، وطاعة ولي الأمر ، وقوة الصلة بالله وتوحيده بالعبادة ، يقول تعالى : " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ".(٥)

ولا يقتصر الوفاء بالعهد على معاملة المسلمين بعضهم بعضا ، بـل يلزم أن يتعاملوا مع غيرهم كما يتعاملون مع بعضهم البعض ، وهكـــذا عرفوا على مر التاريخ .

خامسا : الرحمــــة :

من الأخلاق الجميلة التي جاء بها الاسلام الرحمة والمودة ، فيجـب أن يسود هذا الخلق علاقاتهم الاجتماعية ، والاتصاف بالرحمة يستوجـــب رحمة الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الراحمـــون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السمـــاء ،

---

(١) سورة الاسراء ، آية ٣٤ .
(٢) سورة النحل ، آية ٩١ .
(٣) سورة المائدة، آية ١ .
(٤) صحيح البخاري ،كتاب الأيمان ،باب علامات المنافق ،ج ١ ص ١٤.
(٥) سورة يس ، الآيتان ٦٠ - ٦١.

الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله ."(١)
وانتفاء الرحمة من قلب المؤمن يؤدي الى انتفاء رحمة الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يرحم الله من لا يرحم الناس ".(٢)

وقد بين لنا صلى الله عليه وسلم أن الرحمة لا تنزع الا من قلوب الأشقياء ، يقول عليه الصلاة والسلام : " لا تنزع الرحمة الا من شقي."(٣)

والرحمة واجبة ومطلوبة من المسلم في كل شيء حتى مع الدواب ، يقول صلى الله عليه وسلم : " ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القِتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ".(٤)

وقد وصف الله سبحانه وتعالى مجتمع الصحابة بقوله : " أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "(٥)، وشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة الاسلامية بالجسد الواحد لما بين أفرادها من المودة والرحمة والعطف فقال صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ."(٦)

الى غير ذلك من الأخلاق الرفيعة والصفات الكريمة التي أمر بها الله ورسوله وتمثلها الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم ممن سار على نهجهم .

وهذه الأخلاق التي جاء بها الاسلام والتي تمثلها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ،هي الأساس المتين لبناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح والدولة الصالحة ، وهي توجه الفرد الى خالقه وتبرز فيه

---

(١) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في رحمة المسلمين ج ٤ ص ٣٢٤.
(٢) صحيح البخاري ،كتاب التوحيد ،باب قول الله " قل الله أو ادعوا الرحمن ،ج ٨ ص ١٦٥.
(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٠١.
(٤) سنن الترمذي ،كتاب الديات ،باب ما جاء في النهي عن المثلة ج٤ص ٢٢.
(٥) سورة الفتح ،آية ٢٩.
(٦) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والأدب ،باب تراحم المسلمين وتعاطفهم ،ج ٤ ص ١٩٩٩.

جوانب الخير وتجعل فيه الحرص والمحافظة على اخوانه ومجتمعه ، فلا كراهية ولا شحناء ولا ظلم ولا عدوان .

والأخلاق الكريمة دليل على صدق صاحبها ، وهي من لوازم الرجولة الحقة ، فكيف بالنبوة والرسالة ، قد يكون الرجل صاحب خلق وليس بنبي، ولكن لا يمكن أن يكون نبيا بلا خلق ، أو رسالة بدون آداب ،فالأخلاق وحدها ليست دليلا على النبوة ، ولكن النبوة لا تنفصل عن الأخلاق ولا تنفك عنها .

ولم يكن العرب في جاهليتهم يتمتعون بالكثير من الخصال الحميدة، لقد كان فيهم الشجاعة والكرم والمروءة واكرام الضيف ، ولكنهم كانوا قساة غلاظ ، يغيرون ويسلبون وينهبون ويقتلون ويظلمون ويقطعون الطريق الى غير ذلك من المنكرات .

ولما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس عند قومه من المبادئ الخلقية ، لم يبق الا أنه تلقى هذا عن ربه سبحانه وتعالى .

المبحث الثالث

التشريع الاسلامي

ان أي جماعة من الناس بحاجة الى قانون ينظم أمورهم ويحفظ مصالحهم ويرتب علاقاتهم مع أنفسهم ومع غيرهم ، وقد يكون هذا القانون عادلا وقد يكون جائرا ، وقد يُنصَف فيه صاحب الحق وقد تكون الغلبة فيه للقوي ، ومن هنا كان لا بد للبشرية من تشريع الهي كامل عادل شامل ، واقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تكون شريعة الاسلام هي الأخيرة والخاتمة التي ارتضاها الحق سبحانه وتعالى لعباده .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بين العرب نظام عام شامل يجمعهم ، بل كان لديهم شيء من الأعراف والتقاليد يتحاكمون اليها وكان على رأسها شيخ القبيلة الذي كان بمثابة رئيس الدولة ، فأفراد القبيلة يدينون له بالطاعة وينفذون أوامره ، وهو الذي يعلن حالة الحرب أو السلم مع القبائل الأخرى ، وهو الذي يفض المنازعات ويحكم في الخصومات التي تقع بين أتباعه .

وكان العرب قد استمرأوا كثيرا من الأفعال القبيحة كالغارات والقتل والسلب والنهب والزنا والربا وشرب الخمر ووأد البنات والنصرة للقريب ولو كان ظالما والنسيء وغير ذلك .

وقد بدأ الوحي يعالج في أول تنزله قضية توحيد الله وتصحيح تصوراتهم عن الخالق والملائكة واليوم الآخر وغير ذلك من أمور العقيدة ، ولم يتكلم في الأحكام الشرعية بمكة الا في النزر اليسير .

وبعد هجرة المسلمين وعلى رأسهم الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنظيم شوءون المسلمين وفي بناء الدولة الجديدة ، وأخذ القرآن يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث مبينا حكم الله فيها ، وظل القرآن يتنزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ ويعلم ويبين

ويفسر تنفيذا لقوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "(١)، حتى اكتمل الدين وتمت النعمة ، وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ".(٢)

وقد شملت أحكام هذا التشريع جميع جوانب الحياة من عبادات ومعاملات .(٣)

أما العبادات ففيها تنظيم علاقة الانسان بخالقه من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر ويمين ، وقد فصل فيها الكتاب والسنة تفصيلا كاملا ،وبها تزكو النفوس وتتهذب الطباع وتطهر القلوب وتسمو الأرواح .

أما المعاملات ففيها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض سواء أكانوا أفرادا أم جماعات وهي تنتظم أحكام الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجنائية والقضائية .

ففي الجانب الاجتماعي ، ربط بين أفراد المجتمع بعلاقة تقوم على الأخوة في الله وعلى المودة والمحبة فيما بينهم ، يقول تعالى : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ "(٤)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "(٥). وجعل ولاء الجميع لله ولرسوله وللمؤمنين لا لجنس ولا لقبيلة ولا للون ، وأرسى فيما بين الأفراد حقوقا كثيرة منها ما جاء في سورة الحجرات من الآداب في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ."(٦)

---

(١) سورة النحل ، آية ٤٤.

(٢) سورة المائدة ،آية ٣ .

(٣) علم أصول الفقه لعبدالوهاب خلاف ص ٣٢ .

(٤) سورة الحجرات ، آية ١٠ .

(٥) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآدب ،باب تراحم المسلمين وتعاطفهم ج ٤ ص ١٩٩٩.

(٦) سورة الحجرات ، الآيتان ١١ - ١٢.

ومن هذه الحقوق ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ، التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ".(١)

وبهذا يكون المجتمع طاهرا طهر ماء السماء ، نقيا نقاء حبات الثلج ، يحس فيه الجميع بالسعادة والأمان .

وقد أقام الاسلام نظامه الاجتماعي على أساس تكوين الأسرة ، فبين الأحكام الخاصة بها من زواج وحقوق متبادلة بين الزوجين وبين الآباء والأبناء وطلاق وعدة ونفقة وميراث وما الى ذلك من الأحكام .

فقد دعا الاسلام الى الزواج بقوله تعالى : " وَأَنْكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "(٢)، وبقوله : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "(٣)، وهو من سنن الأنبياء " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ".(٤)

وقد عنى باختيار الزوجة الصالحة لأنها أهم ركن من أركان الاسرة ، وجعلها خير متاع الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة "(٥)، والزوجة الصالحة هي ذات الدين ، يقول صلى الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ".(٦)

وقد شرع الخطبة قبل الزواج وأباح النظر الى المخطوبة ليتعرف كل من الرجل والمرأة الى الآخر ، فعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما ."(٧)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآدب ،باب تحريم ظلم المسلم ج ٤ ص ١٩٨٦.
(٢) سورة النور ، آية ٣٢ .
(٣) سورة الروم ، آية ٢١ .
(٤) سورة الرعد ، آية ٣٨ .
(٥) صحيح مسلم ،كتاب الرضاع ،باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ج٢ ص ١٠٩٠.
(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح ،باب الأكفاء في الدين ج ٥ ص ١٢٣.
(٧) سنن الترمذي ،كتاب النكاح ،باب ماجاء في النظر الى المخطوبة ج ٣ ص ٣٩٧.

وقد حدد الاسلام من يجوز للانسان أن يتزوج منها ممن لا يجوز ، فحرم الأمهات والأخوات والبنات وغيرهن ممن ورد في قوله تعالى : " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ".(١)

وفرض المهر للزوجة وجعله حقا على الرجل تكريما لها بقوله تعالى: " وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً "(٢). وأوجب عليه النفقة من طعام ولباس ومسكن ودواء ، يقول تعالى : " وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ".(٣) وأوجب حسن العشرة والمعاملة بالمعروف ، يقول تعالى: " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ "(٤). وأوجب صيانة الزوجة وحفظها من كل ما يسيء اليها ويمتهن كرامتها ، ومن حقه عليها طاعته في غير معصية والقرار في بيته وحفظ نفسها وولده وماله ، يقول تعالى : " فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ " .(٥)

وأوجب على الآباء حفظ الأبناء والعناية بهم وتأديبهم والنفقة عليهم ، وأوجب على الأبناء الاحسان للوالدين ، وجعل لهما عليهم حقا كبيرا ، ونهاهم عن أي شيء يؤذيهما بقوله تعالى : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ".(٦)

---

(١) سروة النساء ، آية ٢٣ .
(٢) سورة النساء ، آية ٤ .
(٣) سورة البقرة ، آية ٢٣٣ .
(٤) سورة النساء ، آية ١٩.
(٥) سورة النساء ، آية ٣٤.
(٦) سورة الاسراء ، الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

وسئل صلى الله عليه وسلم : من أَحقُّ الناس بحسن صحابتي ؟ فقال: أمّكَ ،قيل : ثم من ؟ قالَ : أمّك ، قيل:ثمّ من ؟ قال :أمك ، قيل : ثم من ؟ قيل : أبوك ."(١)

وأباح الاسلام الطلاق والتفريق بين الزوجين اذا لم يمكنهما استمرار الحياة الزوجية حتى لا تنقلب الى جحيم لا يطاق ، ومع اباحته له الا أنه جعله أكره الحلال الى الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : أبغض الحلال الى الله :الطلاق " . وجعله من حق الرجل لأنه أصبر من المرأة على تحمل الأذى وأقل غضبا منها فلا يسارع اليه وخاصة أنه هو الذي أنفق المال ودفع المهر وجهز بيت الزوجية .

وأوجب على المرأة العدة ، وهي أيام تمكثها لا يجوز لها أن تتزوج بها براءة للرحم واتاحة لمراجعة الزوجين نفسيهما لعلهما يعودان الى الحياة الزوجية ، وأوجب النفقة على الزوجة في العدة .

ونظم أحكام الميراث وفصل من يستحق شيئا من التركة ممن لا يستحق من الأقارب ، وبين نصيب كل وارث بشكل يصيب عدد كبير من الأقارب فيه حظا من مال مورثهم .

الى غير ذلك من الأحكام التي تنظم جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة والتي تؤدي في النهاية الى مجتمع فاضل كريم ، يحيا حياة سعيدة .

أما في الجانب الاقتصادي ، فقد بين الاسلام البيوع والعقود والتصرفات المباحة والمحظورة أيضا ، وأهم ما يميز البناء الاقتصادي في الاسلام هو تحريمه للربا، يقول الله سبحانه وتعالى : " وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا "(٢)، ويقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ".(٣) ويقول : " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ "(٤)، والربا كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب من أحق الناس بحسن الصحبة ،جـ٧ ص ٦٩.

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٧٥. (٣) سورة البقرة ،الآيتان ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٧٥.

وسلم من السبع الموبقات [١]، وقد لعن فيه آكله وموءكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .[٢]

وقد حرمه الاسلام لأنه يفضي الى البغضاء والعداوة ويخلق طبقة مترفة وأخرى فقيرة ، ولأن الفقير يحب أن تمد اليه يد العون والاحسان فيُقْرَض بدون ربا .

ومن المعاملات التي أباحها الاسلام البيع والشركة والمزارعة والمساقاة والرهن والكفالة والاجارة والوكالة والحوالة ، ومما حرمه اضافة للربا بيع الغرر وبيع الملامسة والمنابذة والحصاة وبيع ما ليس عند الانسان والبيع على البيع وتلقي الركبان وغير ذلك مما يسبب ضررا على أحد المتبايعين .

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى مساعدة الفقراء وسد عوزهم فأوجب الزكاة في أموال الأغنياء ، يقول الله سبحانه وتعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "[٣]، وقال : " وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ "[٤]، وهي من صفات الموءمنين ومن أسباب فلاحهم : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ "[٥]، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من منعها بقوله : " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ "[٦]

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الوصايا ،باب قول الله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ج ٣ ص١٩٥.
(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب لعن آكل الربا وموءكله ج ٣ ص ١٢١٩.
(٣) سورة التوبة ، آية ١٠٣ .
(٤) سورة المعارج ، آية ٢٤ .
(٥) سورة الموءمنون الآيات ١ - ٤ .
(٦) سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ - ٣٥ .

ويقول : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(١) ، ويقول صلى الله عليه وسلم : " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يعني شدقيه - ثم يقول أنا كنزك أنا مالك "(٢).

والزكاة ليست مِنّةً من الغني على الفقير ؛ بل هي حق واجب ، والمال أمانة بيده ، وهو مأمور باعطاء الفقراء حقوقهم ، وهي سبب في طهارة القلوب ونقاء الصدور .

واذا لم تكف الزكاة لسد حاجة الفقراء والمساكين وجب في مال الأغنياء حق آخر سوى الزكاة ولا يتقيد بقيد الا بحد الكفاية .(٣)

وبهذا التنظيم وعلى وجه الخصوص وجوب الزكاة وحرمة الربا واباحة ما لا ضرر فيه من البيوع يعيش المجتمع الاسلامي في رخاء ودعة وأمن وسلام ولا يجد الفقر والجوع الى أحد منهم سبيلا ، فالكل يجد ما يحتاج اليه وكل منهم لأخيه كما جاء في الخبر كالبنيان المرصوص .

أما في الجانب السياسي ، فانطلاقا من ضرورة رعاية مصالح الأمة وتجنيبا لها حياة الفوضى والاضطراب فقد أوجب الاسلام نصب خليفة للمسلمين ويدل على ذلك قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ "(٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم :"من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية "(٥)، وقد أقام صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام الأولى في المدينة واجتمعت فيه صفة الامام (الرئاسة) مع صفة النبوة ، وقد بادر صحابة رسول الله الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والخليفة يجب أن يكون من رجال المسلمين العلماء العدول .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٨٠.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الزكاة ،باب اثم مانع الزكاة ج ٢ ص ١١١.

(٣) فقه السنة ج ٢ ص ٤١٦.

(٤) سورة النساء ، آية ٥٩.

(٥) صحيح مسلم ،كتاب الامارة ،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ج ٣ ص ١٤٧٨.

ويجب على خليفة المسلمين الحكم بما أنزل الله ، لقوله تعالى: "وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ "(١)، وهو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن ولي أمر المسلمين بعده، وقد خاطب الله داود فقال له : "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ "(٢). وقد وصف الله المعرضين عن حكم الله بالكفر والفسق والظلم ، " وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"(٣)، "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "(٤)، " وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ".(٥)

ويجب عليه العدل بين رعيته والمساواة بينهم واعطاء كل ذي حق حقه ، يقول تعالى : " وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "(٦)، وقال صلى الله عليه وسلم : " ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل ، وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر "(٧).

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم معنى العدل والمساواة بين الرعية بشكل واضح في قصة المرأة المخزومية التي سرقت وأراد قطعها فأهم الناس أمرها وسألوا أُسامة الحب بن الحب أن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد صلى الله عليه وسلم بقوله : " انما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤٩ .
(٢) سورة ص ، آية ٢٦.
(٣) سورة المائدة ، آية ٤٤ .
(٤) سورة المائدة ، آية ٤٥ .
(٥) سورة المائدة ، آية ٤٧ .
(٦) سورة المائدة ، آية ٤٢ .
(٧) سنن الترمذي ،كتاب الأحكام ، باب ما جاء في الامام العادل ج ٣ ص ٦١٧.

يدها "(١).

ويجب على الخليفة مشاورة رعيته لقوله تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ " ولقوله (٢) "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ "(٣).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستشير المسلمين فيما يعرض له من أمور ، كما حصل في الخروج لملاقاة المشركين يوم أحد وفي النزول عن شيء من ثمار المدينة يوم الخندق وفي غنائم هوازن وغير ذلك .

ويجب عليه اشاعة الأمن والاستقرار في دار الاسلام ليأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ويكون ذلك باعداد العدة وتهيئة الجيوش واعداد الجند واعلان الجهاد ، ويكون أيضا بتنفيذ أحكام العقوبات على المجرمين .

وهو مكلف أيضا بارسال الدعاة الى ديار غير المسلمين لتبشير الناس بدين الله واخراجهم من ظلمات العقائد الفاسدة ومن جور الأديان تنفيذا لقوله تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ "(٤)، فاذا ما تعرض هؤلاء الدعاة للأذى أو منعوا من تبليغ دين الله كان جند الله بالمرصاد ، وكانت دعوة الجهاد لكسر الطوق الذي يمنع من وصول كلمة الله الى الناس واسقاط عروش الجبابرة الذين يستعبدون البشر ويتألهون عليهم .(٥)

وهو أيضا مكلف بسياسة مصالح الناس وأمور معاشهم في دنياهم من علوم وصناعات وحرف ، واستثمار لخيرات البلاد وتوفير لفرص العمل وكل ما يلزم الأمة في حياتها الدنيوية .

وعلى الرعية طاعة ولي الأمر فيما لا معصية فيه لقوله تعالى :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ" (٦)،

---

(١) صحيح البخاري،كتاب الحدود ،باب كراهية الشفاعة في الحد اذا رفع الى السلطان ج ٧ ص ١٦ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٥٩.
(٣) سورة الشورى ، آية ٣٨ .
(٤) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .
(٥) انظر مقدمة سورة الأنفال في تفسير في ظلال القرآن .
(٦) سورة النساء ، آية ٥٩.

وقد عد الرسول معصية الأمير معصية لله ولرسوله وطاعته طاعة لله ولرسوله يقول صلى الله عليه وسلم : " من أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله "(١).

وعلى الرعية النصح لولي الأمر ، وبيان الخير له من الشر ، وتنبيهه الى ما يصلح الناس مما يفسدهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :" الدين النصيحة . قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "(٢).

كما نظم الاسلام علاقة الدولة المسلمة مع غير المسلمين من رعاياها وضمن لهم الحرية الدينية ، ونظم أيضا علاقة الدولة المسلمة مع غيرها من الدول في حالة السلم والحرب وبين أحكام الفيء والغنائم والأسرى .

أما في الجانب الجنائي ، فانطلاقا من حرص الاسلام على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم وعقولهم وحرمة اعتداء أحد من الناس على غيره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع : " أيها الناس ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا "(٣)، فقد حرم القتل العمد والعدوان والزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر والردة والمحاربة ، وجعل عقوبة محددة لمن يقترف عملا منها .

والأدلة على حرمة القتل كثيرة منها قوله تعالى : " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ "(٤)، وقوله : " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ".(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ".(٦)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ج ٨ ص ١٠٤.
(٢) صحيح مسلم ،كتاب الأيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ج ١ ص ٧٤.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحج ،باب الخطبة أيام منى ،ج ٢ ص ١٩١.
(٤) سورة الأنعام ، آية ١٥١.
(٥) سورة النساء ، آية ٩٣.
(٦) صحيح البخاري ،كتاب الديات ،باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس ج ٧ ص ٣٨.

وعقوبة القاتل القصاص الا أن يعفو أولياء الدم لقوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ".(١)، ولقوله : " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ".(٢)

أما القتل الخطأ ففيه الدية والكفارة قال تعالى : " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ".(٣)

وفي هذا التشريع الحكيم احياء للنفوس وقتل للفتنة في مهدها وايقاف لهدر سيلٍ من الدماء وما أبلغ قوله تعالى : " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ".(٤)

وحرم الله تعالى الخمر بقوله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ "(٥). وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشترى له "(٦)، ويلحق بالخمر جميع أنواع المخدرات كالحشيش والأفيون وغيرهما .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ١٧٨ - ١٧٩.
(٢) سورة المائدة ، آية ٤٥ .
(٣) سورة النساء ، آية ٩٢.
(٤) سورة البقرة ، آية ١٧٩.
(٥) سورة المائدة ، الآيتان ٩٠ - ٩١ .
(٦) مسند أحمد ج ٢ ص ٢٥ ، سنن ابن ماجه ،كتاب الأشربة ،باب لعنت الخمر على عشرة أوجه ج ٢ ص ١١٢٢.

والفقهاء متفقون على وجوب حد شارب الخمر ، ولكن منهم من ذهب الى أنه ثمانون جلدة وآخرون أنه أربعون • وهذا الخلاف بسبب ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة •(١)

وحرم الزنا بقوله تعالى : " وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً "(٢)، وحرم كل ما يشجع عليه ويوءدي اليه من الأقوال والأفعال كالخلوة واللمس والمصافحة والنظر والتبرج وابداء العورات والغناء الفاحش والرقص ، والتمثيليات الهدامة والقصص الأدبية الغرامية والمجلات الجنسية وغير ذلك •

وحدّ الزاني ان كان متزوجا الرجم بالحجارة وحد البكر جلد مائة وتغريب عام ، دل على الرجم الآية المنسوخة لفظا الثابتة حكما وهي : " الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة "(٣)، ودل على الجلد قوله تعالى : " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ "(٤)، وعن عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وسلم قال : " البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم "(٥). وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعزا عندما أقر عنده بالزنا •

وهذه العقوبة الشديدة تتناسب مع ضخامة الجريمة اذ في الزنا ضياع النسب وهدم المجتمعات ودمار الأسر والبيوت وانتشار الأمراض ، وهي تعمل على

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الحدود ، باب حد الخمر ، ج ٣ ص ١٣٣١•
(٢) سورة الاسراء ، آية ٣٢ •
(٣) موطأ مالك ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في الرجم ، ج ٢ ص ٨٢٤•
(٤) سورة النور ، آية ٢ •
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الزنا ، ج ٣ ص ١٣١٦•

زجر من يفكر بعمل الزنا وردعه وارهابه .

وحرم الاسلام قذف المحصنات الغافلات حماية لأعراض الناس وصيانة لكرامتهم وحفاظا على نظافة المجتمع من قالة السوء يقول تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ".(١)

وعقوبة القاذف الذي لا يأتي بأربعة شهود الجلد ثمانين وردّ شهادته ووصفه بالفسق لقوله تعالى : " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ".(٢)

وحرم الاسلام الردة عن الايمان بالله الى الكفر وجعل عقوبته القتل، يقول تعالى : " وَلَكِن مَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "(٣) ويقول : " وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "(٤).

والدليل على قتل المرتد قوله صلى الله عليه وسلم : " من بدل دينه فاقتلوه "(٥)، وقوله : " لا يحل دم امرىء مسلم الا بأحدى ثلاث وعد منها التارك لدينه المفارق للجماعة ".(٦)

وحرم خروج طائفة من المسلمين على الامام ومحاربتهم له وهو ما يسمى بالحرابة أو قطع الطريق ،ويدخل في مفهوم الحرابة عصابات القتل والسرقة وخطف الأطفال أو النساء وتفجير القنابل وما الى ذلك من أعمال العدوان والتخريب .(٧)

---

(١) سورة النور ، آية ٢٣ .
(٢) سورة النور ، آية ٤ .
(٣) سورة النحل ، آية ١٠٦ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢١٧.
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ،باب لا يعذب بعذاب الله ج ٤ ص ٢١.
(٦) صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس ج ٧ ص ٣٨ .
(٧) فقه السنة ج ٢ ص ٤٦٤.

وقد بين الله سبحانه وتعالى عقوبته بقوله : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ".(١)

وحرم الاسلام السرقة حفظا للأموال وصونا للحقوق وجعل عقوبة السارق قطع اليد ردعا وزجرا لمن تسول له نفسه بها ، قال تعالى : " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ".(٢)

هذه العقوبات المقدرة للجرائم الخطيرة يقصد بها الشارع المحافظة على ضرورات الدين والعقل والنفس والمال والنسل .

وهناك عقوبات أخرى غير مقدرة تسمى العقوبات التعزيرية وذلك لمن خالف وارتكت جريمة غير ما ذكرنا .

أما في الجانب القضائي ، فبعد أن أقر الاسلام المساواة والعدل بين الناس وعدم اعتدائهم على حقوق بعضهم البعض ، فقد نظم طريقة القضاء بينهم عند المنازعة والخصومة ، فأوجب تعيين القضاة ونظم طريقة الدعاوي وبين ما يصلح بينة على الحقوق مما لا يصلح وحرم شهادة الزور وحرم اليمين الكاذبة ، ونبه الى شدة عقوبة من يأكل حق أخيه في الدنيا وأنه انما يقتطع بذلك قطعة من النار .

والتشريع الاسلامي تشريع مرن ومتطور (٣)، يعني بجميع حاجات البشر المتجددة ومصالحهم المشروعة ولا يضيق بشيء من الأحداث وهو يناسب جميع المجتمعات مهما بلغت من الرقي والتقدم ، فهو صالح لكل زمان ومكان ، ولم ينزل للعرب خاصة ، ولا يقتصر فقط على تنظيم المجتمع البدوي في الصحراء ، بل هو بمبادئه وقواعده وأصوله وأحكامه وتنظيماته مناسب لتنظيم أحوال الناس في الوقت الحاضر .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٣ .
(٢) سورة المائدة ، آية ٣٨ .
(٣) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٤٥ .

وأحكام التشريع الاسلامي على نوعين :[1]

النوع الأول : الأحكام التفصيلية : وهي الأحكام الفرعية التي نص الشارع فيها على حكم بعض الجزئيات كأحكام العبادات كوجوب الصلاة وحرمة الافطار في رمضان ، وأحكام العقوبات كجلد الشارب وقتل القاتل وغير ذلك من الأحكام المفصلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الأحكام ثابتة غير قابلة للتغيير أو التبديل لاستمرار الحاجة اليها في جميع العصور ، وغيرها من الأحكام لا يمكن أن تقوم مقامها لعجزها عن تحقيق مصالح العباد ، فمهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال فانه لا يمكن الاستغناء عنها .

النوع الثاني : القواعد والمبادىء العامة التي تضمنها التشريع الحكيم وقام عليها مثل مبدأ العدالة والشورى والمساواة وكقاعدة لاضرر ولا ضرار ، وقاعدة درء المفاسد أولى من جلب المنافع وغير ذلك من القواعد العامة في التشريع ، وهذه القواعد والمبادىء بالاضافة الى ثباتها فهي من المرونة والعموم بحيث لا تضيق بأي جديد ، والشارع الحكيم وضع هذه المبادىء والقواعد بصورة عامة دون أن يحدد طريقة معينة لتحقيقها مما يوفر المرونة والصلاحية الدائمة لهذا النظام الالهي .

ومما يؤكد مرونة التشريع الاسلامي وصلاحيته لكل زمان خصوبة مصادره [2] وتعدد أنواعها وطبيعتها المتميزة التي تستجيب لجميع مطالب الحياة فتثري الفقه الاسلامي وتجعله يوفر الحكم لكل حادثة .

فالكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للتشريع جاءت فيهما الأحكام عامة وثابتة بحيث تلائم جميع العصور ومختلف البيئات ، ويستند الى الكتاب والسنة بقية المصادر الشرعية وتستمد حجيتها منهما كالاجماع والقياس والاستحسان والاستصلاح ، وكلها مصادر خصبة تمدنا بالأحكام اللازمة للوقائع المستجدة التي لم يأت بها نص صريح في الكتاب أو السنة .

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) وجوب تحكيم الشريعة الاسلامية ص ٦٧ .

ومن أعظم مقاصد التشريع الاسلامي رعاية مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم ، يقول الامام ابن قيم الجوزية : " الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة ومصالح كلها وحكمة كلها ."(١)

ولأن مبنى الأحكام الشرعية على تحقيق المصالح ودرء المفاسد(٢) فهي تتغير بتغير المصالح ، فالنسخ والتدرج في التشريع ونزول الأحكام تبعا للحوادث والمناسبات ، كل ذلك يؤكد ارتباط الأحكام الوثيق بمصالح العباد ، وهي تدور مع تلك المصالح ، فحيثما توجد المصلحة يوجد الحكم واذا تغيرت المصلحة وجب تغير الحكم .

ومن الأمثلة على ارتباط الأحكام بجلب المصالح للعباد ودرء المفاسد عنهم (٣) أن عمر رضي الله عنه عطل سهم المؤلفة قلوبهم من أموال الزكاة لأن المصلحة التي كانوا يعطون من أجلها وهي ضعف الاسلام والمسلمين في البداية قد انتهت ولهذا قال ان الله قد أعز الاسلام وأغنى عنهم .

ولم يقطع رضي الله عنه يد السارق في عام المجاعة ، حيث فهم أن الجزاء الشديد يكون عندما يسرق السارق لغير حاجة ، أما اذا حل به الجوع فمن العدل عدم استحقاقه لذلك الجزاء ، وبهذا تغير الحكم تبعا للمصلحة الشرعية .

ثم ان الأحكام عللت بجلب المصالح ودرء المفاسد عن العباد لأنها لم تشرع الا لذلك ، قال تعالى في وجوب الصلاة : " إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ "(٤)، وفي وجوب الزكاة : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "(٥)، وفي وجوب الحج : " لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ"(٦)، وفي القصاص قال : " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "(٧)، وفي حرمة الخمر والميسر قال : " إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ "(٨)، وفي حرمة الزنا قال : " إِنَّهُ

---

(١) اعلام الموقعين ج ١ ص ٣ .
(٢) الشريعة الاسلامية للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٤.
(٣) الاسلام وموقف علماء المستشرقين ص ٢٢.
(٤) سورة العنكبوت ، آية ٤٥ . (٥) سورة التوبة ، آية ١٠٣.
(٦) سورة الحج ، آية ٢٨ . (٧) سورة البقرة ، آية ١٧٩.
(٨) سورة المائدة ، آية ٩١.

كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا "(١)

وهكذا فالأحكام معللة بما فيه مصلحة للعباد أو دفع مفسدة عنهم .

والمتأمل في مصالح العباد يجد أنها على ثلاثة مراتب : أمور ضرورية أو حاجية أو تحسينية(٢) ، وأحكام التشريع جاءت لتحقيق هذه المصالح .

أما مصالح العباد الضرورية فهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال(٢) وهذه المصالح لا يستغني عنها العباد أبدا ، ولا تستقيم حياتهم بدونها ، وان عدم الحرص عليها يؤدي الى الفساد والفوضى واضطراب الأمور في حياة الناس .

فمن أجل حفظ الدين أوجب الشارع الحكيم العقائد الصحيحة من الايمان بالله وملائكته وكتبه .... وشرع كذلك العبادات ، وفرض الجهاد لنشر الدين والدفاع عنه ، وشرع حد القتل عقوبة للمرتدين .

ومن أجل حفظ النفس شرع القصاص على من يعتدي على غيره ، وحرم على الانسان قتل نفسه ، وأوجب عليه دفع الضرر عنها دائما والحفاظ عليها وتوفير ما يلزمها من المأكل والمشرب .

ولحفظ العقل فقد حرم الخمر وكل ما يذهب العقل ووضع العقوبة الزاجرة لشاربها .

ولحفظ النسل وايجاده شرع الزواج وحرم الزنا والقذف ووضع عقوبة مناسبة لكل منهما .

ولحفظ المال وتحصيله شرع أنواع الكسب الحلال من بيع وشراء وغير ذلك وحرم أكل أموال الناس بالباطل وحرم السرقة والغصب والربا ونهى عن اتلاف المال وشرع الحجر على السفيه .

أما مصالح العباد الحاجية : فهي التي يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشهم وان فواتها لا يؤدي الى اختلال نظام الحياة وانما يوقع الناس في الضيق والحرج ، لذا شرع الرخص عند المشقة وشرع

---

(١) سورة الاسراء ، آية ٣٢ .

(٢) الموافقات ج ٢ ص ٨ ، وجوب تحكيم الشريعة الاسلامية ص ٨١ - ٨٣ .

الطلاق للخلاص من حياة زوجية أصبحت جحيما ، وشرع الدية على عاقلة القاتل في القتل الخطأ .

وأما المصالح التحسينية فهي التي ترجع الى محاسن العادات ومكارم الأخلاق ، وان فواتها يوءدي الى خروج الناس عن النهج السليم ، ومنها الطهارة للبدن والثوب وكذلك ستر العورة والنهي عن قتل الأطفال في الحروب وغير ذلك .

وهكذا نجد التشريع الاسلامي قد حرص حرصا شديدا على تحقيق مصالح العباد ودفع الضرر عنهم في كل زمان ومكان ، وهكذا يوءكد مرونته وصلاحيته الدائمة ومناسبته لتنظيم حياة الناس وتوفير الراحة والسعادة والأمن والرخاء لهم ، وايجاد الفرد الصالح والمجتمع الصالح الذي يتوفر فيه كل عناصر الحياة السعيدة .

ثم ان التشريع الاسلامي سهل يسير ، راعى التخفيف عن العباد في كثير من أحكامه وهو ما يعبر عنه في الفقه الاسلامي برفع الحرج(١)، قال تعالى : " يُرِيدَ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً "(٢)، ويقول: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ "(٣)، ويقول صلى الله عليه وسلم: " عليكم من الأعمال ما تطيقون "(٤)، وأوصى صلى الله عليه وسلم معاذا وأبا موسى الأشعري حين بعثهما الى اليمن فقال لهما : " يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا "(٥)، ويقول عليه الصلاة والسلام : " فاذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه "(٦).

ومن مظاهر اليسر والسهولة في التشريع الاسلامي أنه لم يكلف البشر فوق طاقتهم وما يشق عليهم بل كلفهم بما يقدرون عليه ويطيقونه ، قال

---

(١) صور من سماحة الاسلام ص١٠ .
(٢) سورة النساء ، آية ٢٨ .
(٣) سورة الحج ، آية ٧٨.
(٤) صحيح البخاري ،كتاب الايمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله ج ١ ص١٠ .
(٥) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا ج ٧ ص١٠١.
(٦) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب توقيره صلى الله عليه وسلم ج٤ ص١٨٣٠.

تعالى : " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ".(١)

ثم انه نهى عن الغلو في الدين لما فيه من تكليف للنفس بما يشق عليها ويرهقها ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق "(٢) ، ولما أراد بعض أصحابه قيام الليل أبدا وبعضهم صيام النهار أبدا وبعضهم ترك الزواج أبدا وبلغه مقالتهم قال صلى الله عليه وسلم : "أما اني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".(٣)

ومن يسره وسهولته أنه لا يوءاخذ على الاكراه والخطأ والنسيان وقد قال صلى الله عليه وسلم : " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه "(٤)، وقال تعالى : " إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ "(٥) ، فلا اثم على المُكْرَه حتى ولو نطق بكلمة الكفر ، وكذلك المخطيء والناسي لا اثم عليهما فيما فعلا عن خطأ ونسيان وهذا منتهى اليسر والسهولة والرحمة بالعباد اذ راعى حالهم وما يعتريهم من نقص .

ومن يسره وسهولته اباحة الرخص رفعا للحرج ودفعا للمشقة وتيسيرا على العباد ، ومن أمثلتها اباحة الفطر للمريض والمسافر في رمضان، قال تعالى : " وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ "(٦)، وكقصر الصلاة للمسافر، قال تعالى : " وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ".(٧)

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٨٦.

(٢) مسند أحمد ١٩٩/٣.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ج ٦ ص ١١٦.

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق المكره والناسي ج ١ ص ٦٥٩ ، ،والحديث ضعيف ، ولكن العمل عليه عند الفقهاء .

(٥) سورة النحل ، آية ١٠٦.

(٦) سورة البقرة ، آية ١٨٥.

(٧) سورة النساء ، آية ١٠١.

ومن ذلك أيضا اباحة المحظور في حالة الضرورة رفعا للحرج واحياء للنفوس ومثاله اباحة أكل الميتة ولحم الخنزير وغيرهما من المحرمات في حالة الاضطرار ، قال تعالى : " إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "(١)، وكاباحة النطق بكلمة الكفر في حالة الاكراه.

ومن يسره وسهولته أنه قرر قاعدة " الأصل في الأشياء والأعيان الاباحة " ما لم يرد نص صريح بالتحريم ، فالاباحة هي الأصل والتحريم مستثنى ، فما لا نص فيه بما فيه منفعة للعباد يكون معفوا عنه وهذا من رحمة الله بعباده وقد قال صلى الله عليه وسلم " الحلال ما أحله الله في كتابه والحرام ما حرمه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه ".(٢)

ومبدأ اليسر مهيمن على التشريع الاسلامي في شتى المجالات ، ففي المعاملات نجد اليسر والسهولة اذ تتم العقود ببساطة وبلا تعقيد متى توفرت الرغبة عند العاقدين دون التقيد بمراسم معينة وأمور شكلية كما كان معروفا عند الرومان ، وان بناء كثير من أحكام المعاملات على العرف الصحيح يؤكد يسر الاسلام وسماحته وتخفيفه على العباد.

ونلمس مبدأ اليسر والسماحة أيضا في مجال العقوبات ، اذ يأمر بدرء الحدود بالشبهات ، قال صلى الله عليه وسلم:"ادرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة "(٣)، وهذا لأن العقوبات ليست هدفا في التشريع ، ولولا أن ضرورة الحياة اقتضتها لما شرعها ، فهي من أجل توفير حياة كريمة آمنة مطمئنة ، فاذا ما توفرت أدنى شبهة فان الحد لا يقام على الفاعل.

ثم ان التشريع الاسلامي تشريع أخلاقي ، حيث ترتبط الأخلاق الرفيعة بكل جزئية من جزئياته سواء في المعاملات أو العبادات ، فهو في آن واحد في الصلاة مثلا يحث على طهارة الظاهر في البدن والملبس والمكان ويحث على طهارة الباطن من الرياء والحقد والحسد ، وكذلك سائر

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٧٣.

(٢) سنن ابن ماجة ،كتاب الأطعمة ، باب أكل الجبن والسمن ج ٢ ص ١١١٧.

(٣) سنن الترمذي ،كتاب الحدود ،باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحدج٤ ص ٣٢.

العبادات .

وتقف الأخلاق الاسلامية في المعاملات للتوجيه والارشاد فتمنع الغش والاحتكار والتدليس والخداع واخفاء العيب في السلعة وتحث على التعامل بالقرض الحسن والسماحة في البيع والشراء والاقتضاء وتنهى عن التعامل بالربا ، كما تأمر بالوفاء بالعقود ورد الامانات الى أهلها .

وفي مجال العلاقات الاجتماعية أمر الاسلام بمكارم الأخلاق في تعامل الناس مع بعضهم البعض فحث على الصدق والرفق وسعة الصدر والرحمة والحب والتواضع والكرم والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الوالدين وصلة الرحم ونهى عن الكذب والغلظة والبغضاء والتنافر والكبر والبخل وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وغير ذلك من الرذائل التي تؤدي الى تمزيق أواصر المجتمع .

وحرص على صيانة أعراض الناس من أن تنتهك فحرم الغيبة والنميمة والقذف ونهى عن التجسس والفحش في القول وحرم الزنا .

وهكذا سائر مجالات الحياة فانها ربطت بالاخلاق الفاضلة في كل صغيرة وكبيرة حتى في علاقة المسلمين بأعدائهم تظهر أخلاق الاسلام بصورة بارزة ومتميزة فينهى عن الغدر والخيانة ويحرم قتل الشيوخ والنساء والصبيان والتمثيل بالقتلى .

والتشريع الاسلامي يحظى باحترام الجميع وهيبتهم منه لاقترانه بالجزاء الدنيوي والأخروي ، بخلاف النظم الوضعية التي لم تقترن الا بالجزاء الدنيوي .(٢)

فاحكام الشريعة تقترن بجزاء دنيوي يوقع على المخالف من أجل استقرار المجتمع وتنظيم علاقات الافراد وضمان حقوقهم المشروعة ، فالقاتل يقتل والسارق تقطع يده والقاذف والزاني البكر يجلد والمحصن يرجم وهكذا .

أما الجزاء الأخروي والذي هو الأصل في الأجزية فيترتب على كل مخالفة لأي حكم من أحكام التشريع سواء كانت من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح وسواء عوقب عليها المسيء في الدنيا أو لم يعاقب ، ولا

---

(١) وجوب تحكيم الشريعة الاسلامية ص ٩٩ .

(٢) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٤٣ .

يسقط هذا الجزاء الا بالتوبة الصادقة واعادة الحقوق الى أصحابها ،
قال تعالى في عقوبة قاطع الطريق : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا .... ذَٰلِكَ لَهُمْ
خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ "(١). فعقوبته دنيوية
وأخروية . وقال في عقوبة آكل أموال اليتامى : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا "(٢)،
وقال في عقوبة القاتل : " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ".(٣)

والجزاء الأخروي أعم من الجزاء الدنيوي فهو يشمل كل تصرف يصدر عن الانسان سواء أسره أو أظهره وسواء أكان صغيرا أو كبيرا ، فان كان خيرا فثوابه كذلك وان كان شرا وجد الشر قال تعالى : " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ".(٤)

وبناء على ذلك فان للتشريع الاسلامي سلطانا عظيما على النفوس اذ يخضع المسلم خضوعا اختياريا في السر والعلن خوفا من عقاب الله وطمعا في رضاه حتى اذا ما اقترف جريمة خفية عن أعين الناس دفعه ضميره الموقن بعذاب الله في الآخرة الى الاعتراف بها وطلب بنفسه اقامة العقوبة عليه في الدنيا مهما كانت صعبة ، فهذا ماعز رضي الله عنه يقع في جريمة الزنا فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طواعية واختيارا معترفا بما وقع منه ، طالبا اقامة الحد عليه بقوله : يا رسول الله طهرني ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على قوة سلطان التشريع الالهي على النفوس حيث لا يجروء أحد من أتباعه مخالفته خوفا من الجزاء الأخروي ، وبهذا تنزجر النفوس وتنتهي عن غيها وطغيانها ، وهذا أمر لا يتوفر للشرائع الوضعية لأن أجزيتها دنيوية فقط وسلطانها

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٣.
(٢) سورة النساء ، آية ١٠ .
(٣) سورة النساء ، آية ٩٣ .
(٤) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ – ٨ .

ضعيف على النفوس ، فكل من يستطيع أن يخالف القانون سرا دون أن يراه أحد فانه يفعل المحظور دون حرج فلا رقيب عليه ولا رادع له من داخله .

والتشريع الاسلامي تشريع مستقل قائم بذاته لم يتأثر بغيره من التشريعات قديما وحديثا ، مصدره الوحي الالهي ، وهو ليس صدى لما جاءت به الشرائع السماوية السابقة ولا ترديدا للنظم والقوانين الوضعية التي كانت معروفة قبل نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم سواء ما كان معروفا منه عند العرب في جاهليتهم على قلته من عادات وتقاليد أو ما كان معروفا عند الرومان من نظم وقوانين ، وان اتفاق الشريعة الاسلامية مع الشرائع السابقة في بعض الأصول والمقاصد لا يدل على التأثر وانما يدل على وحدة المصدر الالهي .

هذه هي الأحكام الأساسية في الشريعة الاسلامية ، وهذه هي خصائصها ، وهي تختلف اختلافا جذريا عن كل ما عرفته البشرية من قوانين وضعية سواء ما عرف منها قبل البعثة أو بعدها ، حيث تتسم هذه القوانين بالأوصاف التالية :

١ - أنها قوانين قاصرة لا وفاء فيها لمعالجة مشاكل البشر ، وهذا القصور في القانون سببه القصور في واضعه ، اذ يعتري البشر مهما بلغوا من علم وحكمة عوارض الجهل والخطأ والنسيان واتباع الهوى .

٢ - أنها تصدر عن حاجات آنية لسدها ، ولذلك فهي ليست شاملة لجميع النشاط البشري، ولا بد من استكمالها أو تغييرها كلما دعت الحاجة .

٣ - أنها قوانين بيئة خاصة ، ولمجتمع خاص ، لا تصلح لبيئة أخرى ولمجتمعات أخرى لأنه روعي فيها الأوضاع الخاصة للمجتمع بعكس الشريعة الاسلامية الصالحة لكل زمان ومكان .

٤ - أنها تخضع عند تشريعها لرغبة السلطة الحاكمة ، ولا تتحرر عن هوى القاعدين على كراسي الحكم فتأتي على الهيئة التي يريدون واللون الذي يرغبون ، وتحقق مصالحهم ورغباتهم وليس مصالح الشعب وحاجاته .

٥ - أنها لا تعتمد على الوازع النفسي ، ولا تربي في الناس الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن ، وكل ما يحرص عليه الفرد هو أن لا يقع في يد السلطة الرسمية ، ولا شيء أبعد من ذلك ، بينما يربي الاسلام في الفرد رقابة الله والخوف منه ومن عقابه في الآخرة .

٦ ـ أنها لا تقوم على أساس أخلاقي ، فالقانون لا يراعي الأخلاق ولا يحرص عليها فالزنا باتفاق الطرفين وشرب الخمر مثلا لا يعاقب عليهما القانون ولا يحرم فعلهما ، على عكس الشريعة الاسلامية التي تقوم أحكامها على أسس أخلاقية ٠

٧ ـ أنها تهتم بالجانب الدنيوي فقط وتنظم له دون الجانب الأخروي ، مما يسبب انحرافا لتغليب الجانب المادي على الجانب الأخروي في حياة البشر، بخلاف الاسلام الذي شرع أحكامه لتحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة ٠

٨ ـ أن هذه القوانين ليس فيها مساواة مطلقة بين أفراد الشعب، اذ تتمتع بعض الطبقات بامتيازات خاصة ليست لغيرها ، كأفراد السلطة الحاكمة أو أعضاء الحزب مثلا ، على خلاف الاسلام الذي قرر المساواة المطلقة بين جميع الأفراد ٠

٩ ـ أنها ليست مرنة ، ولا توافق جميع البيئات ومختلف الظروف ، مما يتطلب تغييرا دائما بحسب الأحوال والمتغيرات ٠

هذه هي أهم سمات القوانين الوضعية قديمها وحديثها وهي كما رأيت تختلف عن شريعة الله اختلافا بينا ، والسوءال هو من أين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الشريعة لو لم يكن وحيا من الله ٠

لو كانت من عنده أو من انتاج بيئته لكانت مشابهة لغيرها من القوانين ، ولجاءت متصفة بما اتصف به غيرها من النظم ، ولكن اختلافها عن غيرها من النظم وتفردها بكثير من الخصائص وتلبيتها لمصالح الناس وتكوينها لمجتمع فاضل صالح يوءكد ربانية مصدرها وأنها وحي الله لرسوله وأنه صلى الله عليه وسلم صادق في نبوته ، تلقى عن الله بواسطة جبريل عليه السلام ٠

انها الشريعة المعجزة التي لم يقدر الناس على مثلها ، الشاهد الواضح والدليل الراسخ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ٠

البـاب الـرابـــــــــــــــــــــــــــــــــع

شبـهات حول صدق الـنبـوة الـمحمدية وردهــــــــــــــــــــــــــــا

ويتضمن فصلين :

الـفصل الأول : شبـهات الـعرب قديـمـــــــــــــــــــــا

الـفصل الـثاني : شبـهات الـمستشرقيــــــــــــــــــــن

الفصل الأول

شبهات العرب قديما وردها (١)

بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم في قومه وأمره بانذارهم بقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ "(٢)، وبقوله : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " (٣). فدعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان بالله سبحانه وتعالى وتوحيده وتنزيهه وترك ما وجدوا عليه آباءهم من عبادة الأصنام ، وبين لهم أنه مرسل اليهم من ربه ، وهو سبحانه وتعالى الذي ينزل عليه القرآن بواسطة جبريل عليه السلام ، فاستجاب له فريق منهم وآمنوا به وكان من أوائل هوءلاء أبو بكر وخديجة وعلي وآل ياسر رضي الله عنهم جميعا . وأعرض عنه آخرون وكذبوه ووقفوا في طريق دعوته يصدون عن سبيل الله ، بل وأعلنوا الحرب بعد أن آذوه وآذوا أصحابه أشد الأيذاء ، يقول تعالى على لسانهم : " قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ " (٤)، ولم ينفع معهم ما كان ينزل على رسول الله من آيات بينات وحجج ساطعات .

لقد استغرب هذا الفريق أن يُوحى الى رجل منهم ، وتعجبوا أن يُختار محمد بن عبدالله من بينهم لحمل هذه الرسالة وأداء هذه الأمانة ، وقد سجل القرآن الكريم استغرابهم وتعجبهم واستهجانهم هذا في آيات عدة منها :

قوله تعالى : " أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ". (٥)

---

(١) استعرضت القرآن الكريم وقيدت الآيات الكريمة التي تناولت شبهات العرب والرد عليها ، وقد وجدت أن هذا الموضوع من موضوعات القرآن المكي دون القرآن المدني .

(٢) سورة المدثر ، الآيتان ١ - ٢ .

(٣) سورة الشعراء ، آية ٢١٤.

(٤) سورة الملك ، آية ٩ .

(٥) سورة يونس ، آية ٢.

وقوله تعالى : " وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُم "(١)

قوله تعالى : " أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا " .(٢)

وقوله : " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ."(٣)

وقوله : " قٓ وَالقُرْآنِ المَجِيدِ ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ".(٤)

وقد أخذوا يثيرون الشُبَهَ ويرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالافتراءات وبأنه مجنون وبأنه شاعر وبأنه ينقل ما يأتي به عن غيره وأن القرآن أساطير الأولين .

ومن الآيات التي ذكرت على لسانهم شبهة السحر :

قوله تعالى : " نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا."(٥)

وقوله تعالى : " وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ."(٦)

وقوله تعالى : " وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ."(٧)

وقوله تعالى : " وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ."(٨)

وقوله تعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ."(٩)

---

(١) سورة ص ، آية ٤ .

(٢) سورة ص ، آية ٨ .

(٣) سورة الزخرف ، آية ٣١.

(٤) سورة ق ، الأيتان ١ ـ ٢ .

(٥) سورة الاسراء ، آية ٤٧ .

(٦) سورة سبأ ، آية ٤٣ .

(٧) سورة الصافات ، الآيتان ١٤ ـ ١٥.

(٨) سورة ص ، آية ٤ .

(٩) سورة الزخرف ، آية ٣٠.

وقوله تعالى : " وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ".(١)

ومن الآيات التي أوردت على لسانهم شبهة الجنون :

قوله تعالى : " وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ".(٢)

وقوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ".(٣)

وقوله تعالى : " وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ".(٤)

ومن الآيات التي ذكرت على لسانهم ~~[illegible]~~ وأن القرآن أساطير الأولين :

قوله تعالى : " وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ".(٥)

وقوله تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ".(٦)

ومن الآيات التي ذكرت على لسانهم أنه منقول من غيره

وقوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ".(٨)

وقوله تعالى : " وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ".(٧)

---

(١) سورة الأحقاف ، آية ٧ .
(٢) سورة الحجر ، آية ٦ .
(٣) سورة سبأ ، الآيتان ٧-٨ .
(٤) سورة القلم ، آية ٥١ .
(٥) سورة الأنعام ، آية ٢٥ .
(٦) سورة النحل ، آية ٢٤ .
(٨) سورة الفرقان ، الآيتان ٤ - ٥ .
(٧) سورة المطففين ، الآيتان ١٢ - ١٣ .

ومن الآيات التي نقلت على لسانهم تهمة أن القرآن شعر وأن الرسول شاعر :

قوله تعالى : " بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ".(١)

وقوله تعالى : " وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ".(٢)

هذه هي أبرز الشبه التي رددها المنكرون لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجاحدون بأن القرآن وحي من عند الله سبحانه وتعالى وأن رسول الله ليس الا مبلغا أمينا من ربه .

<u>موقف القرآن من هذه الشبهات :</u>

يلاحظ في معالجة القرآن الكريم للشبهات التي أثارها العرب قديما والتي استندوا اليها في انكار نبوة رسول الله وربانية كتاب الله أنه سلك منهجا سديدا يتلخص في تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكيره أنه ما من أمة الا وكذبت رسولها ، وما من نبي الا وآذاه قومه ورموه بمثل ما قالت العرب له ، ثم أمره بالصبر على الأذى وتحمله والاكثار من الصلاة والتسبيح والذكر ، ثم أكد بصورة جازمة أن القرآن وحي من الله ، وتوعد وتهدد المكذبين الضالين وبين لهم مصيرهم وصورا من العذاب الذي ينتظرهم ، ثم رد القرآن الافتراءات التي أطلقوها ونفاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام الدليل على بطلانها وسأتحدث عن كل نقطة على حدة مستدلة على ذلك بشيء من القرآن الكريم.

<u>أولا :</u> صرح القرآن الكريم بأن الأمم السابقة كذبت رسلها ، وأن الأنبياء جميعا تعرضوا لمثل ما يلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من القذف بمختلف التهم ، وفي هذا تسلية لرسول الله وتسرية عنه .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٥ .

(٢) سورة الصافات ، آية ٣٦ .

يقول تعالى : " وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ".(١)

ويقول تعالى : " ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ".(٢)

ويقول تعالى : " وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ."(٣)

ويقول تعالى : " وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ."(٤)

ويقول تعالى : " وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ."(٥)

ويقول تعالى : " يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ."(٦)

ويقول تعالى : " مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ " .(٧)

ويقول تعالى : " وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ".(٨)

ويقول تعالى : "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ".(٩)

---

(١) سورة الانعام، آية ١٠ .
(٢) سورة "المؤمنون" آية ، ٤٤.
(٣) سورة العنكبوت ، آية ١٨.
(٤) سورة فاطر ، آية ٤ .
(٥) سورة فاطر ، آية ٢٥ .
(٦) سورة يس ، آية ٣٠.
(٧) سورة فصلت ، آية ٤٣ .
(٨) سورة الحج ، الآيتان ٤٢ - ٤٤ .
(٩) سورة ص ١٢ - ١٣.

وهكذا فقد وقع التكذيب من جميع الأمم السابقة لأنبيائها ، فليس تكذيب قريش والعرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا جديدا ، بل انها سنة الله في أنبيائه ، يقول تعالى في تكذيب قوم نوح له :"كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ "(١). وفي تكذيب قوم هود له يقول تعالى : " كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ " (٢)، وقوم صالح كذبوه : " كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ"(٣)، وقوم لوط كذلك : " كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ "(٤)، وقوم شعيب كذلك : " كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ".(٥)

وكما رمت العرب رسول الله بأنواع التهم وصنوف الأكاذيب فقد رُمِيَ بعض من سبقه من الأنبياء بالسحر والجنون ، فموسى عليه السلام منذ اللحظة الأولى من إعلان دعوته قذفه فرعون وجنوده بالسحر ، يقول تعالى على لسان فرعون : " قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ " (٦)، وقال تعالى عن فرعون وقومه : " فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ".(٧)وقال تعالى : " فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ".(٨)

وكما اتهم موسى بالسحر فاتهم أيضا بالجنون ، يقول تعالى على لسان فرعون : " قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ".(٩)

---

(١) سورة الشعراء ، آية ١٠٥ .
(٢) سورة الشعراء ، آية ١٢٣.
(٣) سورة الشعراء ، آية ١٤١.
(٤) سورة الشعراء ، آية ١٦٠.
(٥) سورة الشعراء ، آية ١٧٦.
(٦) سورة الشعراء ، آية ٣٤.
(٧) سورة النمل ، آية ١٣.
(٨) سورة القصص ، آية ٣٦.
(٩) سورة الشعراء ، آية ٢٧.

ورمي نوح عليه السلام بالجنون ، قال تعالى على لسان قومه : " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ".(١)

ورمي هود عليه السلام بالجنون أيضا قال تعالى على لسان قومه : " إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ".(٢)

وهكذا فالأمر ليس بجديد بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، بل قيل لاخوانه الأنبياء من قبله مثل ما يقال له من الكلام الباطل ، فلا بد من تحمل الأذى والصبر عليه ٠

ثانيا : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمواجهة افتراءات أعدائه بالصبر والتحمل وعدم التأثر بما يقولون والثبات على ما أوحى الله به اليه وتبليغ ما أمره به والاعراض عنهم والاستعانة على ذلك بالصلاة والتسبيح وذكر الله ٠

يقول تعالى : " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ".(٣)

ويقول تعالى : " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ".(٤)

ويقول تعالى : " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ".(٥)

ويقول تعالى : " فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا " .(٦)

ويأمر الله رسوله على الصبر بتبليغ دعوته والاعراض عن الجاهلين، فيقول تعالى : " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "(٧)، ويقول تعالى : "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"(٨)

---

(١) سورة المؤمنون ، آية ٢٥٠

(٢) سورة هود ، آية ٥٤٠

(٣) سورة الروم ، آية ٦٠ ٠

(٤) سورة غافر ، آية ٧٧٠

(٥) سورة القلم ، آية ٤٨٠

(٦) سورة المعارج ، آية ٥ ٠

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٤٠

(٨) سورة الذاريات ، الآيتان ٥٤ - ٥٥٠

ويقول تعالى : " وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً".(١)

ولأهمية العبادة وتوثيق الصلة بالله ودورها في تثبيت رسول الله أمام افتراءات المكذبين أمره الله تعالى بالصلاة والذكر والتسبيح مع الصبر ، يقول تعالى :"فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ".(٢)

ويقول تعالى : " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ".(٣)

ويأمره تعالى بالتمسك بالقرآن بقوله : فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ".(٤)

ويأمره بعدم الحزن لما يقولون بقوله تعالى : " فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ".(٥)

ثالثا : ويؤكد الحق سبحانه وتعالى أمام افتراءات المكذبين أن القرآن وحي من الله أنزله على رسوله بواسطة جبريل عليه السلام ، وأن محمدا ما هو الا رسول أمين مبلغ عن الله وحيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه ، فيجب الايمان به .

يقول تعالى : " قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ."(٦)

ويقول : " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ".(٧)

ويقول : " الٓمٓ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ".(٨)

---

(١) سورة المزمل ، آية ١٠ .
(٢) سورة طه ، آية ١٣٠ .
(٣) سورة الانسان ، الآيات ٢٤ - ٢٦ .
(٤) سورة الزخرف ، آية ٤٣ .
(٥) سورة يس ، آية ٧٦.
(٦) سورة الفرقان ، آية ٦ .
(٧) سورة الشعراء ، الآيات ١٩٢ - ١٩٤.
(٨) سورة السجدة ، الآيات ١ - ٣ .

ويقول : " يسٓ وَالقُرآنِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ ".(١)

ويقول : " بَلْ جَاءَ بِالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ ".(٢)

ويقول : " تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ".(٣)

ويقول : " حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ".(٤)

ويقول : " تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ".(٥)

ويقول : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ ".(٦)

ويقول تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزِيلاً ".(٧)

وهكذا يقطع القرآن الكريم بأن ما ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى أنزله عليه لهداية الناس ، وهو حق لا مراء فيه.

---

(١) سورة يس ، الآيات ١ – ٣ .
(٢) سورة الصافات ، آية ٣٧ .
(٣) سورة الزمر ، الآيتان ١ – ٢ .
(٤) سورة الشورى ، الآيات ١ – ٣ .
(٥) سورة الجاثية ، آية ٦ .
(٦) سورة الواقعة ، الآيات ٧٥ – ٨٠ .
(٧) سورة الانسان ، آية ٢٣ .

رابعا : ازاء تكذيب المنكرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجههم القرآن الكريم بالتهديد الشديد والوعيد العظيم والعذاب الأليم ، وبين لهم مصيرهم وجزاءهم في الدنيا والآخرة وتلا عليهم صورا من العذاب الذي سيذوقونه اذا ما استمروا في تكذيبهم وعنادهم ، يقول تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ".(١)

ويقول تعالى : " وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ".(٢)

ويقول تعالى : " فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ."(٣)

ويقول تعالى : " وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ".(٤)

وقال تعالى في الوليد بن المغيرة بعد رميه الرسول بالسحر : " سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ " .(٥)

وقال تعالى : " وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ".(٦)

---

(١) سورة غافر ، الآيات ٦٩ - ٧٢.
(٢) سورة الجاثية ، الآيات ٧ - ١٠ .
(٣) سورة القلم ، الآيتان ، ٤٤ - ٤٥.
(٤) سورة المزمل ، الآيات ١١ - ١٤ .
(٥) سورة المدثر ، الآيات ٢٦ - ٣٠ .
(٦) سورة المطففين ، الآيات ١٢ - ١٧.

خامسا : رد القرآن الكريم الشبه التي أثارها المنكرون الجاحدون ، ودفع تهمة السحر والجنون والشعر والأخذ من الغير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرّأه من كل ما تفوه به مشركو العرب فقال تعالى : " وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ".(١)

ويقول تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ."(٢)

ويقول تعالى : " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ " .(٣)

ويقول تعالى : فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ".(٤)

ويقول تعالى : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ".(٥)

ويقول تعالى : " نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ " .(٦)

ويقول تعالى : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ " .(٧)

ويقول تعالى : " وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ".(٨)

انه وحي الله لرسوله ، ليس بالشعر وليس بالسحر وليس بقول كاهن أو مجنون .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٢١٠ – ٢١٢.
(٢) سورة سبأ ، آية ٤٦ .
(٣) سورة يس ، آية ٦٩ .
(٤) سورة الطور ، آية ٢٩ .
(٥) سورة النجم ، الآيات ١ – ٥ .
(٦) سورة القلم ، الايتان ١ – ٢ .
(٧) سورة الحاقة ، الايات ٣٨ – ٤٣.
(٨) سورة التكوير ، الآيات ٢٢ – ٢٧ .

بطلان شبهات العرب :

ما ادعاه العرب على رسول الله من الجنون والسحر والشعر والأخذ عن غيره باطل من عدة وجوه : -

الأول :

سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم ، فقد عاش بينهم أربعين سنة قبل أن ينبأ ، وكانوا يعرفونه معرفة دقيقة ويطلعون على أحواله ، وكان متميزا بينهم بالصدق والأمانة وسائر الأخلاق الكريمة ، وكان مترفعا عما كان يقع القوم فيه من مفاسد ، واشتهر بينهم برجاحة عقله وسلامة تفكيره ، ولم يؤثر عنه قول الشعر ولا تعلم السحر ولا التلقي عن الكهان ، لقد كان صلى الله عليه وسلم رجلا كاملا سليما معافى صاحب خلق وفضائل وافر العقل ، فليس من المعقول ممن هذه حاله وصفته أن يكذب على الله ، وقد شهد أبو سفيان له بهذه الصفات الجميلة أمام قيصر فما كان من قيصر الا أن قال : ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

الثاني :

اضطراب العرب في موقفهم من رسول الله ، فهم الذين رموه بالجنون والسحر والشعر والكهانة ، وهم أنفسهم نفوا عنه هذه الأكاذيب ، وقد روي عن كثير منهم نفيهم أن يكون ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي يشبه شيئا من الشعر أو السحر أو الكهانة أو الجنون .

روي أن الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لِمَ ؟ قال : ليعطوكه فانك أتيت محمدا تتعرض لما قبله ، قال : لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له . فقال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم

برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله ان لقوله حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته " . وهكذا نفى أن يكون القرآن شعرا ، ولكنه بعد تفكير قال بأنه سحر يوءثر ".(١)

وفي موءتمر لقريش لبحث أمر رسول الله وما التهمة التي يجب الاتفاق عليها لتوجيهها له لالقائها على العرب في موسم الحج سألوا الوليد بن المغيرة أن يقول في القرآن رأيا ، فقال بل أنتم فقولوا لأسمع. فقالوا: نقول كاهن ، فقال: ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسحره ، فقالوا نقول مجنون ، فقال وما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا فنقول شاعر ، قال : فما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : فما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده ، فقالوا ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لمعذق وان فرعه لجنآ فما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل وان أقرب القول لأن تقولوا ساحر ، فتقولوا هذا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه وبين المرء وبين زوجته وبين المرء وعشيرته ".(٢)

وروي أن النضر بن الحارث قال : يا معشر قريش انه والله لقد نزل بكم أمر ما أبتليتم بمثله ، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٨١.

بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم ".(١)

وروى مثل هذا عن عتبة بن ربيعة وأنيس أخي أبي ذر الغفاري .

ومن هذه الروايات نرى أن العرب لم يكونوا على اقتناع بما يرمون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من شبه باطلة ، بل كانوا على يقين من بطلانها وفسادها ، ولكنه الكبر والجحود والعناد .

الثالث :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل على السحرة والكهنة والشعراء الا الذين آمنوا والشياطين ، فلو كان متصلا بأحد منهم وناقلا عنهم لما صدر عنه مهاجمتهم وتحقير عملهم .

الرابع :

أن جبر الرومي ، الذي كان يعمل حدادا بمكة ، والذي اتهمت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان يأخذ عنه كان رجلا عاميا ،ليس صاحب علم وكان أعجمي اللسان ، والقرآن عربي اللسان ، يقول تعالى: "لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ".(٢)

وهذه الشبهات التي أوردها العرب تناولها المستشرقون وتوسعوا فيها وألبسوها ثوب البحث العلمي ، وفي الفصل الثاني أعرض لشبهاتهم وأفصل في الرد عليها ، وفي الرد الذي قدمته عليها رد على شبهات العرب أيضا .

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٨٣ .
(٢) سورة النحل ، آية ١٠٣.

الفصل الثاني

شبهات المستشرقين والرد عليها

أهداف حركة الاستشراق :

نشأت حركة الاستشراق في جو خانق من الحقد والكراهية للاسلام ونبي الاسلام وأهله ، حيث انبعثت من الكنيسة وعاشت في ظلها وارتبطت بأهداف المبشرين والمستعمرين ، لذا جاءت كتابات المستشرقين تطفح بالحقد الأعمى والسم الزعاف الا ما ندر منها ، فالتبشير والاستعمار والاستشراق ثلاث حلقات متداخلة ومتعاونة للطعن في الاسلام والنيل من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

يقول الاستاذ محمد البهي رحمه الله : " وينطوي عمل الدارسين للاسلام من المستشرقين على نزعتين رئيسيتين ، الأولى : تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الاسلامية وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوروبي والرضا بولايته ، والثانية : الروح الصليبية في دراسة الاسلام ، تلك النزعة لبست ثوب البحث العلمي وخدمة الغاية الانسانية المشتركة ".(٢)

فالهدف الأساسي من كتابات المستشرقين عن الاسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة والسلام هو التشويه والطعن والتشكيك ، وان تستروا بقناع البحث العلمي لاخفاء هذه الأهداف المسمومة .

والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنها مرت بمرحلتين : عَقَدِيَّة حيث الهجوم الصريح والحقد البين والنيل المباشر من الاسلام وأهله ، والمرحلة الثانية : مرحلة التستر بالعلم والمراوغة باستعمال اسلوب المدح والثناء والتقدير والاحترام ، ومن خلال ذلك يتم بث السموم القاتلة ، وهذه المرحلة أشد خطرا من سابقتها لأنها تخدع القارئ وتغرر

---

(١) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١٥.

(٢) الفكر الاسلامي الحديث ص ٤٨.

به .(١)

وهكذا كَتَبَ المستشرقون في الاسلام بروح عدائية مشبعة ، صليبية ويهودية ، ولم يفلت أغلبهم من أضغان الماضي والحقد التاريخي الطويل على مدى العصور ، ولم يستطيعوا بادعاءاتهم وأكاذيبهم أنهم سلكوا طريق البحث العلمي اخفاء ما يتصفون به من حقد أعمى وتعصب بغيض وكراهية شديدة .

يقول الاستاذ برنار لويس : " لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في موءلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة وراء الحواشي المرصوصة في الآبحاث العلمية ."(٢)

ويقول الاستاذ نورمان دانيل : " على رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الاسلام فانهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجردا تاما كما يتوهمون ."(٣)

موقف المستشرقين من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

تنكر الغالبية العظمى من المستشرقين نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشكك في أن مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى ، وتدعي أن هذا الكتاب من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ، والقلة منهم أقرت أقلامهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترفت بأن أحدا من البشر لا يقدر على نظم القرآن الكريم .

والمنكرون لنبوته منهم انقسموا الى فئتين في موقفهم من رسول الله ومما جاء به :

الفئة الأولى : وهي التي لم تستطع أن تخفي حقدها وعداوتها ، فوصفوا نبينا عليه الصلاة والسلام بأقبح الصفات وطعنوا بما جاء به صراحة وبصورة مباشرة ، ومن هوءلاء الحاقدين :

١ - سينوبوس : يقول في كتابه " التاريخ السليم للأمة الفرنسية ":

---

(١) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١٣.

(٢) التبشير والاستشراق ص ٤٥ .

(٣) التبشير والاستشراق ص ٤٦.

" ان صاحب الرسالة كان رجلا جبانا وسوداويا ، تنتابه عوارض من الحمى وتعروه نوبات عصبية ".(١)

٢ - المسيو كيمون : يقول في كتابه " ميثولوجيا الاسلام ": " ان الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهني يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك ويدمن معاقرة الخمور ...... وما قبر محمد في مكة الا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجؤهم الى الاتيان بمظاهر الصرع (الهستيريا) والذهول العقلي ".(٢)

٣ - المونسينيور كولي : يقول في كتابه " البحث عن الدين الحق ":
" برز في الشرق عدو جديد هو الاسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة ...... ولكن انظر هاهي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدا في وجه سير الاسلام المنتصر عند بواتيه (٧٥٢م) ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريبا (١٠٩٩ - ١٢٥٤) في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الانجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة ".(٣)

٤ - وبارثولوميو الرهاوى ، يقول موجها الحديث الى مسلم : " إنك تقول ان نبيكم ظل اثنين وثلاثين عاما لا يتكلم كلام الأنبياء ولا هو كان أثناءها رسولا ولا معلما ولا عرف شيئا عن الله وانه عرفه بعد تلك الفترة .... اذا كنت تنكر بتمام الجد أن شيئا قد حصل بوساطة محمد ابان تلك السنوات الاثنتين والثلاثين من حياته فكيف لا ينبغي لي أنا المسيحي أن أنكر أحداث تلك السنوات الخمس عشرة التالية " . ويقول أيضا : " ولكن أخبرني أولا - ناشدتك الله - كيف استطاع محمد أن يعرف

---

(١) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١٣١ .
(٢) المستشرقون والسيرة النبوية (مطبوع ضمن كتاب مناهج المستشرقين) ج ١ ص ١٢٧.
(٣) المستشرقون والسيرة النبوية ج ١ ص ١٢٧.

الله وبآية وسيلة عرفه ، واذا كنتم تسمونه نبيا فأروني ماذا تنبأ به وبأي لفظ تنبأ وما هي وصاياه وما هي الآيات والعجائب التي صنع ؟".(١)

٥ - وجاء في موسوعة لاروس الفرنسية خلال العرض لآراء كتاب المسيحية الى النصف الأول من القرن التاسع عشر ممن نالوا من محمد شر نيل ما يأتي : " بقي محمد مع ذلك ساحرا ممعنا في فساد الخلق ، لص نياق ، كردينالا لم ينجح في الوصول الى كرسي البابوية فاخترع دينا جديدا لينتقم من زملائه ".(٢)

ويقول درمنجم شاهدا على سخافات قومه : " ولم يحارب الكتاب والنظاميين مسلمي الأندلس الا بأسخف المثالب فقد زعموا أن محمدا لص نياق وزعموه متهالكا على اللهو وزعموه ساحرا وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق ، بل زعموه قسا رومانيا مغيظا محنقا أن لم ينتخب لكرسي البابوية ".(٣)

الى غير ذلك من السخافات والأحقاد التي كانت تطفح بها كتابات هذه الفئة من المستشرقين والتي تعتمد على الكذب والزور والبهتان على الاسلام ونبيه وأهله ، وهي لسقوطها وتفاهتها وبعدها عن الحقيقة ومجانبتها للصواب لا تستحق المناقشة ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظمة ما جاء به لا يرقى اليهما شك ولا ينال منهما حاقد بغيض.

<u>الفئة الثانية</u> : فئة المعتدلين ، وهم الذين عدلوا عن اسلوب من سبقهم من الكتاب من الفحش في القول والعداء الصريح ، بل لجأوا الى اسلوب التقدير والاحترام لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوصفوه بالعبقرية والعظمة والبطولة وغير ذلك من الصفات الجميلة ، وبعد ذلك يجردونه من النبوة ، وينفون عنه التلقي عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا الصنف من المستشرقين يدعي في أبحاثه الموضوعية والبحث العلمي المجرد من التعصب ، والحقيقة أن هذا الكلام غير صحيح لأنهم لم يستطيعوا

---

(١) النبي محمد ص ٨١ - ٨٢ .
(٢) حياة محمد ص ٩ .
(٣) حياة محمد ص ١٠.

التجرد من مرض التعصب وداء الحقد والكراهية .

ويكاد يكون معظم المستشرقين من هذا الصنف الذي استعمل أخبث الأساليب وأمكرها ، وهم أشد خطرا من الفئة الأولى لأنهم لا يهاجمون صراحة بل يستعملون الألفاظ المعسولة والعبارات الرقيقة فيوهمون القارئ وربما حازوا على شيء من ثقته ثم يدسون السم في الدسم ويثيرون الشبهات والشكوك ليقتلعوا عقيدته .

والنتيجة أنه لا فرق بين الفئتين من حيث عداوتهم للاسلام ونبي الاسلام الا من حيث الشكل فقط ، فكان أسلوب الفئة الأولى الهجوم المباشر واستعمال الألفاظ القبيحة بينما الفئة الثانية استعملت الألفاظ المهذبة ولكنها تخفي وراءها كل حقد .

ومن هذا الصنف :

١ - دينس سور ، حيث يقول : " ان محمدا رسول الاسلام يكاد يكون هو الوحيد الذي نعرفه عن طريق التاريخ من بين عظماء موسسي الأديان اذ أن الخرافات لم تستطع أن تخفيه ، وان دين مواطنيه ابان ظهوره قد هوى الى أدنى الدركات ".(١)

٢ - هملتون جب ، يقول : " وهكذا سما الأفق الديني لدى العرب دفعة واحدة فوق مجال الأشياء المنظورة والأرضية والذاتية الى ذات الهية لا تدركها الأبصار مجردة قادرة على كل شيء ولم يكن هذا كافيا فلكي تبقى فكرة الالوهية على هذا السمو الجديد كان لا بد من تأييدها بجرم من الأفكار والأحوال الدينية المتجانسة وتلك هي المشكلة الكبرى التي واجهها محمد حقا مثلما واجهها كل مفكر أصيل عظيم اذ كان ذلك يستدعي اعادة بناء الحياة الدينية والفكر كاملا لدى الشعب ، ولم تكن اعادة البناء لازمة لسائر العرب فحسب بل كانت لازمة أيضا لمحمد نفسه في المقام الأول وكان تجديد البناء في حال محمد يسير من أعلى نزولا ،فبدأ من تصوره لله (أحكم الحاكمين) وأخذ يستنتج بقوة الحدس خطوة اثر خطوة المراحل التي يلزم العرب أن يبلغوها في تدرجهم صعدا كي يشاركوه اعتقاده ".(٢)

---

(١) محمد رسول الاسلام ص ٣٤ .

(٢) دراسات في حضارة الاسلام ص ٢٤٩.

٣ - ومايكل هارت ، وضع الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة الخالدين المائه ، باعتباره أعظم الخالدين في التاريخ البشري ،يقول مايكل : " لقد اخترت محمدا في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك ولكن محمد هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدينوي ."(١)

٤ - ويقول تولستوي : " لا ريب أن هذا النبي من كبار المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال."(٢)

٥ - وبندلي جوزي ، يرى أن الواقع صنع من محمد مصلحا كبيرا ، يقول : " يكفينا أن نعرف أن النظام الاجتماعي في مكة أعد في أواخر العصر السادس محلا اجتماعيا لشخص توافرت فيه القوى أو الصفات اللازمة كسرعة التأثر ولطف الطبيعة وبعد النظر وطيب القلب ومعرفة طبيعة الناس وحسن السياسة والاستعداد التام لتضحية مصالحه الشخصية بل روحه العزيزة في سبيل المصلحة العامة وتحقيق مبادئه السامية التي توصل لها بجهده وأصبحت جزءا من نفسه اسم هذا الرجل هو محمد بن عبدالله ."(٣)

٦ - ويقول البروفسور بو سورث سميث : " عندما ألقي نظرة اجمالية أستعرض فيها صفاته وبطولاته ما كان منها في بدء نبوته وما حدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة وكم من البطولات المعجزة أحدثوا أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى ان الانسانية لم تعرف له مثيلا ."(٤)

٧ - ويقول ول ديورانت : " واذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس ، قلنا أن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ

---

(١) محمد رسول الاسلام ص ٦٧ .

(٢) التبشير والاستشراق ص ٦٢ .

(٣) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص ٣١.

(٤) محمد رسول الله (علامات النبوة) ص ١٠٨.

على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به دياجير الهمجية ومرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله وقل أن نجد انسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به وقد وصل الى ما كان يبغيه عن طريق الدين".(١)

٨ - ويقول بلانيشه : " ان الفتى محمدا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ فقد قام بثلاثة أفعال عظيمة دفعة واحدة وهي أنه أحيا شعبا وأنشأ امبراطورية وأسس دينا ."(٢)

٩ - ويقول الفريد غليوم استاذ الدراسات الشرقية بجامعة لندن : " علينا من المبدأ أن نقرر أن محمدا كان واحدا من أعلام التاريخ العظماء وكان يقينه الغالب أنه لا اله الا الله وأنه يدعو الى ملة واحدة وكانت قدرته على التدبير بين المشاكل المعقدة التي تواجهه قدرة خارقة بغير مراء ."(٣)

١٠- ويقول السير وليم سوبر في كتابه سيرة محمد : " امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وأنه أتى من الأعمال ما أدهش الألباب ولم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق الحسنة ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد ."(٤)

وهكذا خلعوا على نبينا صلى الله عليه وسلم تلك الصفات العظيمة لتجريده من النبوة حقدا وتعصبا حتى يذهب كما ذهب غيره من العظماء والمصلحين .

يقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب : " أبى كثير من هوءلاء أن يعترف لمحمد بأنه نبي تلقى شريعته من السماء ضنا منهم على شريعة الاسلام أن تفيض من هذا الينبوع العلوي وأن تتصل أسبابها بالسماء ، وهم بهذا انما يريدون أن تذهب هذه الشريعة مع ما ذهب من شرائع سنها المصلحون

---

(١) النبي محمد ص ٩٤ .
(٢) الاسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ص ١٣٣.
(٣) الاسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ص ١٤٣.
(٤) الاسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ص ١٧٦.

من الناس ممن كانت شرائعهم مستمدة من الهاماتهم الروحية دون أن تصلها بالسماء أسباب وبذلك يذهب محمد كما ذهب العظماء في متاحف التاريخ." (١)

الفئة الثالثة : فئة المنصفين ، مما لا شك فيه أنه يوجد من بين المستشرقين بعض المنصفين الذين أقروا بنبوة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وان كانوا قلة ، منهم :

١ - ادوارد درمسي ، حيث يقول : " أتى الوحي من عند الله الى رسوله الكريم ففتحت حجبه العقلية السديدة أعين أمة جاهلية فانتبه العرب وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان الرذيلة المظلمة ". (٢)

٢ - والقس لوزون الفرنسي ، يقول : " ان محمد بلا التباس ولا نكران لهو من النبيين والصديقين ، بل وانه نبي عظيم جليل القدر والشأن ، لقد أمكنه بارادة الله سبحانه تكوين الملة الاسلامية واخراجها من العدم الى الوجود حيث صار أهلها يزيدون على الثلاثمائة مليون من النفوس." (٣)

٣ - وكارليل ، يقول : " لقد أصبح أكبر العار على كل فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي الى ما يشيع المغرضون من محمدا خَدَّاعٌ وَمُزَوِّر وعلينا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فالرسالة التي دعا اليها هذا النبي ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، وما الرسالة التي رواها محمدا الا الصدق والحق وما كلمته الا صوت الحق صادر من العالم المجهول ، وما هو الا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله وذلك فضل الله يوءتيه من يشاء ." (٤)

٤ - ويقول المسيو دوزي : " أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون، وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها الا معرفة سطحية وهذه الحالات بطبيعتها كانت تتطلب بعثة النبي العربي محمد بن عبدالله ليقوم بوحي من عند الله

---

(١) النبي محمد ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) محمد رسول الاسلام ص ١٤ .

(٣) محمد رسول الاسلام ص ٥٨ .

(٤) التبشير والاستشراق ص ٥٩.

سبحانه وتعالى باصلاح العباد وتهذيبهم عن الفساد وارشادهم نحو التوحيد وهدايتهم الى الدين الصحيح والعقيدة الصحيحة والعبادة الصحيحة ."(١)

هذه هي فئات المستشرقين ومواقفهم من نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان موقف المستشرقين المتعصبين انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أثاروا الشبهات حول شخص رسول الله ونبوته وما جاء به عن الله ، فقالوا ببشرية القرآن وأنكروا قضية الوحي الالهي ورموه بالأمراض العصبية وغير ذلك من زيف الكلام وسقطه .

وكل ما قالوه حول نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود الى شبهتين :

الأولى : أنه أخذ عن اليهود والنصارى .

الثانية : ان القرآن الكريم من عند نفسه .

الشبهة الأولى

القرآن نسخة عن التوراة والانجيل

يدعي عدد من المستشرقين أن القرآن الكريم من تأليف محمد ، استقى تعاليمه من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ، وعلى حد زعمهم ما القرآن الا تكرارا لما جاء في التوراة والانجيل حيث عرفها محمد عن طريق التعلم من الأحبار والرهبان .

يقول رتشارد في كتابه مقدمة القرآن : " ان الرسول استمد من الكتاب المقدس كثيرا مما جاء في القرآن وبخاصة القصص ، فالجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهوديه و مسيحية ، وان كان بعض قصص العذاب كقصص عاد وثمود مستمدة من مصادر عربية وانه لما هاجر الى المدينة حصل على أوسع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس ، فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التي كانت دون شك تضم ربانيين ومثقفين ."(١)

ويقول داينيل : " ان القرآن تسطير للتعاليم التي تلقاها محمد من أحبار اليهود والرهبان خلال اتصاله واحتكاكه بهم في رحلاته وجولاته في حدود الشام وغيرها ."(٢)

ويؤكد المستشرق س جويتين : " ان القرآن الكريم ما هو الا نسخة معربة مقتبسة من التوراة والانجيل" ، ثم ادعى أن محمدا نفسه أقر بهذا فيقول : " قد قرر محمد في بداية دعوته بكل اصرار ووضوح أن ما يتلو عليهم ما هو الا نسخة عربية لكتاب الله الذي انزل على الأمم السابقة وأكد أنه بعث اليهم ليبلغهم قرآنا عربيا أي كتابا عربيا مماثلا لما عند أهل الكتاب ".(٣)

---

(١) التبشير والاستشراق ص ٤٧.

(٢) مجلة رؤمه

(٣) دراسات في تاريخ الاسلام ونظمه ص ٤٣ .

ويقول المستشرق آديسون : " محمد لم يستطع فهم النصرانية ،لذلك لم يكن في خياله منها الا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به للعرب ".(١)

ووصف المستشرق تايلور الاسلام بأنه يهودية مهذبة .(٢)

والمستشرق دلهلهم رودلف حاول جاهدا أن يرد معظم التشريعات القرآنية الى أصول يهودية أو مسيحية مدعيا أن اليهودية والمسيحية لم تكونا مجهولتين في بلاد العرب وخاصة مكة موطن النبي صلى الله عليه وسلم ،فالتجار هم الذين نقلوا الفكر المسيحي واليهودي الى محمد لاطلاع العرب على معتقدات من يتعاملون معهم في التجارة في الشام والعراق واليمن ، وبهذا يلتقي مع المستشرق الفريد جيوم .(٣)

ويقول جورج سيل في مقدمته عن ترجمة القرآن : " أما أن محمدا كان في الحقيقة موءلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل وان كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة ".(٤)

ويزعم بعض المستشرقين أن التعاليم اليهودية المسيحية برزت في القرآن المدني أكثر منه في القرآن المكي نظرا لاتصال النبي صلى الله عليه وسلم بأحبار اليهود في المدينة ، فهم يعتقدون بوجود خلاف جذري بين تعاليم القرآن في الفترة المكية وتعاليمه في الفترة المدنية ، ففي مكة مثلا كانت الأساطير اليهودية والمسيحية في حالة تخطيط أولي ولما اتصل محمد في المدينة باليهود استطاع أن يوءلف قصص ابراهيم وعلاقات الانساب بين اسماعيل والشعب العربي ، ولقد عاش في البداية وهو يسيطر عليه وهم جميل بأن دعوته أي القرآن تتفق تماما مع كتب اليهود والمسيحيين المقدسة ولكن معارضة اليهود المريرة أثبتت له العكس .

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث ص ٤٦٨.
(٢) الاسلام والمستشرقون ص ٦٩ .
(٣) صور استشراقية ص ٤٩ - ٥٠ .
(٤) التبشير والاستشراق ص ٤٦ .

وكانت الصلاة في البداية مرتين في اليوم والليلة ، أما في المدينة فقد أضيفت اليها صلاة ثالثة هي صلاة العصر وواضح أن القصد من ذلك كان محاكاة اليهود ، ولنفس السبب شرع يوم عاشوراء وتحولت القبلة الى بيت المقدس ، ثم نسخ صيام عاشوراء والصلاة الى بيت المقدس فيما بعد بسبب موقف اليهود العدائي من الاسلام ، وهكذا يتأثر التشريع التعبدي - على حد زعمهم - بالتقلبات السياسية .(١)

يقول المستشرق اليهودي جولدزيهر : " ما كان يبشر به خاصا بالدار الآخرى ليس الا مجموعة استقاها بصراحة من الخارج يقينا وأقام عليها هذا التبشير ، لقد أفاد من تاريخ العهد القديم بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم .... وبهذا انضم محمد الى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم ".(٢)

ويقول أيضا : " والجدل ضد اليهود والمسيحيين شغل مكانا كبيرا في الوحي المدني ، لقد كان فيما مضى يعترف بأن الصوامع والبيع والصلوات أمكنة عبادة حقيقية ولكن الأمر تغير بعد هذا ، كما صار الرهبان المسيحيون وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه وقد كانوا في الواقع أساتذة له ".(٣)

<u>أدلة المستشرقين على استمداد رسول الله القرآن من التوراة والانجيل:</u>

يستند من يذهب من المستشرقين الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عن التوراة والانجيل في تأليفه للقرآن بطائفة من الأدلة الواهية من ذلك :

<u>الدليل الأول</u> : استشهادهم ببعض النصوص القرآنية خطأ وعن سوء فهم ، من ذلك قوله تعالى : " يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا "(٤)، يقول المستشرق الفريد جيوم وغيره : " ان محمدا كان

(١) انظر مدخل الى القرآن الكريم ص ١٥٥ - ١٥٦.
(٢) العقيدة والشريعة ص ١٥ .
(٣) العقيدة والشريعة ص ٢٠ .
(٤) سورة مريم ، آية ٢٨ .

دارسا مبتدئا للكتاب المقدس فظن أن مريم أم عيسى هي مريم أخت هارون مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا ".(١)

وهذا يدل على سوء فهم لهذه الآية الكريمة ، فليس معنى الآية أن مريم أم عيسى عليهما السلام هي أخت النبي هارون حقيقة وانما مجازا ، فهي أخته في العفة والطهارة والتقوى وليست أخته نسبا .

ومما استدلوا به قوله تعالى : " فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ "(٢)، ففهموا خطأ أن محمدا أمر أن يسأل الذين يقرأون الكتاب ، وهو قد سألهم فرسالته مستوحاة منهم .(٣)

هذا استنتاج باطل لا أساس له من الصحة فالخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ، أي قل يا محمد للكافر ان كنت في شك فاسأل الذين يقرأون الكتاب ، يعني مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأمثاله ، وقد كان عبدة الأوثان يعترفون لليهود ويقرون أنهم أعلم منهم فأمر الله نبيه أن يرشد الشاكين فيما أنزله الله اليه من القرآن أن يسألوا أهل الكتاب الذين أسلموا فانهم سيخبرونهم بأنه كتاب الله حقا وأن هذا رسوله وأن التوراة شاهدة بذلك ناطقة به".(٤)

ثم ان السؤال معلق بالشك والرسول صلى الله عليه وسلم لم يشك في يوم من الأيام حتى يسأل أهل الكتاب ، ولو حصل ذلك لكان المطلوب منه أن يسألهم عما يطمئنه ويثبت فؤاده من أنه نبي الله حقا لما تضمنته كتبهم من البشارات الصريحة بنبوته ولا يفيد أن يسألهم عما تضمنته كتبهم من التعاليم والأحكام ، وبهذا يتبين لنا زيف ادعائهم وسوء فهمهم .

الدليل الثاني : التشابه بين القرآن والكتب المقدسة في بعض الأمور ، يقول المستشرق س . د . جويتين : " وان امعان النظر في النصوص الدينية الموجودة في القرآن ليدل على التشابه المدهش بينها وبين

---

(١) الاسلام والمستشرقون ص ٢٩ .
(٢) سورة يونس ، آية ٩٤ .
(٣) الاسلام والمستشرقون ص ٣٠ .
(٤) تفسير فتح القدير ج ٢ ص ٤٧٣ .

الأدب اليهودي والمسيحي ولا يمكن أن يفسر هذا الا بالاتصالات الشخصية الطويلة والقريبة ، وكذلك على مدى الأثر ، البعيد المدى ، الذي تركه النشاط التبشيري على الأدب العربي حتى قبل الاسلام ."(١)

ويقول أيضا: " ان الصلاة في الاسلام تنطوي على نفس الأفكار والأساليب الأدبية الموجودة في الطقوس الدينية لليهودية والمسيحية فمثلا سورة الفاتحة التي هي أم الكتاب والركن الأساسي لصلاة المسلمين اليومية لا تشمل على آية فقرة الا ولها أصل في التراتيل الدينية التي يرتلها أتباع اليهودية والمسيحية في صلواتهم وكذلك الحال بالنسبة الى صلاة الجمعة والصوم والزكاة اذ نجد لها نظائر في المسيحية واليهودية."

ويقول : " كيف نفسر هذا التشابه الواضح العجيب بين الاسلام واليهودية ، وغني عن البيان أن المدينة التي أخذت فيها الديانة القرآنية شكلها النهائي كانت مركزا لعدد كبير من الطائفة اليهودية ، وكل صفحة من السور المدنية تحمل دليلا شاهدا على الالمام بالامور اليهودية ."

وهذا افتراء واضح وجهل فاضح يتخبط به هذا المستشرق لأن الاختلاف بين القرآن الكريم والكتب المقدسة عند اليهود والنصارى واضح بيّن ، وان البون بينهما شاسع ، ومواطن الخلاف أكثر من مواطن التشابه ، وان التشابه اليسير بينهما لا يدل على الاقتباس وأخذ أحدهما عن الآخر ، وانما يدل على وحدة المنزل وهو الله رب العالمين الذي أنزل هذه الكتب على رسله الكرام .

الدليل الثالث : موقف العرب من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وادعاؤهم أن رجلا روميا كان يعمل حدادا بمكة قد علم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن .

يقول المستشرق س . د . جوتيين : " من النزاع الذي كان قائما بين النبي وبين الذين رفضوا الايمان برسالته اشارة الى أن المصدر الأصلي لمعلومات محمد هو بعض رجال بني اسرائيل كما هو واضح من أقوال أهل مكة".(٢)

---

(١) دراسات في تاريخ الاسلام ونظمه ص ٤٩ — ٥٠ .

(٢) دراسات في تاريخ الأسلام ونظمه ص ٤٧ .

ووافقه على ذلك أيضا رودلف دلهلهم وألفريد جيوم .

وهذا استدلال عقيم يدل على خبث المحتجين به وسوء طويتهم ، وقد أثبت التاريخ أن هذا الرجل المشار اليه لم يكن صاحب علم وأنه كان رجلا بسيطا يعمل في الحدادة وأنه أعجمي اللسان ، والقرآن الكريم جاء بلغة العرب ، ولم يقل مشركو العرب ما قالوه عن تفكير عميق بل عن تخبط وهذيان ، وهم يشعرون في أعماقهم تداعي مقولتهم ، ولكن التكذيب والعناد دفعهم الى ذلك وهذا هو موقف الكفار من جميع رسل الله على مر الأزمنة .

أمية رسول الله :

وتقوم شبهة المستشرقين هذه على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تلقى العلم عن علماء أهل الكتاب ، وأنه كان دارسا لكتابهم المقدس حيث تم له الاتيان بالقرآن الكريم ، ومن أجل هذا فهم يعملون جاهدين على نفي الأمية عنه صلى الله عليه وسلم ويثبتون له التعلم والدرس مخالفين في ذلك الحقيقة الثابتة .

يقول المستشرق الفريد جيوم نافيا للأمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان تاجرا ولا بد للتاجر أن يقيد حساباته ".(١)

ويقول مونتغمري واط : " ان الاسلام التقليدي يقول بأن محمدا لم يكن يقرأ ولا يكتب ولكن هذا الزعم مما يرتاب فيه الباحث الغربي الحديث لأنه يقال لتأكيد الاعتقاد بأن اخراجه للقرآن كان معجزا ، وبالعكس لقد كان كثير من المكيين يقرأون ويكتبون ولذلك يفترض أن تاجرا ناجحا لا بد أن يكون قد عرف شيئا من هذه الفنون ".(٢)

والمستشرق بودلي يقول نافيا لأميته صلى الله عليه وسلم : " وكان على محمد أن يتلقى نزرا يسيرا من التعلم المدرسي ولكنه كان يحصل أكثر من أي طالب يمضي سحابة يومه في حجرة الدرس ".(٣)

---

(١) الاسلام والمستشرقون ص ٢٢.

(٢) مناهج المستشرقين ج ١ ص ٢٢٥.

(٣) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١٣٧.

ويذهب بعضهم أمثال واط وفيليب حتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الملك عندما جاءه في غار حراء وقال له أقرأ ، سأله ما أقرأ ، يذهبون الى أن معناها ماذا أقرأ ؟ أي أنه صلى الله عليه وسلم كان يحسن القراءة والكتابة فسأل جبريل عن أي شيء يقروءه من الكتاب الذي أتى به ٠

والصحيح أن معنى (ما أقرأ) أي لا أستطيع القراءة ، يوءيد ذلك الروايات الأخرى التي يقول فيها عليه الصلاة والسلام " ما أنا بقارىء " وأن قوله صلى الله عليه وسلم في المرة الثانية والثالثة ماذا أقرأ بمعنى ماذا أتلوا لأن كل انسان حتى ولو كان أميا وليس في لسانه آفة يستطيع أن يتلو ما يسمع من غيره ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما قالها الا افتداء لنفسه مما لحقها من العنت والشدة حين ضمه جبريل عليه السلام ٠(١)

ان أقوال المستشرقين هذه لا تغير من الحقيقة شيئا ، ولا يستطيع أحد كائنا من كان أن يخالف حقائق التاريخ بكل هذه السهولة ، فمحمد بن عبدالله عرف واشتهر بهذه الصفة بين قومه الأميين ، ولم ترد أية دلالة تاريخية تدل على أن محمدا كان يقرأ أو يكتب شيئا ما ، وقد تواترت الأخبار على ثبوت هذه الصفة له صلى الله عليه وسلم ، وقد وصفه الله بها في كتابه العزيز بقوله : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ"٠(٢) وبقوله : " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ المُبْطِلُونَ "٠(٣)

وفي السيرة أن قريشا حين تجمعت لغزوة أحد أرسل العباس بن عبد المطلب كتابا سريا يخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا التجمع فدفع النبي الخطاب ألى أبي ، فلما قرأه وعلم النبي بهذا الخطر الذي سيوجه المسلمين استكتم أبيا ما قرأ ، ولو كان هو يحسن القراءة لأبقى على هذا السر ولا احتاج أن يستكتم من قرأه ٠

---

(١) مناهج المستشرقين ج١ ص ٢٢٣ - ٠٢٢٤

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٥٧ ٠

(٣) سورة العنكبوت ، آية ٠٤٨

ثم ان قومه الذين نشأ بينهم اشتهروا بهذه الصفة ، فلم يثبت أنه كان بمكة علماء أو مدارس لتلقي العلم كما يوهم بذلك المستشرق بودلي ، بل لم يكن لهم أى اهتمام بالعلم أو التعلم ، وأن الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة من قومه كانوا فئة قليلة ، لذا لم يجروء أحد من قومه على اثبات أنه كان كاتبا قارئا للكتب ، وقد قالوا عن القرآن انه أساطير كتبت له من قِبل غيره ، ولم يقولوا أنه كتبها بنفسه لاطلاعهم على حاله .

أما تعليلهم بأنه كان تاجرا ناجحا ، والتاجر لا بد أن يسجل حساباته ، فهذا تعليل فاسد ، لأن هناك العشرات من التجار الناجحين الذين لا يقرآون ولا يكتبون حتى في عصرنا هذا .(١)

عمن تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب زعم المستشرقين :

أولا : التعلم عن بحيرا الراهب :

يزعم بعض المستشرقين أن محمدا عليه الصلاة والسلام تلقى العلم عن راهب بالشام يقال له بحيرا ، وبذلك استطاع أن يوءلف القرآن نظرا لذلك التعلم ، فالقرآن ليس وحيا من الله لرسوله ، وانما هو تعليم من بحيرا لمحمد صلى الله عليه وسلم حسب زعمهم .

ويقول هوءلاء المستشرقون ان بحيرا كان نسطوريا من أتباع آريوس في التوحيد حيث ينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث ، وانه - بحيرا - يعتقد أن الله ظهر له وأنبأه بأنه سيكون هاديا لآل اسماعيل الى الدين المسيحي.(٢)

ويذكر المستشرق بودلي أن الرسول كان يجالس بحيرا ويتعلم منه طويلا. يقول بودلي : " فراح الراهب يحادث العربي الصغير وكأنما يحادث رفيقا من رفقائه فأخبره بعقيدة عيسى وسفه عبادة الأصنام وأرهف محمد السمع الى ما ينطق الرجل به ".(٣)

---

(١) الاسلام والمستشرقون ص ٣٢ - ٣٣.
(٢) الوحي المحمدي ص ٨٢.
(٣) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١٣٧.

ويعتقد المستشرق شبرنجر أن بحيرا هذا انتقل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وصاحبه بعد رسالته ، يعمل من وراء ستار متخذا من محمد وسيلة صالحة لدعوة الكفار الى نبذ عبادة الأوثان ".(١)

وهذا ليس له أساس من الصحة اذ لم يوجد مصدر ما يذكر أن بحيرا انتقل الى مكة وأنه لو حصل ذلك لنقل الينا ولوجد الكافرون ضالتهم للطعن فيما جاء به عليه الصلاة والسلام .

وبالرجوع الى كتب السيرة المشرفة نجد بعض الروايات تذكر أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد رافق عمه أبا طالب في رحلة تجارية الى الشام وهو في سن صغيرة التقى خلالها براهب يقال له بحيرا بشر محمدا بالنبوة وحذر عمه من اليهود وأن ينالوه بسوء .

وتفصيل القصة فيما ذكره ابن هشام في سيرته عن ابن اسحق قال:" ان أبا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي لزمه - فَرَقَّ له وقال : والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا أو كما قال فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان اليه علم النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها ، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال: اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم : والله يا بحيرا ان لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت . قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد

---

(١) صور استشراقية ص٦٢.

أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال:يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي.قالوا له:يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف في رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى ان كان للوم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم تفرقوا ، قام اليه بحيرا فقال : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وانما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله قال : لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما ، فقال له بحيرا ،فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له : سلني عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته التي عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال له بحيرا: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فانه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال: صدقت ، فارجع بابن أخيك الى بلدك واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده ."(١)

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٧.

بطلان دعوى التعلم عن بحيرا :

دعوى المستشرقين التعلم عن بحيرا باطل من عدة وجوه :(١)

أولا : أن طبيعة اللقاء بين النبي صلى الله عليه وسلم وبحيرا تنفي أن يكون قد حصل تعليم لمحمد صلى الله عليه وسلم من بحيرا ، لأنه لقاء قصير عابر لا يكفي للدرس والتحصيل وسن النبي صلى الله عليه وسلم صغيرة لا تؤهله لذلك ، ولا توجد رواية من الروايات تذكر أنه صلى الله عليه وسلم سمع من بحيرا أو تلقى منه درسا أو حتى كلمة واحدة لا في العقائد ولا في العبادات ولا في المعاملات ولا في الأخلاق ، ثم أن ذلك اللقاء لم يتم بين بحيرا ومحمد صلى الله عليه وسلم وحدهما بل حضره رجال القافلة من العرب فلو حصل شيء من التعليم لذكروا ذلك بعد أن أعلن دعوته لابطالها وهم الحريصون على تكذيبه واحباط دعوته بأية وسيلة .

ثانيا : أنه من المستحيل عقلا أن يصبح الانسان استاذا للعالم لمجرد صدفة جمعت بينه وبين راهب مرة في عمره وأن يأتي بهذا الكتاب المعجز لمجرد تلك المصادفة .

ثالثا : لو كان هذا الراهب هو مصدر القرآن الكريم لكان هو الأولى بهذا الشأن العظيم من محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولادعى لنفسه النبوة بدل أن يوءثر بها غيره ، ثم انه كيف يكون معلما وتابعا في آن واحد ، فهذا تناقض لا يقبله عاقل .

رابعا : تتضمن الروايات التاريخية أن بحيرا أخبر أبا طالب بأنه سيكون لابن أخيه شأن عظيم ، فلا يعقل أن يبشر بالنبوة ثم ينصب نفسه استاذا لهذا النبي .

خامسا : أن طبيعة الدين الذي ينتمي اليه هذا الراهب تجعل من المستحيل أن يكون مصدرا للقرآن للخلاف الواضح بين القرآن وبين ما ينتمي اليه هذا الراهب .

---

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣١٧ .

ثانيا: التعلم عن ورقة بن نوفل :

هناك نفر من المستشرقين وأذنابهم يوهمون القراء أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عن ورقة بن نوفل شيئا من علم أهل الكتاب ، أمثال درمنغم ومونتغمري واط والحداد .

يقول مونتغمري واط :" يبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد صلى الله عليه وسلم بسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة ، ولا شك أن المقطع القرآني حين ردده محمد قد ذكره بما هو مدين به لورقة .... ومن الأفضل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة كثيرا بأفكار ورقة ".(١)

والحداد يقول : " والسر الكبير في ثقافة محمد الكتابية والانجيلية وجود العالم المسيحي ورقة بن نوفل من بني أسد ، ابن عم السيدة خديجة في جوار النبي وهو الذي زوجه ابنة عمه ، فقد أجمعت الآثار على أن ورقة تنصر وكان يترجم التوراة والانجيل الى العربية ، فهو اذن عالم مسيحي كبير ، وقد عاش محمد في جواره خمسة عشر عاما قبل مبعثه ، ألا تكفي هذه المدة لنابغة العرب محمد بن عبدالله لكي يأخذ عنه شيئا من علوم التوراة والانجيل ".(٢)

وينقل الاستاذ عبدالكريم الخطيب عن بعضهم قولهم : " عندما شاهد ذلك الراهب الفاسق سذاجة القوم رآى أن يمنحهم عقيدة وشريعة على غرار مذهب آريوس وغيره من ألوان الكفر والزندقة التي حرم من أجلها ،فراح يسطر كتابا هو الذي يسمونه القرآن وهو شريعة الله ، ناشرا فيه كل ما أودع من مروق ، فعلم فيه أن الله لا كلمة ولا روح ، وأن المسيح لم يكن ربا وانما هو نبي كبير وحسب وجمع فيه شتات قديم ضخم من أمثال هذه الترهات وعند ذلك أعطى كتابه لتلميذه محمد وأبلغ أولئك البلهاء أن ذلك الكتاب أنزل على محمد من السماء حيث كان في حفظ جبريل الملك فصدقوه بما قال ، وبذلك مكن الراهب لذلك القانون الجديد".(٣)

---

(١) مناهج المستشرقين ج ١ ص ١٦٤.

(٢) مناهج المستشرقين ج ١ ص ٣٧.

(٣) النبي محمد ص ٩٠ - ٩١.

وقبل الشروع في الرد على هذه الافتراءات والمغالطات التي صدرت عن هؤلاء المستشرقين الحاقدين لا بد من الوقوف على ما صح في شأن ورقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخاري في صحيحه في باب كيف كان بدء الوحي عن عائشة أم المؤمنين قالت : " فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانيه ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، فقال له ورقة : يا ابن اخي ، ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَ مُخْرِجِيَّ هم ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقه ان توفي" (١) .

هذا ما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وورقه ، فعلام بنى هؤلاء المستشرقون دعواهم من اتصالات مستمره طويله ، تلقى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم علما أو الف له فيها القران .

إنّ كل هذه الافتراءات لا اساس لها من الصحه ولا يوجد سند تاريخي صحيح يدعمها وإنما هي نفثات الحقد والتعصب التي تطفح بها قلوب المستشرقين.

بطلان دعوى التعلم عن ورقة :

أولا : لم يثبت ان ورقه كان في يوم من الأيام داعية الى النصرانية أو اليهودية وقد قام المحدثون بدراسة جميع الروايات المتعلقة بورقة فلم يصح انه كان داعية الى النصرانية (٢).

ثانيا : ان جميع الرويات الصحيحة تؤكد ان رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب كيف كان بدء الوحي ،ج ١ ص: ٣ - ٤ .
(٢) الوحي المحمدي ص: ٨٣ .

عليه وسلم لم يتصل بورقة الا بعد أن جاءه الوحي في غار حراء للسؤال عما رآى وسمع ، وقد حضر ذلك اللقاء السيدة خديجة ، فأين التعليم والتلقي .

ثالثا : أن موقف ورقة في تلك الحادثة يؤكد أنه لا يمكن أن يكون معلما لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام ، فقد كان موقفه موقف المستفسر المستطلع لما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، فلما أخبره كان موقفه التبشير والتصديق والايمان بنبوته المتطلع للتضحية والمناصرة ، فلو كان ورقة هو مصدر العلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقف منه موقف التابع المؤيد المناصر .

رابعا : أن ورقة لم يلبث زمنا طويلا بعد هذه المقابلة على قيد الحياة اذ توفي بعد ذلك بوقت قصير ، فلو كان هو مصدر العلوم والمعارف لرسول الله ، فمن أين له صلى الله عليه وسلم بهذه العلوم التي جاء بها بعد موته .

ان دعوى بعض المستشرقين أنه كتب له القرآن الكريم جملة واحدة قبل موته وأعطاه لمحمد صلى الله عليه وسلم لا أساس لها من الصحة [(١)] ، ولا يقول ذلك عاقل ، والقرآن نفسه يكذب ذلك لأنه نزل متفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث والوقائع التي كانت تقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة المؤمنة ، فمن أين لورقة معرفة هذه الحوادث حتى يكتب فيها مسبقا قبل أن تحدث ، هناك آيات تتحدث عن غزوة بدر وأخرى عن أحد وأخرى عن حادثة الافك ، فهل عرف ورقة هذه الحوادث قبل أن تحدث حتى يؤلف فيها قرآنا ، ثم ان القرآن الكريم تضمن كثيرا من العلوم والمعارف لم يصل البشر الى معرفتها الا في زمن قريب ، فمن أين لورقة بهذا ؟ ان كل هذا يبطل تلك الدعوى ويؤكد أن القرآن مصدره الوحيد هو الله رب العالمين وأن محمدا لم يتلق عن أحد من البشر وانما مصدر علمه وما جاء به هو الله الحكيم العليم .

---

(١) النبي محمد ص ٩١ - ٩٢ .

ثالثا : تلقيه من اليهود والنصارى المنتشرين في جزيرة العرب :

يزعم بعض المستشرقين أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم قد أفاد كثيرا من اليهود والنصارى المنتشرين في جزيرة العرب ، ويدّعون أن بعض الأفراد من المغامرين الرومان أو الزنوج الأحباش (بائعي النبيذ) الذين كانوا يقطنون الأحياء المنزوية قاموا بتدريس الانجيل في الحانات لعقليات خام .(١)

ويزعم المستشرق س . د . جويتين أن محمدا عليه الصلاة والسلام ما هو الا داعية لتعاليم اليهودية والنصرانية اذ وقع الاختيار عليه من قبل اليهود والنصارى المنتشرين في أنحاء الجزيرة العربية ، يقول في كتابه دراسات في تاريخ الاسلام ونظمه : " ان دعاة اليهودية والمسيحية كانوا منتشرين في شتى أنحاء جزيرة العرب لنشر دعوة التوحيد بين المشركين العرب وكان عليهم أن يترجموا آيات من التوراة والانجيل الى اللغة العربية ، وكذلك نشروا بعض المقتبسات منها في صحائف مكتوبة ، ولمّا أدركوا أن كل هذا أو ذاك لا يوءدي الى النتيجة المرجوة ألا وهي تحويل المشركين العرب الى اليهودية والمسيحية قرر جماعة من دعاة اليهودية والمسيحية المنتشرين في جزيرة العرب أن أحسن وسيلة لنشر رسالة التوحيد بين الأمة العربية هو أن يقوم بهذه المهمة دعاة من بينهم وبلغتهم الخاصة مباشرة كما كانت الحال كذلك في الامم السابقة ، فوقع اختياره على محمد ورتبوه على ذلك بطرق مختلفة وشجعوه على القيام بهذه المهمة وَرَغَّبُوا القوم في الاستماع اليه بنشر فكرة : " أن الله كان يبعث في كل أمة رسولا منهم ، وفي لغتهم ، فكان عليهم أن يستجيبوا له ، والا ينزل عليهم عذاب الله " ، فوقع اختيارهم على محمد بالذات لأنهم لمحوا فيه صفات الزعامة والاهتمام بشوءون قومه ، وفضلا عن ذلك فانه كان عاقلا ومحبوبا بين قومه ، وكان يعيش في مدينة مكة مركز العرب الرئيسي والسوق الدولية وكان له أيضا المام بالكتب

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم ص ١٣٤.

السماوية بحكم احتكاكه بالأحبار والرهبان المتجولين في جزيرة العرب وبتنقلاته التجارية وغيرها ."(١)

بطلان دعوى التلقي عن اليهود والنصارى المنتشرين في جزيرة العرب :

وهذا الهراء لم يقله أحد غيره ، فمن هم هوءلاء الدعاة المزعومون؟ ومتى تم الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يُختار من قبلهم للدعوة الى مبادئهم ؟ هل وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كوكب غير هذا الكوكب حتى يتم هذا الأمر دون أن يعلم به أحد الا هذا المستشرق الحاقد .

ان التاريخ يكذب كل هذه الترهات التي جاء بها هذا المستشرق فقد ثبت أنه لم يكن لأى من الديانتين مركز في مكة حيث نشأ محمد صلى الله عليه وسلم وأعلن دعوته .(٢)

ولم يثبت أنه اتصل بأحد من اليهود أو النصارى قبل البعثة الا بحيرا الراهب ،وقد بينت بالدليل القاطع فيما مضى بطلان تلقيه عنه أي شيء مما عنده من علم .

أما دعوى الاتصال بالمغامرين الرومان أو الزنوج الأحباش والتلقي عنهم شيئا منَ الانجيل فهذا ما لا يقوله عاقل ، ولا يوجد سند تاريخي يدعمه ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاقه العالية التي عرف بها منذ نعومة أظفاره تنفي أن يكون له أي اتصال بأمثال هوءلاء المنحرفين.

ثم ان هوءلاء الأشخاص كانوا يجهلون دينهم ولم يكونوا دعاة مبشرين، بل كانوا منهمكين في صنعتهم وان لغتهم الأجنبية تشكل حاجزا طبيعيا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لو حصل أي اتصال بأمثال هوءلاء لعلمه قومه ولوجدوا في ذلك ضالتهم لتحطيم دعوته عليه الصلاة والسلام بدل المواجهة المسلحة بينهم وبينه.(٣)

---

(١) دراسات في تاريخ الاسلام ونظمه ص ٣٩ - ٤٠ .
(٢) صور استشراقية ص ٣٧ .
(٣) مدخل الى القرآن الكريم ص ١٣٥.

رابعا : الأخذ عمن أسلم من اليهود والنصارى :

ذهب بعض المستشرقين وتابعهم فيليب حتي الى أن محمدا صلى الله عليه وسلم استقى الكثير من المعلومات عمن أسلم من اليهود والنصارى أمثال سلمان الفارسي وعبدالله بن سلّام ومارية القبطية وغيرهم ".(١)

فقد زعم درمنغم أن سلمان الفارسي استفاد من اليهودية والمسيحية والفارسية وأنه كان ذا نفوذ حتى استطاع أن يتدخل في حرب بين المسليمن وقريش ومعنى ذلك أن هذا النفوذ يسوغ له أن يوءثر في أفكار محمد صلى الله عليه وسلم ."(٢)

بطلان دعوى الأخذ عمن أسلم من اليهود والنصارى :

ان ما ذهب اليه بعض المستشرقين من التلقي عمن أسلم من اليهود والنصارى باطل ، يشهد التاريخ ببطلانه ، فسلمان الفارسي رضي الله عنه لم يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد الهجرة ومارية القبطية التي أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل المقوقس كانت أمة بسيطة لا ثقافة لها ، أما عبدالله بن سلّام فلم يتصل بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الا بعد الهجرة وكان تلميذا لرسول الله يتعلم منه ويتلقى عنه فكان تابعا وليس متبوعا ، متعلما وليس معلما ، وفي مقولتهم هذه قلب لحقائق التاريخ .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز : " أما الادعاء بأن محمدا صلى الله عليه وسلم تلقى علمه من ابن سلّام هذا ، فلا ينطوي ذلك على تحريف الحقائق التاريخية فحسب بالخلط بين دور التابع والمتبوع وانما ينطوي أيضا على قلب في ترتيب الأحداث التاريخية المعروفة لأن جوهر حقائق التوراة كله كان قد أعلن بدقة في مكة وقبل أن تتاح الفرصة لأمثال عبدالله بن سلام أن يروا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الاسلام والمستشرقون ص ٣١ .

(٢) صور استشراقية ص ٣٩.

والجدير بالملاحظة أن الآيات القليلة التي نزلت بالمدينة تتعلق في أغلبها بالحقائق الدينية المسيحية التي ينكرها اليهود تماما."(١)

ويقول الدكتور التهامي نقره في بحثه القرآن والمستشرقون : " ان ما يدعيه المستشرقون من افادة الرسول صلى الله عليه وسلم من حاشيته اليهودية والمسيحية الذين أسلموا وكانوا في صحبته هو محض افتراء لأن اسلامهم حجة قائمة على صدق ما جاء به من الوحي الالهي ولو تبين لهم أنه كان يتتلمذ لهم في خفاء ليتلقى عنهم ما كان يدعو اليه لانفضوا من حوله ولعادوا الى دينهم ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة في الدعوة الى الاسلام ".(٢)

ونخلص بعد استعراض أقوال المستشرقين في أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى تلقيه عن غيره والأجوبة على ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة بشهادة القرآن التي تصدقها شهادة الروايات التاريخة ، وأنه لم يتلق علما من أحد من الناس ولم يطّلع على المدون في الكتب ولم يجلس الى عالم قط ليتلقى منه شيئا مما عنده قبل البعثة ولا بعدها ، وأن ما حصل من الاجتماع القصير ببحيرا ان صح ذلك قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام لا يكفي للدرس والتحصيل ، ولم يوءثر أنه تلقى عنه علما ما في ذلك اللقاء، وأن اجتماعه بورقة أيضا لم يكن للتعلم كما أشرت آنفا ، أما الذين التقى بهم بعد النبوة كوفد نصارى نجران وعبدالله بن سلام فقد تم ذلك بعد الهجرة وكانوا له سائلين وعنه آخذين وكان لهم معلما وواعظا .

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) مناهج المستشرقين جـ ١ ص ٣٥ .

الرد على شبهة أن القرآن الكريم نسخة عن التوراة والانجيل:

ان ادعاء المستشرقين أن القرآن الكريم ما هو الا تسطير للتعاليم التي استقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى الذين التقى بهم قبل البعثة وبعدها ، ومما قرأه في كتبهم افتراء واضح وكذب فاضح يدل على الحقد الدفين الذي يملأ قلوبهم يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله ، ومزاعمهم باطلة من عدة وجوه :

أولا : اختلاف القرآن الكريم عن الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى:

والمتأمل في كتاب الله يجد البون الشاسع والاختلاف الكبير بين الانجيل والتوراة سواء من حيث الأسلوب والنظم أو من حيث ما تضمن من معان رفيعة في العقيدة والأخلاق والتشريع ، يقول الدكتور عبدالكريم الخطيب مبينا الاختلاف الكبير بين القرآن والتوراة من جهة الاسلوب : " اقرأ فصلا أو فصولا من التوراة ، ثم اقرأ سورة أو سورا من القرآن فانك تجد طعما غير الطعم ومذاقا غير المذاق ، فاذا حاولت أن تجمع هذا بذاك أو ذاك بهذا وأن تزاوج بينهما وجدت أمرا غير مستقيم لك ولا مطاوع لصنيعك كمن يؤلف بين أنغام تخرج على غير اتفاق أو ترتيب .... على فرض صحة التوراة وأنها والقرآن يخرجان من مشكاة واحدة فان أسلوب الأداء مختلف أشد الاختلاف كاختلاف اللغة العامية الدارجة ولغة الشعر في أعلى طبقاته أو هو أشد ".(١)

وهذا الاسلوب الفريد المتميز من أوضح الدلائل على أن القرآن الكريم كتاب الله العظيم أنزل على المصطفى عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي الأمين جبريل عليه السلام ، ثم ان القرآن الكريم بما تضمنه من عقيدة واضحة صافية قوامها التوحيد المطلق والكمال المطلق مغايرة لعقيدة التوراة والانجيل لا يمكن أن يكون نسخة عنهما ، فالتوراة تصف الله عز وجل بصفات تنافي كماله وجلاله كالتعب والبخل وعدم العلم وغير

---

(١) النبي محمد ص ٥٨٧ ، ليس القرآن بالنسبة للتوراة كلغة الشعر في أعلى طبقاته بالنسبة للغة العامية ، بل هو أشد فصاحة وأعظم بيانا ،وهو الكلام المعجز الذي لم يقدر أحد من البشر على مثله .

ذلك .

وكذلك الانجيل يتضمن عقيدة التثليث ، الآب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة ، فأين هذا من عقيدة التوحيد الخالص ، ويخالف القرآن الانجيل أيضا في قضية صلب المسيح وعقيدة الفداء ، فكيف يكون مستقى منه أو من التوراة .

يقول الكونت هنري دي كاستري في كتابه الاسلام سوانح وخواطر: " أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل النبي صلى الله عليه وسلم من مطالعته التوراة والانجيل ، اذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقه ، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته ".(١)

والفروق بين القرآن من جهة والتوراة والانجيل من جهة أخرى كثيرة جدا ، وان وجود تشابه بينهما في بعض القضايا كقصص الأنبياء يدل على وحدة المصدر وأن كلا منها أصله من وحي الله الى أنبيائه ، ولا يفيد أبدا أن اللاحق منهما قد استمد من السابق .

ثانيا : موقفه صلى الله عليه وسلم من الأحبار والرهبان :

يشهد موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الواضح من أحبار اليهود ورهبان النصارى ببطلان مزاعم المستشرقين ، لقد سفه عقائدهم وفضح أسرارهم وبين انحرافهم ، فهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وكذبوا على الله ، يقول تعالى : " وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "(٢)، ويقول : " فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ".(٣)

---

(١) الرسول في كتابات المستشرقين ص ٣٥ .
(٢) سورة البقرة ، آية ٧٥ .
(٣) سورة المائدة ، آية ١٣ .

ولو كانوا مُعلّمينَ له صلى الله عليه وسلم لما وقف منهم هـذا الموقف العدائي بل لمدحهم وأثنى عليهم وجاملهم حتى لا يفتضح أمره ، فلما لم يحدث شيء من ذلك دل على أنه بريء مما ألصقه به المستشرقون من التلقي عن هؤلاء الأحبار والرهبان .

ثالثا : ثم ان موقف الأحبار والرهبان من تبكيت الرسول صلى الله عليه وسلم لهم والتشنيع عليهم دون أن يدعي أحد منهم أنه قد علمه حتى جاء بهذا القرآن ، يؤكد زيف دعوى المستشرقين .

ومن هؤلاء من قاده علمه الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه فيما جاء به دون أن يدعي أحد منهم أنه معلم له ، لذا قال تعالى : " قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ"(١) ولو أن واحدا منهم علّمه شيئا مما عنده حتى جاء بالقرآن،لما آمن به على أنه نبي يوحى اليه ولآمن بنفسه .

رابعا : ثم ان ما عرف به أهل الكتاب من البخل بعلمهم وكتمانه عن غيرهم يؤكد بطلان دعوى المستشرقين هذه ، فقد كان علماء أهل الكتاب شديدي الحرص على ما عندهم من علم حتى انهم ليضنون به على أبنائهم حبا للرئاسة وطمعا في النبوة .(٢)

لذا قال الله تعالى عنهم : " قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً".(٣) وقال منددا بما عُرفوا به من التلبيس والكتمان : " يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ".(٤) وقال أيضا : " يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ "(٥).

فاذا كان هذا هو حالهم ، فليس من المعقول أن يجودوا بكل هذا

---

(١) سورة الرعد ، آية ٤٣ .

(٢) النبأ العظيم ص ٦١ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٩١ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٧١ .

(٥) سورة المائدة ، آية ١٥ .

الخير على محمد صلى الله عليه وسلم حتى استطاع أن يأتي بما جاء به .

ان هذه الدعوى لا يقبلها عقل سليم ولا دليل على حصولها ، والا فما الفائدة المرجوة من تعليمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أليسوا هم الذين حسدوا العرب عندما ظهرت فيهم النبوة وأعلنوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقدا وحسدا على ذهاب النبوة منهم ، بلى والتاريخ خير شاهد على ذلك .

خامسا : لا خلاف بين القرآن المكي والمدني كما يزعم المستشرقون ،

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه وحدة واحدة متكاملة ومترابطة الأجزاء من بدايته الى نهايته وان كل آية منه تدل على مصدرها الالهي، فلا صحة لما يزعمه المستشرقون من وجود اختلاف بين القرآن المكي والمدني.

لا شك أن القرآن المكي ركز على قضايا العقيدة لأنها أساس صلاح النفوس واستقامتها أما القرآن المدني فقد اهتم بالجانب التشريعي ، الا أنه رغم اهتمامه بهذا الجانب لم يغفل العقيدة أبدا ، بل انه ربط جميع الأحكام الشرعية بالعقيدة وجعلها أساسا لهذه الأحكام .

((أما ادعاء المستشرقين أن بعض الأحكام الشرعية قد تغيرت في المدينة محاكاة لليهود فهذا غير صحيح ، فالصلاة منذ أن فرضها الله على عباده كانت خمس مرات في اليوم والليلة وليس كما يزعمون أنها كانت مرتين ثم صارت ثلاثة تشبها باليهود .

أما مسألة القبلة وتحولها الى المسجد الحرام فقد حصل ذلك تلبية لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتطلعه لذلك وليس كما يزعمون أنه نظرا لمعاداة اليهود للاسلام علما بأن تحول القبلة حصل قبل وقوع العداوة بعامين تقريبا." (١)

أما موقف القرآن من أهل الكتاب فهو ثابت لم يتغير في يوم من الأيام وليس كما يزعم بعضهم أن موقف القرآن المدني يختلف عن موقف القرآن المكي نظرا لما وقع بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود

---

(١) مدخل الى القرآن ص ١٥٩.

من عداوة وحرب ، فالقرآن في مكة وصف اليهود بأنهم قوم لا يتبعون ما أنزل اليه اليهم وأنهم يتبعون الشياطين قال تعالى : " تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(١). وفي المدينة نزل قوله تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ".(٢) فأين هو الاختلاف في الموقف كما يزعم جولدزيهر .

وبعد عرض أقوال المستشرقين واتهاماتهم بتلقي الرسول صلى الله عليه وسلم عن علماء اليهود والنصارى وتأثر القرآن بالتوراة والانجيل، واختبار أقوالهم وتزييف حججهم ونقض أدلتهم يظهر لنا سقوط دعواهم ووهن كلامهم ، وتحريفهم لحقائق التاريخ وخطئهم في الفهم والاستنباط من النصوص .

وان ادعاءهم سلوك منهج البحث العلمي لا يجردهم من اتباع الهوى فيما يصدر عنهم من أحكام ولا يخلصهم من عنصر الحقد والكراهية للاسلام ونبيه وأهله .

---

(١) سورة النحل ، آية ٦٣.

(٢) سورة الجمعة ، آية ٥ .

الشبهة الثانيـــــــة

القـــــــرآن الكريم من ابداع محمد صلى الله عليه وسلم

ذهب بعض المستشرقين الى آن محمدا عليه الصلاة والسلام بعبقريتـــه الفذة ، ونفسه السامية ، وفطرته السليمة هو المصدر الوحيد للقـــرآن الكريم ، وجاء به من عند نفسه بطريق الالهام ، فهو فيض عقله البـاطـــن وليس من عند الله ، وبهذا الأسلوب الخبيث ينفون عنه صلى الله عليـــه وسلم صفة النبوة ويخدعون الآخرين بمعسول القول من العبقرية والعظمـــة وما الى ذلك من الألفاظ المنمقة ، لذا فهم من أشد النـاس خطرا علـــى عقول الناشئة ، يقول الاستاذ أنور الجندي : " وآخطر ما يقول هوءلاء أن القرآن انطباع في نفس محمد نشأ عن تأثير البيئة التي عاش فيها أو أن القرآن فيض من ألعقل الباطن وليس وحيا الهيا اعتمادا على القـــول بعبقريته وألمعيته وصفاء نفسه ".(١)

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا ملخصا لشبهتهم هذه : " ان الوحـــي الهام كان يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج وذلك أن منازع نفسه العالية وسريرته الطاهرة وقوة ايمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية وتقاليد وراثية رديئة يكون لها في جملتهـا من التأثير ما يتجلى في ذهنه ويحدث في عقله الباطن الروءى والأحـوال الروحية فيتصور ما يعتقد وجوبه ارشادا الهيا نازلا عليه من السمـــاء بدون وساطة ، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك ويعتقد أنه ملك من عالـــم الغيب ، وقد يسمعه يقول ذلك وانما يرى ويسمع ما يعتقده في اليقظة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الأنبياء ....

ويقولون أيضا : نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رآى وسمـــع وانما نقول ان منبع ذلك من نفسه وليس فيه شيء من عالم الغيب ".(٢)

---

(١) انظر الرسول في كتاب المستشرقين ص ١١ نقلا عن كتاب شبهات التغريب ص ٣٨٤.

(٢) الوحي المحمدي ص ٧٥.

ومن القائلين بالوحي النفسي من المستشرقين درمنغم وجب وجولدزيهر وجوستاف لوبون ومونتغمري واط وغيرهم .

يقول مونتغمري واط في كتابه محمد بمكة : " لا يلزم من صدق الانسان أن يكون مصيبا فيما يقول بل يمكن أن يكون صادقا ومع ذلك مخطئا اذن فمحمد مخطيء في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بوساطة ملك واذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه وتلك الجهة هي اللاشعور الجماعي." (١)

ويدعي هؤلاء المستشرقون أن محمدا عليه الصلاة والسلام استطاع أن يأتي بالقرآن الكريم من عند نفسه نتيجة عدة مؤثرات بالاضافة الى نبوغه وعبقريته. كظروف البيئة التي كان يعيش فيها سواء من الناحية الدينية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وكذلك الأديان المنتشرة في جزيرة العرب وبلاد الشام كاليهودية والمسيحية والصابئة وغير ذلك . كل هذه الأمور أثرت في نفسه وانطبعت في ذهنه فلجأ الى الخلوة بعيدا عن الناس للتفكير والتأمل فيما يدور في نفسه بحثا عن دين جديد لاصلاح حال قومه وبهذا استطاع أن يؤلف القرآن من خواطره والهاماته .

يقول مونتغمري واط : " ان محمدا كان شديد الاخلاص لدعوته شديد الثقة في نفسه فكان اذا حدثت حادثة في حياته أو اعتقد أن شيئا ما صالح انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد فيصوغه في كلام قرآني ثم يعتقد هو أن هذا كلام الله أوحي اليه فيقدمه على أنه كلام الله ". (٢)

ويقول اميل درمنغم : " حقا ان في السماء لشارات للمدركين وفي العالم غيب بل العالم غيب كله ، لكن ألا يكفي أن يفتح الانسان عينيه ليرى وأن يرهف أذنه ليسمع ؟ ليرى حقا وليسمع الكلم الخالد ، ولكن للناس عيونا لا ترى وآذانا لا تسمع ، أما هو فيحسب أنه يسمع ويرى ، وهل يحتاج لكي يسمع ما وراء السماء من أصوات الا الى قلب خالص ونفس مخلصة وفؤاد مليء ايمانا . ويقول أيضا : " ومحمد في ريب من حكمة الناس فهو لا يريد أن يعرف الا الحق الخالص الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من

---

(١) مناهج المستشرقين ج ١ ص ٢١١.
(٢) الاسلام والمستشرقون ص ٣٤.

خلفه باطل وهو لا يستطيع العيش الا بالحق والحق ليس فيما يرى حوله ، فحياة القرشيين ليست حقا وربا المرابين ونهب السيد ولهو الخلعاء وكل ما الى ذلك لا شيء من الحق فيه والأصنام المحيطة بالكعبة ليست حقا ، وهبل الاله الطويل الذقن الكثير العطور والملابس ليس لها حقا ، اذن فأين الحق وما هو ؟

ويقول عن تحنثه في غار حراء : " وكان محمد يجد في التحنث طمأنينة لنفسه أن كان له بالوحدة شغف وأن كان يجد فيها الوسيلة الى ما برح شوقه يشتد اليه من نشدان المعرفة واستلهام ما في الكون من أسبابها فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل أبي قبيس مكتفيا بالقليل من الزاد يحمل اليه ليمضي أياما طويلة في التأمل والعبادة بعيدا عن ضجة الناس وضوضاء الحياة ."

ويقول أيضا : " وظل محمد يتردد على حراء في رمضان من كل عام سنوات متوالية وهناك كان يزداد به التأمل ابتغاء الحقيقة حتى لكان ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى ما في الحياة لأن هذا الذي يرى في الحياة ليس حقا وهناك كان يقلب في صحائف ذهنه كل ما وعى فيزداد عما يزاول الناس من ألوان الظن رغبة وازورارا وهو لم يكن يطمع في أن يجد في قصص الأحبار وفي كتب الرهبان الحق الذي ينشد بل في هذا الكون المحيط به في السماء ونجومها وقمرها وشمسها وفي الصحراء ساعات لهيبها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة اللألاء وساعات صفوها البديع اذ تكسوها أشعة القمر أو أضواء النجوم بلباسها الرطب الندي ، وفي البحر وموجه وفي كل ما وراء ذلك مما يتصل بالوجود وتشمله وحدة الوجود في هذا الكون كان يلتمس الحقيقة العليا وابتغاء ادراكها ، كان يسمو بنفسه ساعات خلوته ليتصل بهذا الكون وليخترق شغاف الحجب الى مكنون سره ."

ويقول أيضا : فلما كانت سنة ٦١٠ أو نحوها كانت الحالة النفسية التي يعانيها محمد على أشدها فقد أبهظت عاتقه العقيدة بأن أمرا جوهريا ينقصه وينقص قومه وأن الناس نسوا هذا الأمر الجوهري وتشبث كل بصنم قومه وقبيلته وخشي الناس الجن والانس والاشباح والبوارح وأهملوا

الحقيقة العليا ، ولعلهم لم ينكروها ولكنهم نسوها نسيانا هو موت الروح ، وقد خلصت نفس محمد من كل هذه الآراء التافهة ومن كل القوى التي تخضع لقوة غيرها ومن كل كائن ليس مظهرا للكائن الواحد ولقد عرف أن المسيحيين في الشام ومكة لهم دين أوحي به وأن أقواما غيرهم نزلت عليهم كلمة الله وأنهم عرفوا الحق ووعوه أن جاءهم علم من أنبياء أوحي اليهم به وكلما ضل الناس بعثت السماء اليهم نبيا يهديهم الى الصراط المستقيم ويذكرهم بالحقيقة الخالدة وهذا الدين الذي جاء به الأنبياء في كل الأزمان دين واحد وكلما أفسده الناس جاءهم رسول من السماء يُقَوّمُ عِوَجَهُم وقد كان الشعب العربي يومئذ في أشد تيهاء الضلال، أفما أن لرحمة الله أن تظهر فيهم مرة أخرى وأن تهديهم الى الحق ؟"(١)

وهكذا يصور هذا المستشرق بأسلوب شعري أن محمدا عليه الصلاة والسلام كان يبحث عن النبوة ويرهق نفسه في طلبها لاصلاح حال قومه وأنه كان يفكر ويتأمل بكل ما وعى ذهنه وكذلك في آيات الكون الكثيرة ، وهذا التفكير العميق هو الأساس فيما جاء به من القرآن .

والمستشرق بودلي يقول : " انه لما زال دافع العمل للقوت اليومي وجد محمد فسحة من الوقت ليتأمل فيما اجتمع في رأسه ورأته عيناه".(٢)

ويتحدث المستشرق جب في كتابه المذهب المحمدي عن تأثير البيئة على محمد صلى الله عليه وسلم بما فيها من عيوب اجتماعية واقتصادية وغير ذلك فيقول : " ان محمدا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية عنه المحيطة به من جهة ، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديدا بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه والدائرة في المكان الذي نشأ فيه .... وانطباع هذا الماضي الممتاز لمكة يمكن أن نقف على آثره واضحا في كل أدوار حياة محمد .... وبتعبير انساني ان محمدا نجح لأنه كان واحدا من المكيين ، ولكن بجانب هذا الازدهار في مكة كان هناك ناحية أخرى مظلمة خلفتها تلك الشرور المعروفة لجماعة

---

(١) انظر أقوال درمنغم هذه في الوحي المحمدي ص ٩٠ - ٩٣.

(٢) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١٦٠.

اقتصادية ثرية فيها فجوات واسعة الغنى والفقر ، هذه الناحية هي ناحية الاجرام الانساني الذي تمثل في الأرقاء والخدم ، وفي الحواجز الاجتماعية .... وواضح من دعوة محمد الصارفة الى مكافحة الظلم الاجتماعي أن هذه الناحية كانت سببا من الاسباب العميقة لثورته الداخلية النفسية .

ولكن نواة هذه الثورة النفسية لم تظهر في صورة اصلاح اجتماعي، بل بدلا من ذلك دفعته الى اتجاه ديني أعلنه في اعتقاد ثابت لا يتأرجح بأنه رسول من الله لينذر أتباعه انذار الرسل الساميين ".

ويقول أيضا : " ويبدو أن معارضة المكيين له لم تكن بسبب محافظتهم وتمسكهم بالقديم أو بسبب عدم رغبتهم في الايمان .... بل ترجع الى أسباب سياسية واقتصادية .... لقد تملكهم الخوف من آثار دعوته التي توءثر على ازدهارهم الاقتصادي بالأخص تلك الآثار التي يجوز أن تلحق ضررا بالقيمة الاقتصادية لمقدساتهم ."

ويقول : " ومعروف من القرآن نفسه أن فكرة الوحدانية كانت معروفة في غربي الجزيرة العربية ".(١)

ويدعي المستشرق بندلي جوزي أن الواقع الاقتصادي في مكة له أكثر الأثر على النبي صلى الله عليه وسلم وعباراته وفحوى كلامه ، يقول: " وما عليك الا أن تقرأ القرآن لتقف على حركة التجارة في مكة ودرجة انهماك سكانها بها وبسائر الأعمال المالية لتدرك ما كان لهذه السوق الدائمة من التأثير على النبي الكريم وعباراته وفحوى كلامه في أول دعوته بل في جميع أدوار حياته " .

ويقول أيضا : "ومن فضل موءسس الدين الاسلامي ومظاهر عبقريته أنه أدرك مصدر الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت في أيامه في مكة عاصمة الحجاز وعرف كيف يستفيد منها ويسخرها لأغراضه السامية دينية كانت أو اجتماعية ".(٢)

---

(١) انظر أقوال جب في الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٢٠٢-٢٠٥

(٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص ١٨ - ٢١ .

ويدعي أيضا أن سبب تحريم الربا في القرآن يرجع الى انتشاره في عرب الجاهلية بكثرة ، يقول : " ولولا ذلك لما حمل صاحب القرآن حملاته المعروفة على المرابين والربا ، بل لما منع الربا ولعن المرابين على كل صفحة من صفحات سوره المكية [1].

ويقول عن تأثير الناحية الاجتماعية على محمد صلى الله عليه وسلم: " يكفينا أن نعرف أن النظام الاجتماعي في مكة أعد في أواخر العصر السادس محلا اجتماعيا لشخص توافرت فيه القوى أو الصفات اللازمة كسرعة التأثر ولطف الطبيعة وبعد النظر وطيب القلب ومعرفة طبيعة الناس وحسن السياسة والاستعداد التام لتضحية مصالحه الشخصية بل روحه العزيزة في سبيل المصلحة العامة وتحقيق مبادئه السامية التي توصل اليها بجهده وأصبحت جزءا من نفسه ، اسم هذا الرجل هو محمد بن عبدالله "[2].

وأخيرا يقول : " فأنت ترى مما ذكرناه أنه كان لمنشأ النبي ووسطه الاجتماعي تأثير قوي على ظهوره ودعوته ومضمون أقواله في بادئ الأمر بل في جميع أدوار حياته .... ان حالة النبي الاجتماعية في المدينة تغيرت كما هو معلوم تغيرا ظاهرا أدى الى تغير نفسيته فكان من نتائج هذا التغير أن بعض اصلاحات النبي الاجتماعية والدينية جاءت مبتورة وفيها شيء مما يدعوه الأوروبيون بالتساهل"[3].

أما عن تأثير الناحية الدينية في نفسية محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به فيقول هنري دي كاستري : " وكان مذهب توحيد الاله يخطر في الأذهان رويدا رويدا وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقا يقال لهم الحنفيون بقوا على مذهب ابراهيم عليه السلام .... وتلقى محمد مذهب أولئك الأحناف بحالة سطحية ، ولكن لما كانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار اعتقادا لم تصل اليه نفس قبله وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلابا كليا في النوع البشري "[4].

---

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص٢٥ .

(٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص٣١.

(٣) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص٣٥.

(٤) الاسلام والرسول ص٤٩ - ٥١ .

ويصور المستشرق ارنست رينان في مقال له عن محمد ومصادر الاسلام، يصور المجتمع الجاهلي الذي نشأ فيه محمد عليه الصلاة والسلام أنه مجتمع موءمن بالاله الواحد الذي لم يلد ولم يولد ، فلم يعرف أى تعدد أو تنوع عن الله ، ويرسم لنا هذا المجتمع في أوج حماسه الديني ، التقت فيه جميع الديانات وجميع الحضارات بالاضافة الى أن الدين كان شغله الشاغل، فرسالة محمد ليست الا امتدادا للحركة الدينية التي سادت عصره دون أن يسبقها عليه السلام بأي جديد .(١)

ويقول المستشرق اميل درمنغم عن تأثير الأحناف والديانات الأخرى على محمد عليه السلام : " قد اتصل محمد بهوءلاء الحنفاء وسمعت أذنه المرهفة ودعى قلبه الذكي عن هذه الديانات كثيرا ثم كان أختلاوءه بنفسه وعمله في الصحراء مما زاده رهافة حس ودقة تأمل وشغل محمد نفسه بالبحث عن دين يخلو من متناقضات هذه الأديان كلها فلجأ الى غار حراء يفكر ويتأمل حتى هداه تفكيره الى مبدأ التوحيد المطلق ".(٢)

ويقول المستشرق جولد زيهر عن تأثير الأديان على محمد صلى الله عليه وسلم : " فمحمد موءسسه لم يبشر بجديد من الأفكار ، كما لم يمدنا بجديد فيما يتصل بعلاقة الانسان فيما فوق حسه وشعوره وباللانهاية ..... فتبشير النبي العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه ، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الارادة الالهية ، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل الى أعماق نفسه وأدركها بأيحاء قَوَّتَهُ التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعليم وحيا الهيا فأصبح باخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي ".

---

(١) مدخل الى القرآن ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) صور استشراقية ص ٤١.

ويقول أيضا : " وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله الى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته ولميل ادراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها أثر حالته المرضيه نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين ".

ويقول عن خلوة النبي صلى الله عليه وسلم : " وكان قد بلغ الأربعين من عمره وأخذ يقضي وقته على ما تعود في الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة حيث كان نهبا للأحلام القوية والروءى الدينية ، وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب الى قومه منذرا اياهم بما يوءدي بهم ضلالهم من الخسران المبين وبكلمة واحدة أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه الى أن يكون مربيا لشعبه أي (منذره ومبشره)".(١)

ويقول درمنغ م في تأثير الرحلات التجارية على شخصية محمد:" فيسير والقوافل خلال الصحراء يقطع هذه الأبعاد المتنائية وتحدق عيناه الجميلتان بمدين ووادي القرى وديار ثمود وتستمع أذناه المرهفتان الى حديث العرب والبادية عن هذه المنازل وحديثها وما في نبئها .... وفي الشام عرف محمد أخبار الروم ونصرانيتهم وكتابهم ومناوأة الفرس من عُبّاد النار لهم وانتظار الوقيعة بهم ."(٢)

تفسير المستشرقين لظاهرة الوحي :

أما موقفهم من ظاهرة الوحي ، وما كان يظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحوال حين كان يأتيه الوحي ، فيزعمون أن ما كان يعتري الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يتصل بالوحي ما هو الا أعراض مرضية ونوبات عصبية ، لذا فهم يتهمونه بالصرع ويلتقون بهذا مع من سبقهم من مشركي العرب الذين رموه بالجنون والسحر والكهانة .

يقول المستشرق جوستاف لوبون : " ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر موءسسي الديانات ، ولا أهمية لذلك فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات ويقومون

(١) انظر أقوال جولدزيهر في كتابه الشريعة والعقيدة ص ١١ - ١٤.
(٢) الوحي المحمدي ص ٨٦.

الناس وانما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر ، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر " .(١)

ويقول المؤرخ تيوفانيز : " وأصيب كذلك - محمد - بمرض عصبي فلما علمت زوجته بأمره حز في نفسها أن قد أصبحت اليوم مرتبطة بانسان لا يقتصر أمره على أنه فقير بل هو أيضا مريض ، فراح يهدئها بقوله : اني تلم بي رؤية ملك من الملائكة اسمه جبريل ولما كنت لا أقوى على تحمل مرآه فاني تخور قواي وأقع على الأرض ".(٢)

ويقول المستشرق بودلي : " وقد انتابه على مر الأيام حالة عصبية في تفكيره وقد أثر الصيام والسهر في صحة محمد الذي كان قد اعتاد على الأكل والحركة والحياة الطليقة فكان يرى أثناء نومه الخفيف رؤى غريبة كان يتذكرها جيدا حين يصحو ."(٣)

والمستشرق درمنغم يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بفقدان الوعي واختلال التوازن من طول الفكر والتأمل فيقول : " وأصبح له الصوم والسهر وانعام النظر في الفكرة الواحدة ما تهيم به روحه وأضحى لا يفرق جيدا بين تعاقب الليل والنهار وبين اليقظة والمنام وغدا يقضي طويل الساعات جاثيا في الظلام أو مستلقيا تحت أشعة الشمس أو سائرا بخطى واسعة في الشعاب الصخرية وكان كلما سار خيل اليه أن أصواتا تخرج من الحجارة فاذا ما تعثر بحجر ارتد والحجارة كثيرة تحت وهج الشمس والحجارة تحييه برسول الله ".(٤)

ويقول أيضا : " وأصبح بعد ستة أشهر نحيفا مهزولا خائر القوى مضطرب الخطى أشعث الشعر واللحية .... وكان يهيم بين شعاب الجبال ويخر مغشيا عليه ".(٥)

---

(١) مناهج المستشرقين ص ٢٩.

(٢) النبي محمد ص ٨٩.

(٣) الرسول في كتابات المستشرقين ص ٤٨.

(٤) الرسول في كتابات المستشرقين ص ٥٠.

(٥) صور استشراقية ص ٤٢.

والمستشرق شبرنجر يقول :" ان الحالات العصبية التي كانت تنتاب النبي قد ورثها عن أمه بسبب الروئ التي كانت تراها آمنة أثناء حملها وما هي الا من قبيل الخرافات ."(١)

وجولدزيهر هو الآخر كان يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمرض .

وبناء على زعم المستشرقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا بالصرع ، فالقرآن الكريم ما هو الا هذيان محموم مصروع .

وقد فصل الدكتور هيكل الحديث في هذه النقطة وهو يصور تأثر بعض المخدوعين بما كتبه المستشرقون ، يقول : " ان مباحث المستشرقين دلتهم على أن النبي كان يصاب بالصرع وأن أعراضه كانت تبدو عليه اذ كان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات وتخرج من فمه الرغوة حتى اذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين به ما يقول انه وحي الله اليه في حين لم يكن هذا الوحي الا أثرا من نوبات الصرع ".(٢)

وهكذا تبدو أحقاد المستشرقين من خلال هذه النصوص التي تزدحم بسيل من الأفكار الدنيئة الخبيثة والتي خلاصتها أن محمدا نفسه هو مصدر القرآن ، نظمه بعبقريته الفذة والهاماته الخارقة ، وليس مصدره ومنزله الله سبحانه وتعالى ، مروجين بأن معلوماته وأفكاره ولدت له الهاما فاض من عقله الباطن أو من نفسه الروحانية على مخيلته وانعكس اعتقاده على بصره وسمعه فخيل اليه أنه رأى ملكا يخاطبه .

وهذا افك مبين وبهتان عظيم وحقد دفين وتجن على الحقيقة وعلى البحث العلمي المزعومين .

بطلان هذه الشبهة :

الناظر في مزاعم المستشرقين هذه ، وفي حال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وفي كتاب الله تعالى الذي أوحى به اليه يتبين له بطلان هذه المزاعم من عدة وجوه :

الوجه الأول : أن القرآن الكريم نفسه ينفي أن يكون من صنع البشر وتأليفهم وانما هو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس واصلاح حالهم وذلك من عدة نواح :

---

(١) الرسول في كتابات المستشرقين ص ١١٢.
(٢) حياة محمد ص ٤٠.

١ - من ناحية أسلوبه البليغ المعجز المغاير لأسلوب النبي صلى الله عليه وسلم فيما صدر عنه من الأقوال غير القرآن [١]، فالحديث يختلف اختلافا كبيرا عن القرآن الكريم من جهة الاسلوب ، وكل قارئ يفهم العربية يدرك ما بين الأسلوبين من فرق كبير ، فلو كان القرآن صادرا عن محمد نتيجة انفعالاته بما يحدث في حياته وما يجري في مخيلته من أفكار لكان أسلوبه هو نفس أسلوب الأحاديث لأنه لا يمكن أن يكون لكاتب واحد مهما بلغ من الذكاء والعبقرية أسلوبان يختلفان هذا الاختلاف الكبير ، وبهذا يتبين لنا بطلان دعوى المستشرقين أن القرآن الكريم صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ - من ناحية ما تضمنه من اشارات علمية دقيقة ونبوءات غيبية وأخبار القرون الماضية والتشريع العظيم وغير ذلك من العلوم والمعارف التي يزخر بها هذا السفر العظيم ، كل ذلك ينفي أن يكون القرآن بشريا والا فمن أين لمحمد صلى الله عليه وسلم الرجل الأمي هذه الحقائق العلمية التي لم يُتوصل الى معرفتها الا في العصر الحاضر ، ومن أين له معرفة أخبار الأولين من الأنبياء والمرسلين ومن أين له معرفة دقائق التاريخ وأحوال الأمم السابقة ، هل عاصرها واطلع على أخبارها ، ان إخبار القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة وما حل بهم بدقة وتفصيل يؤكد أنه من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يقرأ كتابا ولم يدرس علما أبدا .

وهذه النبوءات الغيبية الموجودة في القرآن من أين لمحمد صلى الله عليه وسلم بها ، ان الانسان مهما بلغ من العبقرية والذكاء لايستطيع أن يكشف حجب الغيب المكنون بعبقريته وذكائه ، ان كل ذلك يؤكد أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، وانما هو من عند الله الذي أحاط بكل شيء علما .

---

(١) مناهج المستشرقين ص ٣٢.

تقول المستشرقة لورافيشيا فاغليري في كتابها دفاع عن الاسلام:

" ان القرآن الكريم بما تضمنه من العلوم والمعارف والأخبار لا يمكن أن يكون من عند محمد فنحن نقرأ فيه الى جانب أشياء أخرى كثيرة تنبوءا ببعض أحداث المستقبل ووصفا لوقائع حدثت منذ قرون ولكنها كانت مجهولة على وجه عام ، ان ثمة اشارات كثيرة الى نواميس الطبيعة والى علوم مختلفة دينية ودنيوية ، اننا نقع ثمة على ذخائر واسعة من المعرفة تُعجز أكبر الناس ذكاء وأعظم الفلاسفة وأقدر رجال السياسة ولهذه الأسباب كلها لا يمكن للقرآن أن يكون من عمل رجل غير مثقف قضى حياته كلها وسط مجتمع جاف بعيد عن العلم والدين ، رجل أصر دائما على أنه ليس الا رجلا مثل سائر الرجال فهو بوصفه هذا عاجز عن اختراع المعجزات ما لم يساعده على ذلك ربه الكلي القدرة ؛ ان القرآن لا يعقل أن ينبثق عن غير الذات التي وسع علمها كل شيء في السماء والأرض ."(١)

٣ - ان القرآن الكريم لا يعكس شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في أفراحه وأحزانه ، لقد توفي عمه أبو طالب وزوجته خديجة في عام واحد وحزن عليهما حزنا شديدا حتى سمي ذلك العام بعام الحزن ، فهل يوجد في القرآن أي اشارة لكل هذا ، فلو كان القرآن كما يزعمون نابعا من ذاته لظهرت تلك المشاعر في سور القرآن .

ثم ان القرآن في بعض المواقف كان يخالف رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان يعاتبه ويلومه على أفعاله كعتابه في موقفه من الرجل الأعمى عبدالله بن أم مكتوم حيث قال تعالى : " عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ .... "(٢).

وكعتابه له في مسألة أسرى بدر حيث قال : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ".(٣)

وكعتابه له صلى الله عليه وسلم في مسألة الإذن للمنافقين الذين

---

(١) محمد رسول الله (علامات النبوة) ص ٥١.

(٢) سورة عبس ، الآيتان ١ - ٢ .

(٣) سورة الانفال ، الآيتان ٦٧ - ٦٨.

تخلفوا عن غزوة تبوك حيث قال : " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ".(١)

فلو كان القرآن الكريم نابعا من ذاته لما ظهر فيه مثل ذلك ~~اللوم~~ والعتاب على تلك التصرفات لأن طبع البشر أن يخفوا أخطاءهم وتقصيرهم ولا يذكروها في مؤلفاتهم ، وبهذا يظهر أن القرآن الكريم ليس من صنعه وانما هو خارج عن ذاته صلى الله عليه وسلم .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز : " وليس صحيحا أن القرآن يعكس شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي أكثر الأوقات لا يذكر شيئا عنه ويتجرد تماما من الاشارة اليه وعندما يورد شيئا عنه فلكي يحكم عليه أو يضبط سلوكه أو يسيطر عليه ، وفيما يتعلق بأفراحه وأحزانه نعلم كم كان حزنه لوفاة أبنائه وأصدقائه حتى أطلق اسم (عام الحداد) على العام الذي فقد فيه زوجته وعمه وفقد معهما العون المعنوي الذي كان يسانده أمام الصعوبات التي كانت تقابله في سبيل نشر دعوته ، فهل نجد في القرآن أقل صدى لهذا ؟ ولكن بمجرد أن يتعلق الموضوع بسلوك أخلاقي نرى التعارض جليا بين السلطة التشريعية والنفس الخاضعة المستسلمة كما يتعارض التشدد مع التساهل والصراحة القصوى مع الحياد".(٢)

وليس أدل على أن القرآن ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم من اشتداد حاجة الرسول الى شيء منه فلا يجده الا بعد فترة من الزمن فقد كان عليه الصلاة والسلام تمر به بعض المواقف المحرجة يحتاج فيها الى القرآن لحسم الموقف فلا يجد مثال ذلك ما حلّ به صلى الله عليه وسلم من الضيق والحرج عندما رماه المنافقون في أهل بيته السيدة عائشة رضي الله عنها فلم يستطع عليه الصلاة والسلام أن يفعل شيئا حتى جاءه الوحي ببراءة أهله وقطع بذلك السنة المروجين والخائضين فلو كان القرآن من عنده لأعلن منذ اللحظة الأولى براءتها وحسم الموقف .

---

(١) سورة التوبة ، آية ٤٣ .

(٢) مدخل الى القرآن الكريم ص ١٧٠.

الوجه الثاني : حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يؤكد بطلان مزاعم المستشرقين في أن القرآن الكريم من وحي نفسه صلى الله عليه وسلم ، وذلك من عدة نواح :

١ - اشتهاره صلى الله عليه وسلم في قومه بالصدق والأمانة حتى كانوا يلقبونه (بالصادق الأمين) وهذا الأمر اعترف به بعض المستشرقين ، فاذا كان كذلك فيكف لا يصدق في نسبة القرآن الى الله تعالى وأنه ليس من عند نفسه •

لقد أعن صلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى انما هو بشر يوحى اليه بهذا الكتاب من الله عز وجل ، وهو يبلغ عن الله سبحانه وتعالى ما يأتيه به الوحي •

ولو كان القرآن من عنده وأنه ليس نبيا مختارا من رب العالمين ثم أدعى النبوة ونسب القرآن الى الله لكان كاذبا في دعواه ، وهذا ما يخالف سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل كما شهد بذلك هرقل ،وبداية الانسان تدل على نهايته •

ثم ما الذي يمنعه من نسبة القرآن الى نفسه ، وما الهدف من نسبته الى الله لو كان ما يدعونه صحيحا ؟ علما لو نسبه الى نفسه لازداد بذلك رفعة وعلو شأن في نفوس أتباعه ، وأنه لا يوجد أحد من الناس ينسب لغيره أنفس آثار عقله ، وأغلى ما تجود به قريحته •

ان افتراض بعض الجهلة في نسبة القرآن الى الله من أجل اصلاح الناس بايجاب طاعته عليهم ، لأن تلك النسبة تجعل لقوله من الحرمة والتعظيم ما لا يكون له لو نسبه الى نفسه فهذا افتراض فاسد في ذاته وأساسه لأنه صلى الله عليه وسلم صدر عنه كلام ونسبه الى نفسه وان نسبته الى نفسه لم تنقص من لزوم طاعته شيئا ، بل استحق طاعة الناس فيما صدر عنه من كلام وفيما جاء به عن الله على حد سواء ، فلو كان الأمر كما يظنون لنسب كل ما يصدر عنه الى الله أيضا •

ثم ان افتراضهم مبني على أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد الوصول الى غايته الاصلاحية بأي طريق ولو بالكذب والتمويه وهذا ما يخالف السيرة الشريفة التي عاشها صلى الله عليه وسلم طوال حياته فلم يوءثر عنه الكذب في أي شأن من شوءون حياته ، بل كان الصدق رائده في كل أمر .(١)

٢ - أن طبيعة الحياة التي عاشها صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحي توءكد أنه من المستحيل أن يصدر عنه شيئا مما جاء به ، فقد عاش صلى الله عليه وسلم في قومه كأي واحد منهم مشغولا في تحصيل الرزق، يرعى الغنم بالأجر أو يتاجر بالأجر ، أميا لم يوءثر عنه علم ما ولا حتى شعر أو خطابة ، وقد أمضى أربعين سنة من عمره وهو على هذا الحال ،فمن أين له أن يقدر على الاتيان بهذا الكتاب العظيم من عند نفسه وفيض خاطره وهو على هذه الحال من البساطة والأمية .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز : " نعم انها لعجيبة حقا ، رجل أمي بين أظهر قوم أميين ، يحضر مشاهدهم - فيغير الباطل والفجور - ويعيش معيشتهم مشغولا برزق نفسه وزوجه وأولاده راعيا بالأجر ، أو تاجرا بالأجر ، لا صلة له بالعلم والعلماء، يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره ثم يطلع علينا فيما بين عشية وضحاها فيكلمنا بما لا عهد له في سابق حياته وبما لم يتحدث الى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك ويبدي لنا من اخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في دفاترهم وقماطيرهم ، أفي مثل هذا يقول الجاهلون انه استوحى عقله واستلهم ضميره ؟

أي منطق يسوغ أن يكون هذا الطور الجديد العلمي نتيجة طبيعية لتلك الحياة الماضية الأمية انه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال الطفري سر آخر يلتمس خارجا عن حدود النفس وعن دائرة المعلومات القديمة ، وان ملاحدة الجاهلية وهم أجلاف الأعراب في البادية كانوا في الجملة أصدق تعليلا لهذه الظاهرة وأقرب فهما لهذا

---

(١) النبأ العظيم ص ٢٢ - ٢٣ .

السر من ملاحدة هذا العصر اذ لم يقولوا كما قال هوءلاء انه استقى هذه الأخبار من وحي نفسه ، بل قالوا انه لا بد أن تكون قد أمليت عليه منذ يومئذ علوم جديدة فدرس منها ما لم يكن قد درس وتعلم ما لم يكن يعلم " وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ "(١) " وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً "(٢) ولقد صدقوا فانه درسها ولكن على استاذه الروح الأمين . واكتتبها ولكن من صحف مكرمة " قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "(٣) "(٤)

٣ - أنه مما لا شك فيه أن محمدا عليه الصلاة والسلام عاش في قومه سليم الفطرة مستقيم السلوك ، مترفعا عما كان عليه قومه من عبادة للأوثان وتقديس للأصنام ، وكان حزينا لما عليه قومه فاعتزلهم وما يعبدون ولجأ الى عبادة الله الواحد خالق السموات والأرض .

نعم ان الفطرة السليمة والعقل النير قد يوءديان الى معرفة الله سبحانه وتعالى وبطلان عبادة الأوثان ، أما أن يستطيع معرفة شيء عن هذا الاله وكيفية عبادته وعلاقته بالكون المنظور وغير المنظور ، والحياة بعد الموت فأمر متعذر ، فالعقل البشري مهما بلغ من الصفاء والقوة لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة في هذا السبيل ما لم يكن له مدد من تعاليم ايجابية خارج نطاق البشر .(٥)

وبهذا يتبين لنا بطلان مزاعم المستشرقين من أن محمدا عليه الصلاة والسلام بفطرته السليمة وعبقريته الفذة استطاع أن يأتي بالقرآن من عند نفسه .

٤ - عدم تطلعه صلى الله عليه وسلم للنبوة قبل أن يوحى اليه كما يزعم المستشرقون ، فلم يرد في الأخبار الصحيحة أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد تطلع الى النبوة في يوم من الأيام قبل أن يختاره الله سبحانه

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٠٥ .
(٢) سورة الفرقان ، آية ٥ .
(٣) سورة يونس ، آية ١٦ .
(٤) النبأ العظيم ص ٣٨ - ٣٩ .
(٥) مدخل الى القرآن الكريم ص ١٤٦ .

وتعالى اذ لو حصل ذلك لنقل الينا وتحدث به المخبرون ، كما تحدثوا عن أُمَيَّةَ بن أبي الصلت الذي كان يرجو أن يكون النبي المنتظر وصدق الله العظيم حين قال : " وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ " (١) ، فرحمة الله الواسعة هي التي حلت عليه باصطفائه وانزال القرآن عليه ولم ينل ذلك باجتهاده في العلم والعمل .

ثم ان ظهور النبي المفاجيء وتحدثه بما لم يتحدث به من قبل يدل على أن القرآن ليس من عند نفسه وانما جاءه من خارجها ، اذ لو كان من عند نفسه لظهر شيء من ذلك في كلامه في ريعان شبابه قبل أن يبلغ سن الأربعين ، تلك الفترة التي يكون فيها الانسان في أوج حماسه وقوته وقدرته على مواجهة الصعاب ، فلماذا اذن لم يبد أي فكرة من أفكاره الاصلاحية في تلك الفترة ، فهذا دليل قاطع على أن ما جاء به صلى الله عليه وسلم خارج عن ذاته وليس نابعا من داخله كما زعم المستشرقون. انه وحي الله الكريم لعبده محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية .

وانه صلى الله عليه وسلم لم يلجأ للخلوة طلبا لنبوة كما يوهم بذلك المستشرقون وانما لجأ لذلك نظرا للوحشة من سوء حال الناس ، ولو كان يطلب النبوة ويقصدها لاعتقد حين رأى الملك حصول ما كان يرجو .

الوجه الثالث : حال الأديان وأهلها التي يزعم المستشرقون أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد تأثر بها واستفاد منها فألف قرآنه من خواطره والهاماته الذاتية .

يزعم بعض المستشرقين أن النبي صلى الله عليه وسلم تأثر بما سمع من اليهود والنصارى عن أديانهم وذلك أثناء رحلاته التجارية الى الشام واليمن مما جعله يطيل التفكير في ذلك حتى استطاع أن يأتي بالقرآن .

ومن المعلوم الثابت أن النبي لم يذهب للتجارة الى بلاد الشام الا مرتين فقط ، الأولى وهو صغير لم يبلغ الحلم حيث كان برفقة عمه أبي طالب ، والثانية وهو في سن الخامسة والعشرين حين ذهب بأموال خديجة ،

---

(١) سورة القصص ، آية ٨٦.

ولم يثبت أنه اتصل بأحد من علماء أهل الكتاب حتى يسمع منهم ويتأثر بهم سوى بحيرا الذي أشرت اليه سابقا وبينت بطلان دعوى المستشرقين التعلم عنه بل والتأثر به نظرا لصغر سنه صلى الله عليه وسلم .

ثم انه في رحلتيه لم يجاوز سوق مدينة بصرى الشام ولم يفارق رفاقه في القافلة ليجالس علماء أهل الكتاب ، ولو حصل ذلك لنقل الينا ولاحتج به قومه لابطال دعوته .

ثم انه لو سمع شيئا من أهل الكتاب وتأثر به وانفعلت به نفسه كما يزعمون ، فلماذا لم يظهر ذلك في حينه وهو في سن الخامسة والعشرين؟ وان سكوته هذه الفترة الطويلة كفيل بأن تخبو جذوة الحماس في نفسه وأن تنسيه كل شيء سمعه .

والمتأمل في حال هذه الأديان وأهلها لا يجد ما يسره ، ولا يجد فيها ما يصلح لاقامة نظام اصلاحي كالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

وها هو أحد الكتاب المسيحيين (ج سال) يصور لنا حال العالم المسيحي في ذلك الوقت يقول : " اذا قرأنا التاريخ الكنسي بعناية فسنرى أن العالم المسيحي قد تعرض منذ القرن الثالث لمسخ صورته بسبب أطماع رجال الدين والانشقاق بينهم والخلافات على أتفه المسائل والمشاجرات التي لا تنتهي والتي كان الانقسام يتزايد بشأنها وكان المسيحيون في تحفزهم لارضاء شهواتهم واستخدام كل أنواع الخبث والحقد والقسوة قد انتهوا تقريبا الى طرد المسيحية ذاتها من الوجود بفعل جدالهم المستمر حول طريقة فهمها ، وفي هذه العصور المظلمة بالذات ظهرت بل وثبتت أغلب أنواع الخرافات والفساد ".(١)

ويقول تايلور في كتابه المسيحية القديمة : " ان ما قابله محمد وأتباعه في كل اتجاه لم يكن الا خرافات منفرة ووثنية منحطة مخجلة ومذاهب كنسية مغرورة وطقوسا دينية منحلة وصبيانية بحيث شعر العرب ذوو العقول النيرة بأنهم رسل من قبل الله مكلفين باصلاح ما ألم بالعالم من فساد ".(٢)

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم ص١٣٦.

(٢) مدخل الى القرآن الكريم ص١٣٧.

ونظرا لهذه الحال المتردية التي كان عليها العالم المسيحي والدين المسيحي زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فان المستشرق هوارت يقرر عدم تأثر النبي بالديانة المسيحية فيقول : " مهما كان اغراء الفكرة التي تقول بأن تفكير المصلح الشاب محمد قد تأثر بقوة عندما شاهد تطبيق الديانة المسيحية بسوريا فانه يتحتم استبعادها نظرا لضعف الوثائق والاسس التاريخية الصحيحة ".(١)

أما بالنسبة لليهود وديانتهم فلم يكونوا أحسن حالا من المسيحيين علما بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتصل بأحد منهم قبل البعثة كما هو ثابت لأنهم كانوا يسكنون يثرب وخيبر ولم يذكر أنه كان لهم مركز في مكة ، لذا لم يتصل بهم الا بعد الهجرة من مكة الى المدينة ، ومنذ أن اتصل بهم ناصبوه العداء حقدا وحسدا لذهاب النبوة منهم وليس أدل على حقدهم وحسدهم من المكائد المتلاحقة التي دبروها لايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والطعن فيما جاء به وتمزيق صف الجماعة المؤمنة باستقطاب بعض ضعاف النفوس والإيمان وهم المنافقون كما هو ثابت ومعلوم.

ثم ان علماء اليهود كانوا من أبخل الناس بعلمهم وتكفي شهادة الله العليم الخبير عليهم بذلك ، فأنى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يسمع منهم أو يتأثر بما عندهم .

يقول المستشرق درمنغم عن اليهود : " كان في استطاعة اليهود الموحدين أن يوءثروا في عرب يثرب تأثيرا دينيا كبيرا - ولم يعقلوا ما عابهم به القرآن من كتم التوراة - لو لم يعدوا الوحي أمرا خاصا بأمتهم ، ولو لم يستَخِفُّوا بالعرب المشركين الأميين الذين لم ينزل فيهم كتاب "(٢).

أما دعوى التأثر بمن تنصر من العرب أمثال أمية بن أبي الصلت وغيره فهي زيف وهراء لا يعتد به لأنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم التقى به لا قبل النبوة ولا بعدها."(٣)

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم ص ١٣٨.

(٢) صور استشراقية ص ٣٧.

(٣) الوحي المحمدي ص ١٠٩.

وعلى فرض صحة زعم المستشرقين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمعت لديه بعض المعلومات من خلال احتكاكه بأهل الديانات في رحلاته التجارية أو في بلده ، فهل تكفي هذه المعلومات لأن تكون مصدرا للقرآن العظيم بما فيه من حقائق عظيمة علمية وأخلاقية وتشريعية أو أخبار تاريخية وأمور غيبية وغير ذلك ، ان القرآن لأعلى وأوسع وأكمل من كل ما كان يعرفه مثل بحيرا ونسطورا وكل نصارى الشام ونصارى الأرض ويهودها".(١)

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : " أيها المفتاتون الذين يقولون ما لا يعلمون ، ان وحي القرآن أعلى مما تزعمون وأكثر مما تتصورون وتصورون وان محمدا أقل علما كسبيا مما تدعون وأكمل استعدادا لتلقي كلام الله عن الروح القدس مما تستكبرون ".(٢)

الوجه الرابع : طبيعة البيئة التي نشأ فيها عليه الصلاة والسلام :

زعم المستشرقون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تأثر بالبيئة التي نشأ فيها، وصوروها بيئة متحضرة ذات دين ، تعرف الله ،وأن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة قد أثرت فيه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وهذا من مغالطاتهم المكشوفة التي لا تخفى على أحد من الناس .

من المعلوم أن البيئة التي نشأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيئة جاهلية كانت تتخبط في مهاوي الفساد والرذيلة وتتيه في بحر من الأوهام والخرافات ، تعبد الحجارة الصماء التي لا تضر ولا تنفع ، فأين هي الحضارة وأين هي معرفة الله الواحد التي يدعيها المستشرقون.

وليس أصدق من قول الله في تلك الأمة التي نشأ فيها صلى الله عليه وسلم حيث قال : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "(٣)، لذا فقد كانت هذه الأمة في أمس الحاجة الى الرسالة الالهية لايقاظها من هذا الضلال المحدق بها في جميع مجالات الحياة .

---

(١) الوحي المحمدي ص ١٠٩.

(٢) الوحي المحمدي ص ١١١.

(٣) سورة الجمعة ، آية ٢ .

ومما لا شك فيه أنه كان في وسط هذه البيئة الجاهلية عدد قليل من الأفراد اسمهم الحنفاء امتازوا بسلامة الفطرة فعزفوا عما كان عليه قومهم من فساد وضلال وأيقنوا أنه لا بد من عبادة الله خالق السموات والأرض لكنهم كانوا في حيرة من أمرهم فلم يستطيعوا معرفة الطريقة الصحيحة لعبادة الله عز وجل ، لذا فان زعم المستشرقين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تأثر بهذه الفئة زعم فاسد لأن ما كانوا عليه لا يصلح لأن يكون أساسا لما جاء به عليه الصلاة والسلام •

أما دعواهم التأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية في بيئته فلا أساس له من الصحة لأن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بفساد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بيئته لا يكفي لتأليف القرآن الكريم بما فيه من تشريعات عظيمة فاقت كل ما عرفه البشر •

ان القرآن الكريم أعظم بكثير من أن يكون وليد بيئة وثنية كل ما فيها فساد وانحراف ، وان كل ما فيه يشهد على عظمة مصدره وأنه لا يمكن أن يكون من عند بشر مهما عظم عقله وسمت روحه وتأثرت وانفعلت نفسه بما يدور حوله وصدق الله العظيم حين قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: "وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ".(١)

الوجه الخامس: انتفاء أن يكون الوحي من داخل نفسه عليه الصلاة والسلام :

ان أعراض الوحي الظاهرة على النبي صلى الله عليه وسلم والتي لا دخل له بها تؤكد أن الوحي خارج عن ذاته صلى الله عليه وسلم ، فهذه الأصوات المختلطة التي كانت تسمع عند الوجه الشريف تنفي أن تكون ظاهرة الوحي صناعة وتكلفا من قبله صلى الله عليه وسلم ، اذ لو كان الأمر كذلك لكانت طوع بنانه ، يأتي بشيء جديد من الوحي في أي وقت يشاء بهذه الطريقة ، والكل يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يمر بظروف معينة أحوج ما يكون فيها الى شيء من الوحي فلا يأتيه •

---

(١) سورة النمل ، آية ٦ •

ثم ان هذه الظاهرة كانت تحل به صلى الله عليه وسلم فجأة دون سابق انذار أو استعداد لذلك ، فقد يكون جالسا مع أصدقائه أو أعدائه يحادثهم فيأتيه الوحي فجأة ويقطع عليه حديثه ، وقد يكون راكبا على دابتـه أو ماشيا على رجليه فيفاجئه الوحي ، ولو كان الوحي من عند نفسه لاستعد لذلك ولحدد أوقاتا معينة لاظهار ما عنده من الوحي .

ان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند تلقي القرآن عن أمين الوحي جبريل يؤكد أن الوحي خارج عن ذاته الشريفة وأن القرآن لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ، لقد كان يتلقى القرآن من أمين الوحي على عجل ، يحرك لسانه وشفتيه طلبا لحفظه وعدم نسيان شيء منه لتبليغه للناس كاملا كما أنزل ، فأمره الله سبحانه وتعالى بترك ذلك لأنه جل وعلا هو الكفيل بتعليمه وترسيخ ذلك في نفسه ، قال تعالى : " وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا "(١). وقال: " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ".(٢)

فلو كان القرآن الكريم نابعا من تفكيره لجرى على سنته في كلامه العادي لأنه لا يتكلم الا بعد تفكير عميق وتمحيص دقيق ، ولكن هول المفاجأة بالوحي الخارج عن ذاته هي التي تدفعه الى التعجل والترديد باللسان والشفتين كما أخبرنا الله سبحانه في كتابه الكريم .

وكذلك موقفه المليء بالخشية والتقديس للقرآن الكريم يؤكد أنه ليس من عند نفسه كما يزعم الحاقدون .

<u>الوجه السادس</u>: انتفاء فرية الصرع عن النبي صلى الله عليه وسلم:

ان اتهام المستشرقين للنبي صلى الله عليه وسلم الاصابة بالصرع أمر يكذبه الواقع ويدحضه ، وان زعم درمنغم أنه صلى الله عليه وسلم نسي الليل والنهار والحلم واليقظة وأنه كان يهيم بين شعاب الجبال ويخر مغشيا عليه ما هو الا نسيج خيال لا أساس له من الصحة ، فلم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه بلغ به الجهد في خلوته مثلما يصور هذا

---

(١) سورة طه ، آية ١١٤.

(٢) سورة القيامة ، الآيات ١٦ - ١٩.

الكاتب الفرنسي ، وان الروايات الصحيحة ترد كل هذه المزاعم والأقاويل الباطلة .

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة ، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام ، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال .

وليس أدل على انتفاء هذه الفرية وبطلانها من كفاحه المرير في سبيل نشر دعوته ، ومن سياسته الحكيمة وخططه الحربية وتنظيماته الاجتماعية ، فلو كان مصابا بالانهيار العصبي كما يزعمون فهل يقوى على مثل هذا النضال الطويل وهل يوءثر عنه تلك السياسة البارعة والتنظيمات الدقيقة .

يقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب : " أمجنون مصروع يبني دولة وينشيء نظاما ويقيم دينا ويعيش في أجيال الناس منذ قام الى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل ؟ أمجنون مصروع يثبت لهذه العواصف العاتية المزمجرة وجيدا في وجه أمة صحراوية النفوس صخرية الطباع ثم لا يكون منه في حال من الأحوال تخاذل أو ضعف حتى يحول هذه العواصف الى أنسام عليلة وريح رخاء ".(١)

ألا ما أبعد هذا الكمال الانساني عما يتخبط به الحاقدون من المستشرقين وغيرهم .

ولقد شهد بعض المنصفين من المستشرقين على انتفاء هذه الفرية عنه صلى الله عليه وسلم مستدلين بحياته المشرفة وما أثر عنه من أمور عظيمة على ذلك ، يقول ماركس مايرهوف : " أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلا مصابا بمرض عصبي أو بداء الصرع ولكن تاريخ حياته من أوله الى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والادارة يناقض هذا القول ."(٢)

أما ادعاوءهم بأن ما كان يظهر على النبي من أعراض حين كان يتصل بالوحي أنها أعراض صرع فادعاء باطل يدل على جهلهم المستحكم بحقيقة

---

(١) النبي محمد ص ١٣٩.

(٢) الاسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ص ١٦٢.

الوحي لأن وحي الله لأنبيائه لا يمكن اخضاعه لقوانين البحث العلمي لأنه فوق العقل وفوق العلم البشري ، وأعراض الصرع تختلف تمام الاختلاف عما كان يعتري النبي صلى الله عليه وسلم عند اتصاله بالوحي ، فهي أعراض مرضية مصحوبة باصفرار في الوجه وبرودة في الأطراف واصطكاك في الاسنان وغيبوبة كاملة اذ يحتجب نور العقل ويخيم الجهل فلا يذكر من يصاب بذلك أي شيء مما حدث له ، بل ينسى هذه الفترة من حياته نسيانا تاما .

أما ظاهرة الوحي فتكون مصحوبة باشراق في الوجه وارتفاع في درجة الحرارة ، وهي مبعث للنور الهادي الذي لا ظلمة فيه ومصدر للعالم المشرق الذي لا جهل فيه ."(١)

ثم ان نزول الوحي لم يقترن بالغيبوبة دائما ، اذ كان يأتيه أمين الوحي أحيانا في صورة رجل فيحادثه ويوحي اليه بما شاء الله أن يوحي به اليه .

يقول الدكتور محمدحسين هيكل في الرد على هذه الفرية : " وتصوير ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو خاطيء من الناحية العلمية أفحش الخطأ ، فنوبة الصرع لا تذر عند من يصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد افاقته من نوبته نسيانا تاما ولا يذكر شيئا مما صنع أو حل به خلالها ، ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل ، هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم ولم يكن ذلك مما يصيب النبي العربي أثناء الوحي ، بل كانت تتنبه حواسه والمدارك في تلك الأثناء تنبها لا عهد للناس به ، وكان يذكر بدقة غاية الدقة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه هذا ثم ان نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الادراك الروحي غاية التنبه ، بل كان كثيرا ما يحدث والنبي في تمام اليقظة العادية ...... فالصرع يعطل الادراك الانساني وينزل بالانسان

---

(١) النبأ العظيم ص ٧٢ .

الى مرتبة آلية يفقد أثناءها الشعور والحس ، أما الوحي فسمو روحي اختص الله به أنبياءه ليلقي اليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس ، وقد يصل العلم الى ادراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها وأسرارها بعد أجيال وقرون وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ".(١)

وبعد هذا العرض لشبهات المستشرقين نجد أنها ترديد مقيت لشبهات العرب في الجاهلية ألبسوها ثوبا جديدا وعرضوها في حلة مزركشة من القول المزوق والكلام المنمق مدعين الموضوعية والبحث العلمي ، وقد بينت بالدليل القاطع زيف تلك الشبهات وبطلانها من الاساس سائلين الله أن يلهمنا الصواب في القول والعمل .

(١) حياة محمد ص ٤٠ - ٠٤١

الخاتمة

في أهم نتائج البحث

حمدا لله تعالى وشكرا له على منه وكرمه وعونه لانهاء هذا البحث ، وتوفيقه باخراجه على هذه الصورة الطيبة ان شاء الله تعالى ، ومن أهم النتائج التي خرجت بها من البحث :

١ - أن الأدلة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتنوعة ، تقود الانسان الى الايمان به نبيا ورسولا من الله تعالى لهداية الناس ، وكثرة هذه الأدلة وتنوعها يتناسب مع كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، اذ لا نبي بعده ، ومع كون رسالته خاتمة الرسالات وناسخة لبقية الشرائع ، والتي يجب على بني آدم لصلاح دنياهم وأخراهم العمل بها والاحتكام اليها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢ - أن الأحبار والرهبان والملوك قبل بعثة رسول الله كانوا على معرفة بنبوته صلى الله عليه وسلم ووقت مبعثه وصفته وصفة بلده وقومه ، وأنهم شهدوا بذلك قبل مبعثه .

٣ - أن التوراة والانجيل قد بشرتا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالرغم من تحريفهما الا أنه لا يزال فيهما اشارات وايماءات يفهم منها البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع العلم أن ما نقله علماء سلفنا الصالح أمثال الامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من بشارات عن التوراة والانجيل أشد صراحة مما نجده الآن فيهما ، مما يدل على أنهما قد دخلهما تحريف جديد من زمنهما الى يومنا هذا ، وقد شهد القرآن بهذه البشارات ، وشهد بتحريف التوراة والانجيل .

٤ - أن القرآن الكريم معجزة رسول الله الكبرى كان له أثر بليغ على العرب ، وقد عجزوا عن الاتيان بمثله مع أنهم فرسان البلاغة وأعلام الفصاحة ، وقد تعددت وجوه اعجازه ، ومنها الاعجاز اللغوي والاعجاز

العلمي والاعجاز التشريعي والاخبار بالغيب .

٥ - أن العلم الحديث قد وافق ما جاء في كتاب الله من حديث عن السنن الكونية ، ولم يختلف القرآن مع العلم ولو في موطن واحد ، مما يدل على أنه وحي من مدبر الكون خالق السموات والارض .

٦ - وأن التاريخ صدّق ما أخبر به القرآن الكريم من وقائع وأحداث ،ولم يحدث قط أمر بخلاف ما أخبر كتاب الله .

٧ - أن كتاب الله جاء بشريعة صالحة لاسعاد البشرية وانقاذها من الضلال الى الهدى وأن هذه الشريعة تختلف بخصائصها ومميزاتها عن كل ما عرفته البشرية من قوانين أرضية .

٨ - أن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تقتصر على القرآن الكريم ، بل له معجزات حسية كثيرة نقل كثير منها الينا عن طريق التواتر ، وهي ليست في قدرة البشر العاديين ، وقد أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

٩ - أن ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من وقائع مستقبلية ، وثبتت بالخبر الصحيح ، جاءت الأيام تصدقه بوقوعها على الوجه الذي أخبر به ، ولم يقع أمر قط على خلاف ما أخبر .

١٠- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش حياة نظيفة بعيدة عن رجس الجاهلية قبل أن يوحى اليه ، وأنه كان يتصف بأكمل الصفات وأجل الاخلاق وتدل سيرته على أن الله تعالى يهيئه لأمر عظيم جليل .

١١- أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة تدل على نبوته ، لما فيها من مواقف وشدائد لا يثبت أمامها الرجل العادي ، ولما فيها من استعلاء على الدنيا وما فيها ، ولما فيها من حسن معاملة وطيب عشرة وأخلاق رفيعة وسياسة حكيمة .

١٢- أن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبادئ وتعاليم سواء كان في العقيدة أو الاخلاق أو التشريع يدل دلالة واضحة على أنه أوحي اليه بهذا من عند الله تعالى ، اذ البشر أعجز من أن يأتوا بمثل ما جاء به .

١٣- أن العرب كانوا في حيرة واضطراب من أمرهم ، وكانوا يلقون الشبهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتراجعون عنها ويكذبون أنفسهم، وشبهاتهم سخيفة ضعيفة لا سند لها ولا حجة عليها .

١٤- أن المستشرقين بما يحملون من أحقاد وضغائن على الاسلام ونبيه وأهله ما تركوا منفذا للطعن في الاسلام الا وصوبوا سهامهم من خلاله ، والشبهات التي أثاروها هي شبهات العرب مضافا اليها الخبث والدهاء والمكر ، مدعين اتباع منهج البحث العلمي ، وهم من الحقيقة العلمية براء .

١٥- ثبت بالوجه القطعي بالنقل والعقل بطلان شبهات العرب وشبهات المستشرقين ، وقام الدليل القطعي على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأن الله بعثه بالقرآن بشيرا ونذيرا لهداية الناس الى الخير والرشاد ، وكل ما جاء به أو نقل عنه فهو حق لا مجال للشك فيه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه.

فهرس المراجـــــــع

- اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة . تأليف : حمود بن عبدالله التويجري .
  ط ١ ، مطابع الرياض . ١٣٩٤هـ .
- اثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، تأليف : أبي الحسن أحمد بن الحسين الزيدي . تحقيق : خليل أحمد ابراهيم الحاج .
  المكتبة العلمية .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب . تأليف : ابن عبدالبر النمري القرطبي .
  ط ١ ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨هـ .
- أسس في التصور الاسلامي . تأليف : د. محمد عبدالقادر أبو فارس .
  ط ١ ، مطابع دار الشعب ، عمان ، ١٤٠٢هـ .
- الاسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب . تأليف : أحمد بن حجر آل بوطامي .
  ط ٢ ، مطابع قطر الوطنية ، ١٣٩٨هـ .
- الاسلام والمستشرقون . تأليف ظ د . عبدالجليل شلبي .
  مطابع دار الشعب . القاهرة ، ١٩٧٧م .
- الاسلام وموقف علماء المستشرقين . تأليف : د. عبدالحميد متولي .
  ط ١ ، مطابع النصر ، جدة ، ١٤٠٣هـ .
- الاسلام يتحدى (مدخل علمي الى الايمان) . تأليف : وحيدالدين خان . تعريب : ظفر الاسلام خان . تحقيق : عبدالصبور شاهين .
  ط ٢ ، دار البحوث العلمية ، ١٣٩٣هـ .
- اصول الدعوة . تأليف د . عبدالكريم زيدان .
  مكتبة المنار الاسلامية . ١٤٠١هـ .
- اظهار الحق . تأليف : رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي . تحقيق عمر الدسوقي .
  مطبعة الرسالة ، القاهرة .
- اعجاز القرآن . تأليف : أبي بكر بن محمد الطيب . تحقيق: السيد أحمد صقر .
  ط ٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧م .

- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية . تأليف : مصطفى صادق الرافعي .
ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- اعجاز القرآن . تأليف : عبدالكريم الخطيب .
ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

- اعلام النبوة . تأليف : أبي الحسن على بن محمد الماوردي .
ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

- انجيل برنابا ، تحقيق سيف الله أحمد فاضل .
ط ٢ ، دار القلم ، الكويت ، ١٣٩٣هـ .

- الانسان بين العلم والدين . تأليف : شوقي أبو خليل .
ط ٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٩هـ .

- الانسان بين المادية والاسلام . تأليف : الاستاذ محمد قطب .
ط ٤ ، بيروت ، ١٩٦٥م .

- الايمان والحياة . تأليف : د . يوسف القرضاوي .
ط ٣ ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ .

- بشائر النبوة الخاتمة ، تأليف : د . روءوف شلبي .
المكتبة العصرية ، بيروت .

- البداية والنهاية في التاريخ . تأليف : اسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق:
محمد عبدالعزيز النجار .
مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة .

- التبشير والاستشراق . تأليف : محمد عزت اسماعيل الطهطاوي .
المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ .

- تثبيت دلائل النبوة . تأليف : القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني. تحقيق:
عبدالكريم عثمان .
دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

- التصوير الفني في القرآن . تأليف : الاستاذ سيد قطب .
ط ٤ ، مطابع دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

- تفسير ابن كثير . تأليف : أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي .
دار احياء الكتب العربية . القاهرة .

- تفسير أبي السعود . تأليف : أبي السعود محمد بن محمد العمادي .
دار احياء التراث العربي . بيروت .

- تفسير البيضاوي . تأليف : أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي .
مطبعة دار الكتب العربية الكبرى . القاهرة .

- تفسير الطبري . تأليف : ابي جعفر محمد بن جرير الطبري .
ط ٣ ، القاهرة .

- تفسير القرطبي . تأليف : أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .
دار الكتاب العربي ، بيروت .

- التفسير الكبير . تأليف : الامام فخر الدين الرازي .
ط ٢ ، طهران .

- تفسير المنار . تأليف : محمد رشيد رضا .
ط ٤ ، دار المنار ، القاهرة .

- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن . تأليف : أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ،
وأبي الحسن على بن عيسى الرماني ، وعبدالقاهر الجرجاني .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . تأليف : شيخ الاسلام ابن تيمية .
مطابع المجد .

- حياة محمد . تأليف : محمد حسين هيكل .
ط ١٣ ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

- خصائص التصور الاسلامي . تأليف : الاستاذ سيد قطب .
ط ٤ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

- الخصائص الكبرى . تأليف : جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي ، تحقيق:
د. محمد خليل هراس .
مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .

- خلق الانسان بين الطب والقرآن . تأليف : د . محمد على البار .
  ط ٥ ، الدار السعودية للنشر ، جده ، ١٤٠٤هـ .
- خلق المسلم . تأليف : الاستاذ محمد الغزالي .
  ط ٤ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٣هـ .
- دراسات في تاريخ الاسلام ونظمه . تأليف : س . د . جويتين .
- دراسات في حضارة الاسلام . تأليف : هاملتون جب ، ترجمة : احسان عباس ورفاقه .
  ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت . ١٩٧٩م .
- دراسة في السيرة . تأليف : د . عماد الدين خليل .
  ط ٦ ، موءسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة . تأليف : موريس بوكاي .
  ط ٤ ، دار المعارف لبنان ، ١٩٧٧م .
- دلائل الاعجاز . تأليف : الامام عبد القاهر الجرجاني .
  دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .
- دلائل النبوة . تأليف : أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني .
  بدون ، ١٣٩٧هـ .
- دلائل النبوة . تأليف : الامام البيهقي . تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان .
  ط ١ ، دار النصر للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .
- الرسل والرسالات . تأليف : د . عمر سليمان الأشقر .
  ط ٢ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٣هـ .
- الرسول في كتابات المستشرقين . تأليف : نذير حمدان .
  مطبعة رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ .
- سنن ابن ماجه . تأليف : أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق: محمد فوءاد عبدالباقي .
  مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

- سنن أبي داود . تأليف : أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد .
دار احياء السنة النبوية .

- سنن الترمذي . تأليف : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة . تحقيق : أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وابراهيم عطوه .
دار احياء التراث العربي .

- سنن الدارمي . تأليف : أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي . تحقيق: عبدالله هاشم المدني .
حديث أكادمي ، فيصل آباد . الباكستان ، ١٤٠٤هـ .

- سنن النسائي . تأليف : أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي .
المطبعة المصرية بالأزهر . القاهرة .

- السيرة النبوية . تأليف : أبي محمد عبدالملك بن هشام .
دار الجيل . بيروت .

- سيرة عمر بن عبدالعزيز . تأليف : أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي .
دار الفكر ، بيروت .

- شرح النووي على صحيح مسلم . تأليف : الامام النووي .
المطبعة المصرية . القاهرة .

- الشريعة الاسلامية . تأليف : مناع القطان .
ط ١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع جده ، ١٤٠٠هـ .

- الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان . تأليف محمد الخضر حسين .
طباعة على رضا التونسي ، القاهرة ، ١٣٩١هـ .

- شريعة القرآن من دلائل اعجازه . تأليف : محمد أبي زهرة .
دار الثقافة العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى . تأليف : القاضي عياض بن موسى اليحصبي . تحقيق اسامة الرفاعي ورفاقه .
دار الوفاء للطباعة ، دمشق .

- صحيح البخاري . تأليف : أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري .
المكتبة الاسلامية ، استانبول ، ١٩٧٩م.

- صحيح مسلم . تأليف : أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . تحقيق :
محمد فؤاد عبدالباقي .
نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، ١٤٠٠هـ.

- صور استشراقية . تأليف : د . عبدالجليل عبده شلبي .
المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

- صور من سماحة الاسلام . تأليف : د . عبدالعزيز الربيعة .
ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

- الطب محراب الايمان . تأليف : د . خالص جلبي .
ط ١ ، ج ١ طباعة دار المعارف ، دمشق ١٣٩٤هـ ، ج٢ طباعة دار النفائس دمشق
١٣٩١هـ .

- العسل فيه شفاء للناس . تأليف : د . محمد نزار الدقر .
ط ٣ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

- العقيدة والشريعة في الاسلام . تأليف : جولد تسيهر . ترجمة وتعليق محمد
يوسف موسى ورفاقه .
ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٨هـ .

- علم أصول الفقه ، تأليف : عبدالوهاب خلاف .
ط ٨ ، مكتبة الدعوة الاسلامية ، القاهرة .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري . تأليف : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ .

- فتح القدير . تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني .
نشر محفوظ العلي . بيروت .

- فقه السنة ، تأليف : الاستاذ سيد سابق .
دار الكتاب العربي ، بيروت .

- فقه السيرة . تأليف : د . محمد سعيد رمضان البوطي .
ط ٨ ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ .

- فقه السيرة ، تأليف : الاستاذ محمد الغزالي .
مطابع علي بن علي . الدوحة . قطر .

- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . تأليف : د. محمد البهي.
ط ٨ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ .

- في ظلال القرآن . تأليف : سيد قطب .
ط ٦ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

- القاموس المحيط . تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
المؤسسة العربية ، بيروت .

- الكتاب المقدس .
دار الكتاب المقدس في العالم العربي . ١٩٨٢م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . تأليف : محمود بن عمر الزمخشري .
دار المعرفة ، بيروت .

- محاضرات في النصرانية . تأليف : محمد أبي زهرة .
ط ٥ ، دار الفكر العربي ، القاهرة . ١٣٩٧هـ .

- محمد رسول الاسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه . تأليف :
محمد فهمي عبدالوهاب .
ط ٢ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ .

- محمد رسول الله (علامات النبوة) . تأليف : عبدالملك علي الكليب .
ط ١ ، مكتبة دار الهجرة ، الكويت ، ١٤٠٠هـ .

- محمد في التوراة والانجيل والقرآن . تأليف : ابراهيم خليل أحمد .
ط ٤ ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة .

- محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن . تأليف : محمد عزت الطهطاوي.
مطبعة التقدم . القاهرة . ١٩٧٢م.

- مدخل الى القرآن الكريم . تأليف : د . محمد عبدالله دراز .
ط ٣ ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠١هـ .

- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية • تأليف : د• عبدالكريم زيدان •
ط ٧ ، موءسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ •

- المستدرك على الصحيحين في الحديث • تأليف : أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري •
دار الكتب العلمية •

- مسند الامام أحمد بن حنبل • تأليف : الامام أحمد بن حنبل الشيباني •
دار صادر ، بيروت •

- المعجزات المحمدية • تأليف : وليد الأعظمي •
ط ٢ ، المكتب الاسلامي • بيروت ، ١٣٩٧هـ •

- المعجزة الكبرى (القرآن) • تأليف : محمد أبي زهرة •
دار الفكر العربي ، القاهرة •

- مع الطب في القرآن الكريم • تأليف : د• عبدالحميد دياب و د• أحمد قرقوز•
ط ٢ ، موءسسة علوم القرآن • دمشق • ١٤٠٢هـ •

- الملل والنحل • تأليف • أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ،تحقيق: محمد سيد كيلاني •
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٧هـ •

- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية • تأليف : مجموعة من الباحثين•
مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٤٠٥هـ •

- مناهل العرفان في علوم القرآن • تأليف : محمد عبدالعظيم الزرقاني •
ط ٣ مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة •

- من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام • تأليف : بندلي جوزي •
منشورات صلاح الدين ، القدس •

- الموافقات في أصول الشريعة • تأليف : ابراهيم بن موسى المعروف بأبي اسحق الشاطبي •
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت •

- موطأ مالك . تأليف : مالك بن أنس . تعليق : محمد فوءاد عبدالباقي.
دار احياء التراث العربي .

- النبأ العظيم . تأليف : د. محمد عبدالله دراز .
ط ٢ ، دار القلم ، الكويت ، ١٣٩٠هـ .

- النبي محمد . تأليف : عبدالكريم الخطيب .
ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

- نبوة محمد في القرآن . تأليف : د . حسن ضياء الدين عتر .
ط ١ ، دار النصر ، حلب ، ١٣٩٣هـ .

- نبوة محمد في الكتاب المقدس . تأليف : د . أحمد حجازي السقا .
ط . ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

- نبوة محمد من الشك الى اليقين . تأليف : د. فاضل صالح السامرائي .
ط ٢ ، مكتبة القدس ، بغداد ، ١٤٠٣هـ .

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تأليف : الامام شمس الدين محمد
بن أبي بكر بن قيم الجوزية .
موءسسة مكة للطباعة والاعلام .

- وجوه من الاعجاز القرآني . تأليف : مصطفى الدباغ .
ط ٢ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الاردن ، ١٩٨٢م.

- وجوب تحكيم الشريعة الاسلامية . تأليف : مناع خليل القطان .
مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .

- الوحي المحمدي . تأليف : محمد رشيد رضا .
ط ٤ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ .

فهـرس الموضوعـات

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة